
مولد
نبي الرحمة
ورسول
الإنسانية
سيدنا
محمد
صلى الله
عليه وسلم
ربيع الأول ١٣٩٥
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
منبر الإسلام

مولد نبي الرحمة ورسول الإنسانية

سيدنا

محمد

صلى الله عليه وسلم

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

ربيع الأول ١٣٩٥

ذكرى مولد خير المرسلين

فضيلة الشيخ محمد مصطفى أبو العلا

على حين فترة من الرسل ، وانقطاع من الوحى — من الله تعالى على الناس برسول من أنفسهم ، عربى من أشرفهم ، وقد قال : تبارك وتعالى — فى القرآن الكريم : (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) . وقال : جل شأنه : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) : اى لقد جاءكم رسول من جنسكم ، عربى مثلكم . وقرىء : من أنفسكم : بفتح الفاء ، اى من أشرفكم ، عزيز عليه عنتكم : اى شاق عليه لقاؤكم المكروه ، حريص



عليكم : على ايمـانكم ، وصـلاح شأنكم ، بالمؤمنين : منكم : أيهـا العرب ، ومن غيركم — رءوف رحيم، فرسالته : صلى الله عليه وسـلم — عامة للناس جميعـا : قال الله تعالى : (قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) : وقال : جل ، وعز : فى الرد على قريش ، حين قالوا : له : صلوات الله وسـلامه عليه : أرنا من يشهد لك انك رسول الله : (قل الله شهيد بينى وبينكم وأوحى الى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) أى لأنذركم به . أيهـا الموجودون : ومن بلغـه الى يوم القيـامة .

وحقا — كان العالم فى ضلال مبين ، قبل ميلاد رسولنا سيدنا محمد : صلى الله عليه وسلم ، اذ كان الناس — حينئذ — بعـداء عن طريق الحكمة ، والهداية ، والرشاد، قد فسد تصـورهم لخالقهم ، وللحياة ، وللمجتمع الانسانى الفاضل ، وملأت قـوى الشـهوة ، والغضب ، وحب الاستعلاء ، والطغيان — النفوس ، وبذلك — قطعت البشرية ، فى ذلك الوقت — صلتها بخالقهـا ، فأنكرت الوهيته ، أو عبثت بها ، وعبدت ما لا يسمع ، ولا يبصر ، وخشعت لمـا لا ينفع ، ولا يضر : كمـا تقطعت فيهـا صـلة الأسرة والرحم ، فوأدت البنات ، وهى لابد منهـا فى الحيـاة ، وأكرهت الفتاة على البغاء ، ولم تراع عفتها وشرفهـا ، وقتلت الأولاد ، وهم زينة الحياة الدنيا ، وقوام الحياة العاملة ، وذخيرة الحياة الآخرة ، وفى ذلك الوقت المظلم ، الذى كان أساس المعاملة فيه — القوة الغاشمة ، والتسخير الجـائر ، والاذلال ، الذى لا يعرف الرحمة ، والشفقة ، ولا البر ، والاحسان ، حتى استغاثت الانسانية من ويل ما أصابها ، فسمع الله — وهـو الرحمن — استغاثتها ، فولد منقذ البشرية الأعظم ، سيدنا محمد : صـلى الله عليه وسلم ، وما هى الا فترة النمو والاعداد ، حتى وافتـه

الرســالة الشاملة ، الوافية الكاملة ، وقــد بلغ : صلوات الله وسلامه عليه ــ اربعين عاما .

وبهذه الرسالة المحمدية العامة ــ تبوأ الروح الفطرى مكانه من الضمير العالمى ، فبدل قسوته رحمة ، وضلاله هدى ، وباطله حقا ، وانحرافه استقامة ، واضطرابه استقرارا ونظاما ، وجهله علما ، وخوفه أمنــا .

ولقد كان ايمان السابقين الأولين بهذه الرسالة ، خاتمة الرسالات ، وبصاحبها ، فخر الكائنات ــ ايمانا عمليا : بالأفعال ، قبل الأقوال ، وبالقلوب والأرواح ، قبل الصور والأشباح ، وبالدماء والأموال ، وبالأولاد ، والأهل ، والعشيرة ، وبالمتاع والنعيم ، وبكل لون من الوان التضحية ، والايثار .

ولقد آمن أولئك السابقون الأولون برسولهم ورسالته ، وهم يعلمون أن الايمان الحق ــ يثمر المحبة الصادقة ، التى تقتضى القيام بحقوقها ، والتزام تبعاتها ، ومن حقوقها ــ المتابعة للمحبوب ، ومن تبعاتها ــ تحمل المشاق ، والتضحية بأعز شىء فى سـبيل رضا ذلك المحبوب ، فبرهنوا على ايمانهم : باتباعه : صـــلى الله عليه وسلم ، ومتابعته فى سيره ، وسلوكه ، واحياء سنته ، والتحلى بأخلاقه ، واقامة شرعه ، ودينه : حرصا على حب الله : تبـــارك وتعالى ، فقد قال : جل شأنه : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) .

وهكذا شــأن الايمان القوى بالله تعالى ، وبرســوله : عليه الصلاة والسلام : يجعل ــ من صاحبه ــ مؤمنا صادقا : يعمــل الصالحات ، ويتجمل بمكارم الأخلاق ، فيرتدى ثياب الجمـــال ، والكمال ، والجلال ، ويفوز بطيب الحياة ، وأحسن الجزاء : قال : جل وعلا :

« من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيــاة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون » وحسب المؤمن الصالح ــ سعادته بود الله تعالى : قال : جــل ، وعز : **« ان الذين آمنــوا وعملوا الصـــالحات ســيجعل لهم الرحمن ودا**

وكم من ثمرة للايمان، والعمل الصالح:قال تعالى : **«وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون واقيموا الصلاة واتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون »** ..

الا وان صاحب هذه الرسالة المحمدية الشاملة ، التى تتحقق بها الحياة الطيبة ، وحسن العاقبة — لهو ذلك الرسول ، الذى ختم الله تعالى به النبيين ، وتحتفل — بميلاده — البلاد الاسلامية من اقصاها الى اقصاها : فى شهر ربيع الأول من كل عام هجرى ، وتجلت عظمته ، وآثار تلك العظمة — فى أطوار حياته كلها ، ولم تكن عظمته: عليه الصلاة والسلام — عادية : من جنس العظمات البشرية المألوفة : لم تكن عظمة ملك متوج .. يستعذب استعباد الخلق ، و لاعظمة رئيس مستبد .. ، و لا غنى متطاول بماله على سواه : انها عظمة الرحمة ، التى تفيض رقة . وعطفا . واحسانا ، وحنانا ، وقد جمعت حوله النفوس : نقية طاهرة كريمة تقية ، وفى تلك الرحمة — يقول : جل علاه : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » ، وهى — كذلك — عظمة الهداية والارشاد : استمساكا بقوله تعالى : « **وعظهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا** » ، وأيضا هى — عظمة التثقيف ، والتهذيب ، والاصلاح والتعمير والسلم ، والأمان ، وهى — أيضا — العظمة ، التى تتمثل فى تلك التعاليم المحمدية ، التي وحدت بين القلوب المتنافرة ، واوثقت الروابط بين القبائل المبعثرة ، فكونت — منها — امة مهيبة ، عزيزة ، قوية الشخصية ، ساست الشعوب على دعائم قوية : من العلم . والمعرفة ، والحكمة ، والعدل ، والعفة ، والاخلاص ، والأمانة ، والمحبة التى قامت بين الناس مقام القانون ، والجهاد ، الذى أشرق فضله ، ومزاياه ، وثماره : بقوله : تبارك وتعالى : **« يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات**

تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين» .

فلم تكن عظمته : صلوات الله وسلامه عليه — من جنس العظمات المعهودة فى الأمم : فى أفذاذها ، والنوابغ من افرادها : كسبق الى اختراع ، أو كشف نظرية علمية ، أو انتصار فى حرب او زعامة أمة ، وما الى تلك : من عظمات عظماء الدنيا ، وأين العظمة المادية المحدودة : من العظمة المحققة بالهداية للسبيل التى هى اقوم : فى العقيدة ، والعبادة ، والخلق ، والمعاملة ، ونظم الحياة والروابط العائلية ، والمدنية ، والانسانية ، وتلك هى العظمة ، التى كانت — بها — الأمة المحمدية — خير الأمم ، وفيها — قال الله : تبارك وتعالى : **« كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »** .

الا وان صاحب تلك العظمة المقدورة حق قدرها ذات الذكرى العطرة ، والسيرة الطاهرة — هو المثل الاعلى ، وأكمل انسان ، وسيد الناس ، الذى دعا الله : جل علاه — الى الاقتداء به : مزكيا قدوته : قال : تبارك وتعالى : **« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »** وروى الترمذى : عن ابى سعيد الخدرى : رضى الله عنه : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبى يومئذ آدم ، فمن سواه الا تحت لوائى ، وانا اول من تنشق عنه الأرض ولا فخر » ، وشواهد سيادته صلى الله عليه سلم ، الرافعة من شأن عظم القدوة به — كثيرة ، وحسبنا ما حواه ذلك الحديث الشريف ، المعلن انه أفضل ولد آدم : عليه السلام ، ومن ولده — الرسل والأنبياء : عليهم السلام ، واذا كان صلى الله عليه وسلم — قد فضل جميع ولد آدم يوم القيامة : بالمراتب والدرجات — فقد دل ذلك على انه — صلوات الله وسلامه عليه — قد فضلهم — فى الدنيا — بالمناقب والصفات ، ومكارم الأخلاق ، ولما كان من ذكر مناقب نفسه انما يذكرها : افتخارا — فى الغالب — اراد : صلى الله عليه وسلم — ان يقطع وهم من يتوهم : من الجهلة — انه ذكر ذلك : افتخارا ، فقال : عليه الصلاة والسلام : «ولا فخر»

ولا ريب ان الخصائص المذكورة فى هذا الحديث الشريف ـــ تدل على تفضيله ، وعلو مرتبته ـــ على آدم ، وغيره : صلوات الله وسلامه : عليهم اجمعين ، ولا معنى للتفضـــيل الا التخصيص بالمناقب والمراتب . والمكارم ، وقد أقسم الله : تبارك وتعالى : فى القرآن الكريم ـــ بحياته : صلى الله عليه وسلم : فى قوله : جل وعز : ((**لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون**)) ، ولا شـــك أن الاقسام بحياته ـــ يدل على شرف حياته ، وعزتها ، عنـــد المقسم بها ، سبحانه وتعالى ، وان حياته : عليه الصلاة والسلام ـــ لجديرة أن يقسم بها: لما ثبت فيها : من البركة العامة والخاصة التى لم يثبت مثلها لغيره ، ولقد وقره الله : تعالى : بندائه ـــ فى القرآن الكريم ـــ باسنى اوصافه : صلى الله عليه وسلم : قال : ((**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك**)) ، وقال : ((**يا ايها النبى اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين**)) ، ونادى غيره باسمه: قال تعالى : ((**يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة**)) ، ((**يا نوح اهبط بســـلام**)) ، ((**يا موسى انى انا ربك**)) ، ((**يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض**)) ، ((**يا زكريا انا نبشرك بغـــلام**)) ((**يايحيى خذ الكتاب بقوة**)) ، ((**يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك**)) ، وليس بخاف ـــ أن السيد : اذا دعا أحد عبيده بأفضل ما فيه : من الأوصاف العلية ، والأخلاق السنية ، ودعا الآخرين : بأسمائهم الأعلام ، التى لا تشـــعر بوصف من الأوصاف ، ولا بخلق من الأخلاق .. دل ذلك على أن من دعاه بأفضل الأوصاف والأخلاق ـــ أعز عليه ، وأقرب اليه : ممن دعاه باسمه العلم ، وكان ذلك مبالغة فى تعظيمه ، واحترامه ، حتى قال القائل :

لا تدعنى الا بيا عبـــدها   لأنه أشرف أســـمائى

ذلكم الرسول الأفضل ، الذى جاء الدنيـــا بالاســـلام : ليملأها بالخير والسلام ـــ يكون احياء ذكرى مولده حقا ـــ بما تحيـــا به القلوب ، وتسمو به النفوس ، وتصلح به الدنيا ، ويعيش الناس به فى أمن وطمأنينة ، وصـــفاء ، وفلاح ، ولا ريب اذا تحققت هذه المعانى السامية ، وسادت بين الناس ـــ فانهم يحيون بهـــا حياة طيبة : بالاقتداء برسولهم ، الذى أرسله الله تعالى رحمـــة

للعالمين ، فأمهل عصاة أمته ، ولم يعاجلهم : ابقاء عليهم ، بخلاف من تقدمه : من أمم الأنبياء ، فانهم لما كذبوا — عوجل مكذبوهم، والذى بعثه مرسله : جل وعز — لاتمام مكارم الأخلاق ، ولقد كان — صلى الله عليه وسلم — أجود الناس كفا ، واوسع الناس صدرا ، واصدق الناس .. ، واوفاهم عهداً ، واكرمهم عشرة ، والينهم ، واعظمهم عفوا ، واصبرهم ، واحلمهم ، واشجعهم ، وقد خاطبه : جل شأنه — بقوله : فى القرآن الكريم « **وانك لعلى خلق عظيم** » ..

وحسبنا فى التنويه بفضله : صلى الله عليه وسلم ، وتعظيمه — قوله : تبارك وتعالى : «**واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** » ، واصرى اى عهدى ، وقد افادت الآية الكريمة — أن الله تعالى — ما بعث نبيا الا وقد اخذ عليه العهد ، والميثاق : لئن بعث محمد : صلى الله عليه وسلم — وهو حى — ليؤمنن به ، ولينصرنه : ليكون : صلوات الله وسلام عليه — امامأله ، ومقدما عليه ، متبوعا لا تابعا : هذا — مع علمه سبحانه وتعالى — أن محمداً : صلى الله عليه وسلم — خاتم النبيين والمرسلين ، وانما أراد الله تبارك وتعالى — تعريفهم بفضله ، وعلو شأنه ، وانه خيرهم جميعا .

وبعد : فما أحقنا — معشر المسلمين — ونحن نعتز بالانتماء الى دينه : عليه الصلاة والسلام ، وبأننا من أتباعه : صلى الله عليه وسلم — أن نعض بالنواجذ على سنته : صلوات الله وسلامه عليه ، حتى نكون معتصمين بأعدل نظام ، تحتاج البشرية كلها اليه ، ومهتدين بأكرم شريعة ، تحل جميع المشاكل على أفضل المبادىء ومستمسكين بأعظم عقيدة تخلق أسمى الدوافع فى القلوب لعمل الخير ، واتقاء الشر ، وسالكين خير سبيل لخير غاية : فى شئون الحياة جميعها ، فقد كان رسولنا : صلى الله عليه وسلم — أعدل حاكم ، شهد له التاريخ ، وخير مرب عرفته البشرية ، وسيد الهداة ، الذين ارتقت بهم الانسانية ، والانسان الكامل ، أمام الأتقياء ، واهدى أولى البصائر ، والحق ، الذين منهم —

خلفاؤه الراشدون ، أولئك الذين استمسكوا بسنته ، فكانوا أهلا لحثه على الاقتداء بهم : فى سيرهم وسلوكهم ، واضــاءة دياجى الحياة : برشادهم ، وجميل خصالهم ، وفعالهم : روى أبو داود ، والترمذى : عن أبى نجيــح ، العرباض بن سارية : رضى الله عنه : قال : « وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم — موعظة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع ، فأوصانا : قال : أوصيكم بتقوى الله : عز وجل ، والسمع والطاعة ، وان تأمر عليكم عبــد ، فانه — من يعش منكم — فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتى ، وســنة الخلفاء الراشدين ، المهديين عضــوا عليهــا بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل بدعة ضلالة » .

ولخير ما يقوم به المسلمون فى ذكرى مولده : صلى الله عليه وسلم — هو تدارس سيرته ، والتعاهد على الاهتداء بهديه : عليه الصلاة والسلام : على الدوام ، والعزم الأكيد على احياء سنته : سرا ، وجهرا : فى جميع شئون الحياة .

ولاريب ان الأمة الاسلامية — تفوز بحسن حالها ، وتحقق لها أهدافها ، وغاياتها : اذا اتخذت سنة النبى وهديه — سنة لها وهديا ، وحينئذ — تكون الأمــة القوية ، ذات القــدر الرفيع ، والمكانة العلية : بالخلق العظيم ، والمحافظة على قويم المبادىء وشريف الخلال ، والمثل العليا : فى جميع الشئون والأحوال ، كما تكون الأمة المؤمنة ، التى قال الله جل ، وعز — فيها ، وفى عقباها : ((**والمؤمنــون والمؤمنات بعضهم أولـيــاء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم**)) .

أعاد الله ذكرى مولد خير المرسلين ، والمسلمون سعداء ، أعزاء فائزون بحسن الحال ، والمآل ((**ان ربى لسميع الدعاء**)) .

آلاء الله تتزاحم حول الميلاد

فضيلة الشيخ فراج أحمد دردير

ولد الهــدى فالكائنات ضــياء وفم الزمان تبســم وثنــاء

ان من الشعر لحكمة ، وما رايت حكمة أوضح ولا أصدق مما يشــير اليه هذا البيت الــذى يجمع البشر والطلاقة والسرور كله ، والثناء على أوسع مدى فى رحاب ميلاد النــور الذى ملأ الأرض كلها هدى وحكمة ونورا ممــا لا يستطيع أن يستقبله أو يتحدث عنه الا فم الزمان ، وفم الزمان الذى يكسو محياه البشر ، وينطلق لسانه بما تذوقه من محامد ليس الا وجوه الخلائق والســنتهم اجمعين ، ما كان منهم فيما مضى ، وما هو قائم فى الوقت ، وما عسى أن يأتى به الغد وما بعــد الغــد الى ما شاء الله الجميع يشعر بالفضل ، ويتحدث بالمفاخر والأمجــاد ، ومن يبعث هذا الشعور الفياض : ويفيض عاطر الثناء ؟ غير قدوم حبيب الله ورسوله محمــد بن عبــد الله الذى جاهد فى الله حق الجهــاد ، وتفانى



فى جـذب العبـاد الى الهـدى والرشاد ، فاذا رأى منهم اعراضا او تباطؤا عما يجبه لهم من خير ، بالغ فى الجهد ، وأسرف على نفسه فى الحزن والألم حتى ليكاد يقتل نفسه حسرة وغما ، فتدركه رحمـة الله فيقول له : ((لعلك باخع نفسـك الا يكونوا مؤمنين)) . وكأنه يقول له : عليك البلاغ ومنا الهدايةفلا تقتل نفسك أسفا لعـدم ايمـان هـؤلاء الجاحدين ، ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا .

سبقت ميلاده صلى الله عليه وسلم بشائر توحى بأن العالم مقبل على حدث عظيم يغير من طريقه ، ويرأب ما تصدع من مسالكه ويغير ما أظلم من حياته ، فهذا بيت الله العتيق يقصده الطغاة بالهدم ليتحول الحجيج الى بنية أقاموها بصنعاء ، وبذلوا فى تشـييدها وزخرفتها بأنفس المعادن ، ولم يكن لقريش طـاقة بجيش قوى تتقدمه الفيلة الكبار ، ولكن الله حفظ بيته ، وأهلك الغزاة بأضعف جنوده وصار حديثهم خبرا تخبره سورة الفيل ، ويفيض فيه الرواة والمؤرخون ، ولم يكن ذلك الا ايحاء بميلاد من يعيد تطهير هذا البيت ليكون موئلا للقائمين والساجدين والعاكفين من المؤمنين ، كمـا يروى أن عبد المطلب أتى كاهنة قريش فى تأويل رؤيا أفزعته قائلا لها : انى رأيت الليلة وأنا نائم فى الحجر كأن شجرة نبتت قد نال رأسها السماء ، وضربت بأغصانها المشرق والمغرب ، وما رأيت نورا أزهر منها ، ورأيت العرب والعجم ساجدين لها ، وهى تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ، ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا بأغصانها ، ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها ، فاذا دنوا منها أخرهم شاب لم أرقط أحسن منه وجها ، ولا أطيب منه ريحا ، فرفعت يدى لأتناول منها نصيبا فلم أنله فانتبهت مذعورا فزعا . فتغير وجه الكاهنة وقالت : لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس . فكان عبد المطلب يتوقع ان يكون هذا المولود ابنه أبا طالب ، ولما ولد محمد صلى الله عليه وسلم كان أبو طالب يحدث بهذه الرؤيا ويقـول : ان

الشجرة هى محمد ، ولئن صحت الرواية ، كانت روحا صافية لرجل نبت من سلالته خير الأولين والآخرين فهى ترقب المستقبل ، وتصوره التصوير الحقيقى قبل أن يكون واقعا يراه الناس ، وان كانت من صنع الرواة فهى وصف دقيق لما اشتملت عليه الحيـــاة المحمدية فى ابعادها العملية والروحية ، لك أن تسميه خيالا بديعا ، أو أدبا رفيعا ، أو تاريخا صادقا حصيفا ، وفى ليلة مولده أصاب معاقل الشرك ، ومواضع البغى ما أصابها من الزلزلة والفزع فهذه نيران تخمد ومياه تفور بعد أن عبدت من دون الله أمدا طويلا ، وتلك أصنام تنكس ، وقصور تتداعى ، والشيطان من حولها يهيل على رأسه التراب يفزعه ويذله ما يتقطع أمامه من شباك طالما استدرج بها الضالين والغواة ، روى أن نفرا من قريش فيهم ورقة ابن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وعبد الله بن جحش كانوا يجتمعون الى صنم فلما كانت ليلة مولده عليه الصلاة والســـلام دخلوا على صنمهم ومعبودهم فوجدوه منكسا على وجهه ، فحاولوا رده الى وضعه ثلاث مرات وهو ينقلب ، ولما عجبـــوا من أمره وسألوه عن سبب تنكيسه سمعوا من جوفه هاتفا يقول :

تردى لمولود أضاءت بنوره جميع فجاج الأرض بالشرق والغرب

وتضافرت لمولده مجموعة من الفأل الحسن الذى يدخل السرور على نفوس السامعين فولدته آمنة بنت وهب ، واستقبلته الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف وحضنته أم أيمن الحبشية ، وأرضـــعته حليمة السعدية ، وفى آمنة الأمن وفى أم أيمن اليمن والبركة ، وفى الشفاء شفاء من الأدواء ، وفى حليمة الحلم والسعد ، وهذه المعانى الطيبة لا تجتمع الا لمبارك ميمون ، ولئن كان ذلك ضرب من التخيل فقد تحول بعد النشأة وما تلاها الى واقـــع تدركه الأبصـــار ، وتتحسسه الحواس ، فمن كان يظن أن هذا الوليد الذى تتلقـــاه دار صغيرة قرب الصفا يتيما لم تقع عينه على أبيه مقلا من المال لم يترك له أبوه الا خمسة أجمال ، وبعض من الغنم فى هذا الوادى الذى لازرع فيه، يظهر أمره فى الشرق والغرب ، ويقود الانسانيةكلها الى ما جاء به من نور وكتاب مبين ، حقا انه عريق النسب ، لم يولد الا من سيد فى قومه كبير المآثر فيهم ، وقومه أشرف القبـــائل العربية على الاطلاق ، وتلك دعائم المجد والحسب ، ولكن النـــاس لا يتنبهون الى شىء من ذلك الا اذا اتصل الدابر بالحاضر ، وتأيد بالمظاهر والظواهر ، حتى تدفعهم قوة القوى القادر ، عندما يتحدث

المنجمون ومن عندهم علم من الكتاب بتحركات للنجوم والطوالع ، وأمارات أرشدت اليها الكتب التى أنزلت من قبل ، مخبرة بالزمان والمكان ، والسمات الخاصة بالرسول المنتظر ، والأمل المرتقب ، يتجلى كل ذلك فى السنة الصدق ، ويتحور أو يختفى فى منطق الحقد والحسد والحق ابلج ، ونور الشمس لا يخفى ، تأتى طلائع اليمن فى بنى سعد ، وتتركز حول مرضعته حليمة لتسعدها وزوجها وبنيها تقول حليمة : خرجت فى عشرة نسوة من بنى سعد يطلبن الرضعاء فى سنة جدباء لم تبق لنا شيئا خرجت على أتان ضعيف السير ، وناقة مسنة ما ترشح بقطرة لبن ، وما كنا ننام من صبينا الباكى من شدة الجوع ما فى ثديى ما يغنيه ، ولا فى ناقتى ما يغذيه حتى قدمنا مكة فما منا الا عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه ، اذا قيل لها : يتيم . فما بقيت امراة الا اخذت رضيعا غيرى فقلت لزوجى : انى أكره أن أرجع من غير رضيع والله لأذهبن الى ذلك الرضيع فلآخذنه . فقال : لا بأس . فذهبت اليه فلما أخذته ، ووضعته فى حجرى أقبل ثدياى بما شاء الله من لبن ، فشرب من الثدى الأيمن حتى روى ، وعرضت عليه الأيسر فأباه ، وكانت تلك حالته فيما بعد ، وقام زوجى الى ناقتنا فاذا هى ممتلئة الضرع من اللبن ، فحلب منها وشرب وشربنا حتى انتهينا ريا وشبعا ، ولما اصبحنا قال صاحبى : تعلمى يا حليمة لقد اخذت نسمة مباركة . قلت : والله انى لأرجو ذلك ، وفى عودتنا كانت اتانى تسبق الركب ، وصواحبى يقلن لى : يا بنت أبى ذؤيب ، أليست هذه أتانك التى كانت تخفضك طورا ، وترفعك أخرى ؟ فأقول لهن : بلى والله انها لهى ، ولما قدمنا منازل بنى سعد كانت غنمى تروح على غزيرات اللبن فنحلب ونشرب حتى كان المقيم فى المنازل من قومنا يقولون لرعاتهم : ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب ، فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفطمته ، وكذلك نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم تحفه البركات أينما سار ، ويسير فى حياته سيرة طيبة يتأسى بها أولو الفضل فتكون نعمة لهم ولمن حولهم من الناس ، لقد كان الجود والسماحة لدى الوجوه والسادة من العرب كفيلا باعزاز من يلتجىء اليهم يسعدونه بالسخاء الحاتمى ، والكرم الفسيح ، ولكن رسول الله وهو فتى ناشىء يأبى أن يكون عالة على أحد ، ويأكل من عمل يده ، يرعى الغنم حينا ، ويعمل فى التجارة أحيانا ،

وما كان له — وهو الذى يعدّ للرسالة — أن يركن الى ما انغمس فيه اترابه من الشباب ، من ميل الى العبث والمجون ، يصرفه عن ذلك ميل الى الجد ، ورجاحة فى العقل ، يفكر فى غواية قومه بين المعتقدات الضالة الزائفة فيبتعد عنها ، ويجنح الى العزلة والتأمل ، والاحتكام الى العقل الرشيد ، لا يسجد لصنم رغم كثرتها ، وشيوع عبادتها ، حتى جاءه الوحى ، وهو وحيد يعمل الفكر ، ويحاول الرشد ، والطاقة البشرية لا تحتمل هبوط الوحى اذا كان لا عهد لها به ، ففزع فزعا شديدا ، واسرع الى شريفة قومها وشريكة حياته خديجة بنت خويلد ، فهدأت من روعه ، وانطلقت به الى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وكان عالما من أهل الكتاب تقدم سنه وكثرت تجربته واستقام فكره . ولما سمع مقالته قال : هذا الناموس الذى أنزل على موسى ، ياليتنى فيها جذعا . يخبر رسول الله بأنه نبى هذه الأمة ، ويتمنى أن يكون وقت الدعوة الى الله شابا قويا يجاهد فى سبيلها ، ثم توالى نزول الوحى ، وأخذ رسول الله يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة يقيم الأدلة البينة على وحدانية الله ، ويدعو الى محاسن الأخلاق ، وينفر مما تورطوا فيه من مساوىء العادات ليكمل رسالات ربه ، ويتم صرح النبوة ، ويكون فى هذا الصرح اللبنة التى يتمنى كل من يرى الصرح أن تكون هذه اللبنة فيه ، تكامل للانسانية رشدها فوجب أن تتكامل لها تعاليم دينها ، لقد ختمت الرسالة فحق أن يكون هذا التشريع هو المثابة الى قيام الساعة ، يحدد علاقة الانسان بخالقه ، ويوضح علاقة الانسان بأخيه الانسان ، يعرف جلال الألوهية ، ويخشى أن يتورط تابعوه وعارفو فضله فى تجاوز قدر الرسالة ، فيؤكد كثيرا على أنه بشر ليس له من الأمر شىء ، والأمر كله لله ، لا يعدو أن يكون انسانا اختاره الله للرسالة ، وكلفه البلاغ ، وكثيرا ما يغضبه أن يعامل معاملة الجبابرة من الناس ، ويكره أن يقوم الناس بين يديه اجلالا لقدومه أو خروجه ، يجب أن يقوم تقدير القيادة على الحب بعيدا عن الرهبة فيقول لذلك الأعرابى الذى اقبل عليه يرجف فؤاده : هون على نفسك يا أخى فانى ابن امراة من قريش كانت تأكل القديد ، صلى الله عليك يا رسول الله قد تواضعت فى علوك ، وقربت فى سموك حتى كنت كوكبا دريا تبصره العيون تحت صفحة الماء ، وهو المتربع فى أعلى السماء جئت سندا لكل رسالة سبقت ، بيدك كتاب مصدق لما بين يديه من كتب ،

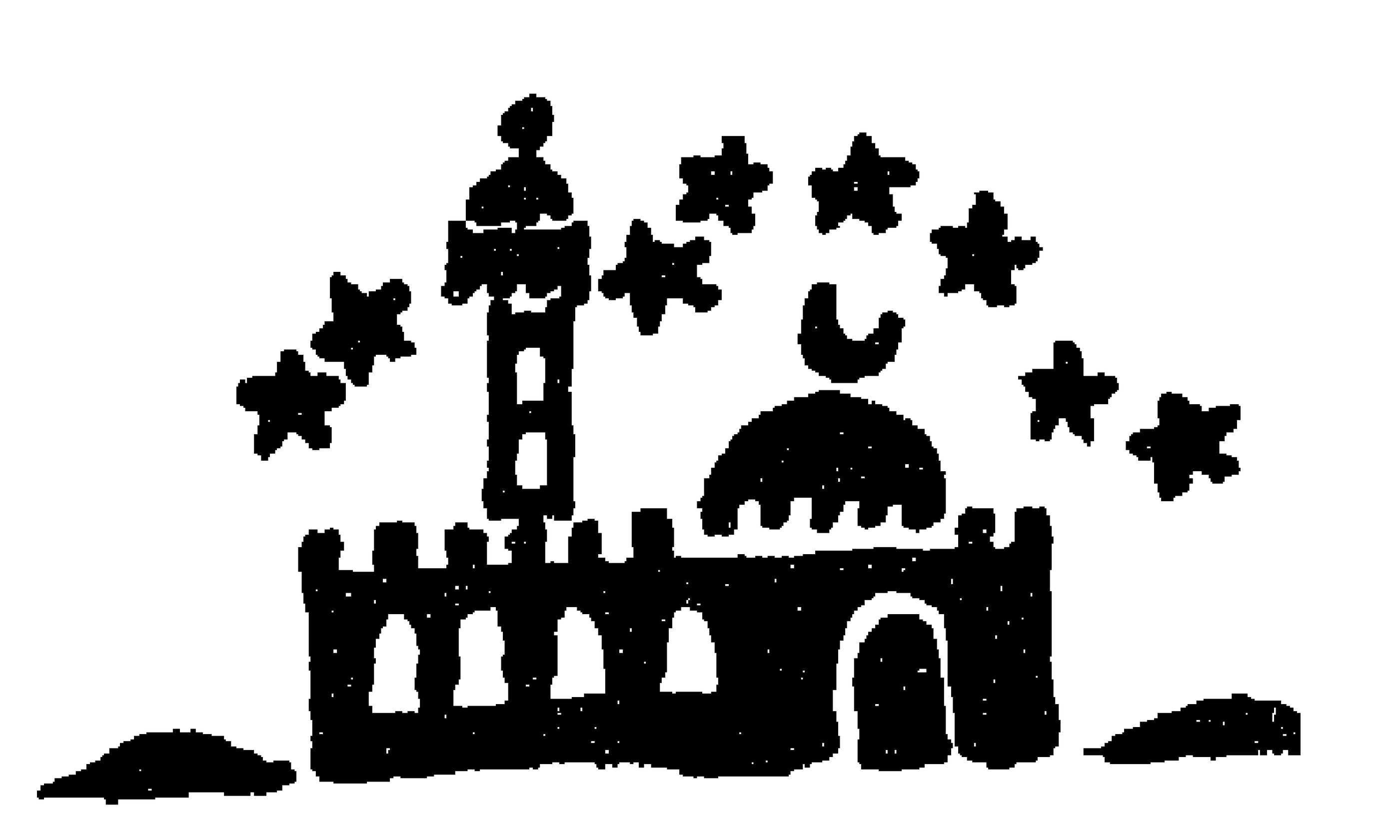
كلها من عند الله ، وما هو من عند الله فهو منزه عن الاختلاف ، تدعو أمتك الى الايمان بالكتب والرسل جميعا ، ليس بمؤمن ذلك الذى يؤمن بكتاب دون كتاب ، أو يصدق برسول دون رسول ((**لا نفرق بين أحد من رسله**)) فى شريعتك السماحة والعدالة ، وفى ساحتها لا يغبن ذو حق فى حقه لاختلاف لغة أو لون أو عقيدة ، فان تعاليم السماء تأبى القسو والارهاب والعنف تحت أى لواء ولو كان لواء الدين ، فان الدين حجة واقناع ، لا اقتناص ولا خداع ، دينك بر ورحمة لا يشق على الناس فيكلفهم مالا يستطيعون ، ولا يسد الطريق على من أراد الاستزادة من زاد الآخرة ، الصلوات المفروضة خمس فى اليوم والليلة ، والصوم شهر كل عام ، والزكاة نصيب مفروض اذا تحققت أسبابه ، والحج مرة واحدة فى العمر ، ومن أراد التطوع ففى النافلة والصدقات متسع غير محدود ، القصاص حق ، والعدوان بمثل العدوان ، والعفو والصفح أجمل ، الجنة محفوفة بالمكاره ، والنار محفوفة بالشهوات ، وقد تتغلب على الانسان نوازع الشر ، وبوارق الشهوات ، فيتردى فى المعصية ، فهل يقطع هذا الاثم الصلة بين العبد وربه ، ويجعله فى زمرة المردة والشياطين ؟ كلا . فان الرحمن الرحيم تفضل فأنزل على عبده ورسوله محمد بن عبد الله صلوات الله عليه (**ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما**) . وقد روى أن هذه الآية لما نزلت صرخ ابليس صرخة عظيمة جمعت جنوده من اقطار الأرض يقولون : ما هذه الصرخة التى أفزعتنا ؟ قال : أمر عظيم نزل بى لم ينزل اعظم منه وتلا هذه الآية ، وقال : هل عندكم حيلة ؟ قالوا : لا . قال ابحثوا ، وانا أبحث وبعد مدة صرخ مثلها فاجتمعوا فسألهم : هل وجدتم شيئا ؟ قالوا : لا . قال : لكنى وجدت ، أزين لهم البدع التى يتخذونها دينا فلا يستغفرون . وقانا الله شر البدع ، وجعلنا من عباد الله الذين عرفوا الحق ، واتبعوا سنة الرسول ، وكان منهم أمثال المأمون الذى حبب اليه العفو حتى كان له سجية وكان يقول : لو عرف الناس حبى للعفو لتقربوا الى بالجرائم ، وانى أخاف أن لا يكون لى أجر على العفو ، وهذا واحد من الأعلام الذين تخرجوا فى المدرسة المحمدية ، واختص كل واحد منهم بجانب من الفضائل الانسانية والروحية ، حتى صار قمة يحاكيها الراغبون ، وأعجوبة فى صحائف التاريخ ، ولا عجب فامامهم وقائدهم من قال فيه رب العالمين : ((**وانك على خلق عظيم**)) .

الرسول

صلوات الله وسلامه عليه

حدد علاقة المسلم بمجتمعه

فضيلة الشيخ منصور الرفاعي عبيد



شهر ربيع الاول من الشهور التي ترتبط بوجدان المسلمين لان فيــه ولد المصطفى صلى الله عليه وسلم الذى اصطفاه الله وبعثه بشيرا ونذيرا .

ويحلو الحديث حول سيرته لان حياته كلها كانت موصــولة بالله يحيا مع الله بوجدانه وشعوره ويعايش الناس يدعوهم للايمان ويوجههم للعمل ويذكرهم بالله واليوم الآخر لترق قلوبهم وتســموا أرواحهم . ونحن أمرنا أن نقتدى به سلوكا وتطبيقا . وهو صلوات الله وسلامه عليه الذى أسس دولة الاسلام القوية ودعمها بالصدق والاخلاص . وغرس بين أبنائها القيم ومكارم الأخلاق . وجــدير بكل مسلم ان يترسم خطى النبى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام الذى جاءنا بالاسلام عقيدة وعملا . مسجدا ومجتمعا وأراد لاتباعه أن يكونوا نماذج طيبة وعناصر صالحة بما غرس فيهم من قيم خلقية ومبادىء فاضلة . والمسلم الذى يتمسك بكل هذا لا يكون منعــزلا عن مجتمعه ولا سلبيا فى حياته . انما المسلم الذى يتمسك بهدى نبيه عليه أفضل الصلاة واتم التسليم هو الذى يعايش النــاس

بالمعروف ويتجاوب مع كل عمل طيب فيه اسهام لكل خير يعـود على اخوانه الذين يعايشونه فى أى مكان .

ولقد حدد الاسلام معالم العلاقة بين المسلم وربه فى اطار العقيدة الصحيحة المبنية على اليقين بانه لا اله الا الله وحده لا شريك له كل ما فى الوجود يسبح بحمده ويهتف باسمه لا تدركه الأبصـار وهو يدرك الأبصار .. وفى كل شىء له آية .. تدل على أنه الواحد : ولم يكتف الاسلام بان تكون هذه العقيدة المستترة فى ضـمير الفرد هى العلاقة بين العبد وربه بل جعل من دعائمه مظهراً عمليـا يعرف به المسلم من غيره . فالصلاة مظهر عملى روحى وكذا الصيام والزكاة مظهر مالى وكذا الحج . لأن الاسلام الذى بعث به النبى الكريم منهج كامل لكل ناحية فى الحياة وليس الاسلام مجرد علاقة روحية مع الله مقطوعة الصلة بالمجتمع الانسانى . لأن العقيـدة السماوية يبنى عليها المجتمع الفاضل الذى يؤسس على البر والتقوى ولذلك اهتم الاسلام بعلاقة المسلم مع أخيه فى الانسانية ونهى عن ظلمه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((المسـلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن تركه يجوع ويعرى وهو قادر عى اطعامه وكسوته فقد أسلمه)) . والاسلام بما افترض من زكاة انما ليكون هناك تكافل اجتماعى بين أبناء الأمة الاسلامية . ونرى التوجيـه السديد للمسلم فى كل معاملاته فقد أوجب عليه الصـدق عند البيع والشراء ومعاملة قائمة على الأمانة والاخلاص كل ذلك ليكون هناك نماء للعاطفة الانسانية وترابط بين القلوب مبنى على الأخوة والمحبة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم شبه هذه الأمة بالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسـهر والحمى . والتشبيه هذا ليكون التألم ايجابيا — وليس سلبيا وتتأتى الايجابية بأن يعمل الانسان قدر جهده على تخفيف الآم الناس ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم ويحيا به الجميع فى سعادة ورخاء وقد عبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله ((من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة)) وفى حديث آخر يبين منزلة الانسان العطوف الودود الهاشى الباشى الذى يمد يده بالاحسان ويحرك لسانه بحلو الكلام فيقول المصطفى عليه الصلاة والسلام ((ان فى الجنـة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعـدها الله ((سبحانه)) لمن أطعم الطعام . وأفشى السـلام . وصلى بالليل

والناس نيام . ان علاقة المسلم بربه تفرض عليه حسن العلاقة بالناس . ولذلك نهانا ربنا عن الغيبة والنميمة وعدم السخرية والاستهزاء بالناس لأن ذلك يجر الى عواقب وخيمه ونهى عن التنابز بالألقاب والتفاخر بالاحساب والتطاول على الناس بأى لون وبأى صورة . كما نهى عن غش المسلمين فى أى صورة من صور الغش والخداع والتدليس **يقول الرسول صلى الله عليه وسلم . « من غش أمتى فليس منا » ونبه الى اتقان الصنعة فيقول « ان الله الله يحب من أحدكم اذا عمل عملاً ان يتقنه » ونهى عن التسيب والذوبان والانخراط فى سلك المنحرفين الذين يلوون السنتهم بالقول ويصدق عليهم قول الله عز وجــل « ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو الد الخصام . واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنســل والله لا يحب الفساد . واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالأثم فحســبه جهنم ولبئس المهاد »** . ومن هذه صــفاته يدفن نفسه فى التراب ويتجرد من العاطفة النبيله ولذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله **« لا يكن احدكم امعة . يقول انا مع الناس ان احسن الناس أحسنت وان اساءوا اسات . ولكن وطنوا انفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا ان تتجنبوا اساءتهم » ثم يشرح الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه . وخير الجيران عند الله خــيرهم لجاره »** ان الاسلام أســاس لمجتمع متأخ متعاطف الكل فيه يعرف ما له وما عليه . ومن هنا فالمسلم يقظ الضمير دائما يخاف المسئولية والحساب أمام الله الذى لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء وهو فى نصح دائم لاخوانه حسبما وصف الله سبحانه المؤمنين بقوله **« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهــون عن المنكر ويقيمون الصــلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله »** .

كما ان الرسول صلى الله عليه وسلم يبين ان اى عمل يعمله الانسان وهو يقصد به وجه الله ونفع المجتمع فان الله يعطيه الثواب العظيم والأجر الكريم على ذلك يقول عليه السلام « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فياكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان له به صــدقه » .

والرسول وهو المرشد المعلم يعلمنا ويرشدنا أن التاجر الأمين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيامة . ان نبى الاسلام الذى نحتفل بمولده جاء بالخير للبشر جميعا لتسعد بمنهجه : كانت له دعامتان .

الأولى مع الله عندما نزل عليه قول الله سبحانه ((يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا)) . فكان يقوم من الليل مصليا حتى تورمت قدماه . ويرطب لسانه بكثرة تلاوة كلام الله فى الصلاة وخارج الصلاة الثانية حسن علاقته بالناس وصبره على اذاهم وتحمل العنت منهم ولقد اوذى فى سبيل الله فصبر صبرا جميلا . .

ان احتفالنا بالمولد النبوى الشريف هو تدعيم لتلك القيم واحياء لهذه المفاهيم وغرسها فى نفوس النشىء واتباع هذا النبى العظيم الذى اقام دولة على العدل ودعمها بالرحمة فسعدت الانسانية بتلك الأمة التى كان شعارها « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين** » .

والانسانية اليوم تنشد لدائها علاجا ولمرضها دواء فان العلاج والدواء فى القرآن الكريم وفى نهج النبى العظيم صاحب الذكرى التى تمر بالمسلمين فى تلك الأيام فعلينا أن نتعلم من هذا المنهج الراشد ونهذب أنفسنا ونفتح قلوبنا لأنوار الحق ونؤدى واجبنا على الوجه الاكمل نحو امتنا حتى يبارك لنا ربنا ويمدنا بنصره وعونه « **ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه** » . وكفى بالله هاديا ونصيرا . .

صاحب السنة والخلف العدول

الدكتور محمد عبد المنعم القيعي

صاحب السنة هو سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ، امام المرسلين وخاتم النبيين ، صاحب رسالة الرحمة والخير والسلام . وهو غنى عن التعريف : يتشرف المسلمون بالحديث عنه : خصوصا فى شهر مولده المطهر ..



والسنة بهذا التعريف هى طريقته التى أثرت عنه من قول أو فعل أو سكوت عن أمر فعل بين يديه وهو متصل بالدين ولم ينكره أو أوصافه الخلقية والخلقية على حد سواء .

ونحن نلمح من هذا التنويع جانبين رئيسيين : أحدهما ثبوتى — وهو الأقوال والأفعال بشرط وجود المقتضى وانتفاء المانع . وهذا هو الفيصل بين التقليد والجمود الحرفى وبين الوعى والفهم السليم،

فلم يرد صلوات الله وسلامه عليه أن نتأسى به فى خصائصه التى اختصه الله بها . ولم يرد كذلك أن نقتدى به فى أمور زال مقتضاها أو انتفى مانعها — كلعق الأصابع بعد الأكل والاكتفاء بصلاة قيام رمضان ليال معدودة ، خشية الفريضة علينا .. ومن الناس من يستمسك بالمنقول استمساكا حرفيا من غير بحث عن المقتضى والمانع والسبب والحكمة ، وتحقيق المناط وتنقيحه وتخريجه. وأقل ما يقال عن هؤلاء أنهم غير فقهاء فى الدين ..

وأما الجانب الثانى : فهو الجانب السلبى الخالى من القول والفعل ، وانما هو سكوت يستدل به على الرضا ، وأوصاف بعضها فطرى تدل على عناية الخالق به . وبعضها كسبى يدل على مبلغ اجتهاد روحه وصفاء قلبه ونقاء سره (كان خلقه القرآن) .

والسنة هى المبينة للكتاب العزيز الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وبيانها له هو المهمة الأساسية التى نيطت بها، وتتميمها له عمل اضافى بالنسبة لها ..

فقد اقتصر الله سبحانه مهمة السنة فى قوله جل شأنه : **(وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون)** .

والمعنى : انا أنزلنا اليك القرآن الذى هو تنبيه وتذكير ، أو الذى هو ذكر وشرف لك ولقومك ، لتوضحه للناس بأنوار سنتك وشمس هدايتك ..

ومن المعلوم أن الهدف الأسمى من أنزال القرآن هداية الناس وتعريفهم بربهم . وهذا متوقف على البيان الذى هو المهمة الأساسية للسنة النبوية الشريفة ..

ومما يدل على أن لها عملا اضافيا زائدا على البيان ، وهو أنها قد تستقل بتشريع بعض الأحكام ، وتأتى بأمور زائدة على ما فى القرآن ، لا سيما فيما يتعلق بالآداب العامة ، وباب الحلال والحرام قول الله تعالى : **(وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) فانه عام يشمل ما ورد فى القرآن وما لم يرد منه ..**

ومن المقرر فى القرآن قوله تعالى : (**من يطع الرسول فقد أطاع الله**) ..

ومقابله أن من يعص الرسول فقد عصى الله ..

ولو لم تأت السنة بجديد ـ لوقع الناس فى ضيق وحرج ، لأن القرآن معجز بأسلوبه ، حمال لوجوه بألفاظه . وقد فطن على كرم الله وجهه لذلك وقال لابن عباس وهو يناقش الخوارج : لا تناقشهم بالقرآن فانه حمال لوجوه وناقشهم بالسنة ، قال الله تعـــالى : (**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا**) ..

ولفظ (شىء) نكرة وقع بعد الشرط فيعم كما هو مقـــرر فى الأصـــول .

ومن عجب لقوم يزعمون انهم على الجادة وهم يشككون فى السنة التى هى المصدر الثانى للاسلام وتعاليمه ، يشككون فيهـــا طورا بدعوى عدم ثبوت نسبتها . والفيصل فى هذا كتب الصحاح التى تلقتها الأمة بالقبول بعد أن بذل أصحابها جهدا فى التحرى لم تصل اليه فلسفة المتفلسفين أو فذلكة المتشدقين بالألفاظ الجوفاء .

وتارة يشككون بدعوى مصادمة المنقول منها لفهم سقيم . والفيصل فى هذا الاحتكام الى أصول القواعد المسلمة من الجميع . ففى اللغة المشترك والمجاز والحقيقة . وفى الأصول العام والخاص ، والمطلق والمقيد : والترجيح والتاويل وغير ذلك ..

ولمـــا فهم بعض العرب من قول الله : (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) المعنى الظاهر انكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم ذلك ، وأوضح له أن المراد تمييز ضوء النهار من ظلمة الليل حيث قد بين الله ذلك بقوله : (من الفجـــر) ..

ومرة اخرى يشككون فيها بدعوى الاكتفاء بكتاب الله ، وهـذه كلمة حق يراد بها باطل . وقد حدثنا المعصوم صلى الله عليـه وسـلم ، فيما رواه عنه أبو داود والترمذى باسنادهما عن المقدام ابن معد يكرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الا انى أوتيت الكتاب ومثله معه ، الا يوشك رجل شبعان على أريكتـه يقول : عليكم بهذا القرآن : فما وجدتم فيه من حـلال فاحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، وان ما حرم رسول الله مثـل ما حرم الله ، الا لا يحل الحمار الأهلى ، ولا كل ذى ناب من السباع، ولا ذى مخلب من الطير : ولا لقطة معاهد الا أن يستغنى عنهـا صاحبها : ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه ، وله أن يعقبهم بمثـل قـراه) ..

فهذا الحديث صريح فى اثبات حجية السنة واستقلالها بتشريع بعض الأحكام لا سيما فيما يتعلق بتنظيم الآداب العامة وأبواب الحلال والحرام : لقوله صلى الله عليه وسلم فيه : (انى أوتيت الكتاب ومثله معه) اذ المراد بالكتاب القرآن ، وبالمثل السـنة ، ومثليتها له فى العمل بها كالعمل به ، ولقوله أيضـا : (وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله) ..

كما أنه اشتمل على عدة صور مما استقلت السنة بتحريمه : وهى : تحريم كل ذى ناب من السباع ، وكل ذى مخلب من الطير ، ولقطة المعاهد ، واشتمل مع هذا على بعض الآداب العـامة ، وهى قرى الضيف أى اكرامه ، واستحباب مكافاته لمن أقروه ، واشتمل مع هذا وذاك على معجزة باهرة للنبى عليه الصـلاة والسلام ، وهى الاخبار عن بعض المغيبات من انطواء ضـمير الغيب على فتنة غاشمة وحملة ظالمة يقودها غوى جاهل ومخدوع مارق يعميه البطر ويطغيه الغنى ويأسره الهوى والشهوى ويملكه الغرور فيدعى لنفسه العلم ، وينصب نفسه منصب الأمين الناصح، فيدعو الى عدم الاعتماد على السنة : وينادى بالاقتصاد على القرآن، وفى هذا من الخطر على الاسلام ما فيه .

ولست انكر أن فى بعضها المدسوس على رسول الله صـلى الله عليه وسلم ، وهذا يعرف بأصول محددة تطلب من علوم الحديث

كما أن فيها الضعيف اما لفقد شرط اتصال السند أو لتجريح الراوى أو لسوء ضبطه أو لشذوذ الثقة بالمخالفة لمن هو أوثق منه أو لوجود علة قادحة ، وهذا يطلب التعرف عليه من علوم الحديث أيضا .

ومن المقرر هناك أن بعض الضعيف يرتفع الى الحسن لغيره بالمتابعات والشواهد ، وبعضه لا يرتفع ولا يجوز العمل به حتى فى فضائل الأعمال .

واغلب الرواه الذين جرحوا وهم من رجال الصحيح عدلهم آخرون . فالبيان البيان ، والقصور أو التقصير — لا يخدم الاسلام فى شىء :

(واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) ..

أما الخلف العدول فهم الورثة الشرعيون من العلماء العاملين ، والمشار اليهم بقول النبى صلى الله عليه وسلم : (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) .

وتلك المهمة الصعبة التي يبذلون لتحقيقها أعمارهم وجهدهم ، وهم لا يرتابون فى أن هذا العلم دين ، فنظروا عمن يأخذون دينهم ، فقعدوا القواعد ، ووضعوا الحواجز والموانع ، وابتغوا بأعمالهم رضا الله .. وهم يعتقدون أن الاسلام هو حياتهم فى الأولى والآخرة ، والسنة هي المصدر الثانى له ، فالمحافظة عليها فى مستوى المحافظة على الحياة نفسها . ومن اجل ذلك دونوها فى الصدور والسطور ، وكيف لا وهى حديث حبيبهم وشفيعهم ، ومن أحب شيئا أكثر من ذكره ، ولله در من قال :

حدث وشنف بالحديث مسامعى
فحديث من أهوى حلى مسامعى
لله ما أحلى مكرره الذى
يحلو ويعذب فى مذاق السامع

بسماعه نلت الذى أملته
وبلغت كل مطالبى ومطامعى

وقال عبد الله بن رواحة :

وفينا رسول الله يتلو كتابه
اذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه
اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

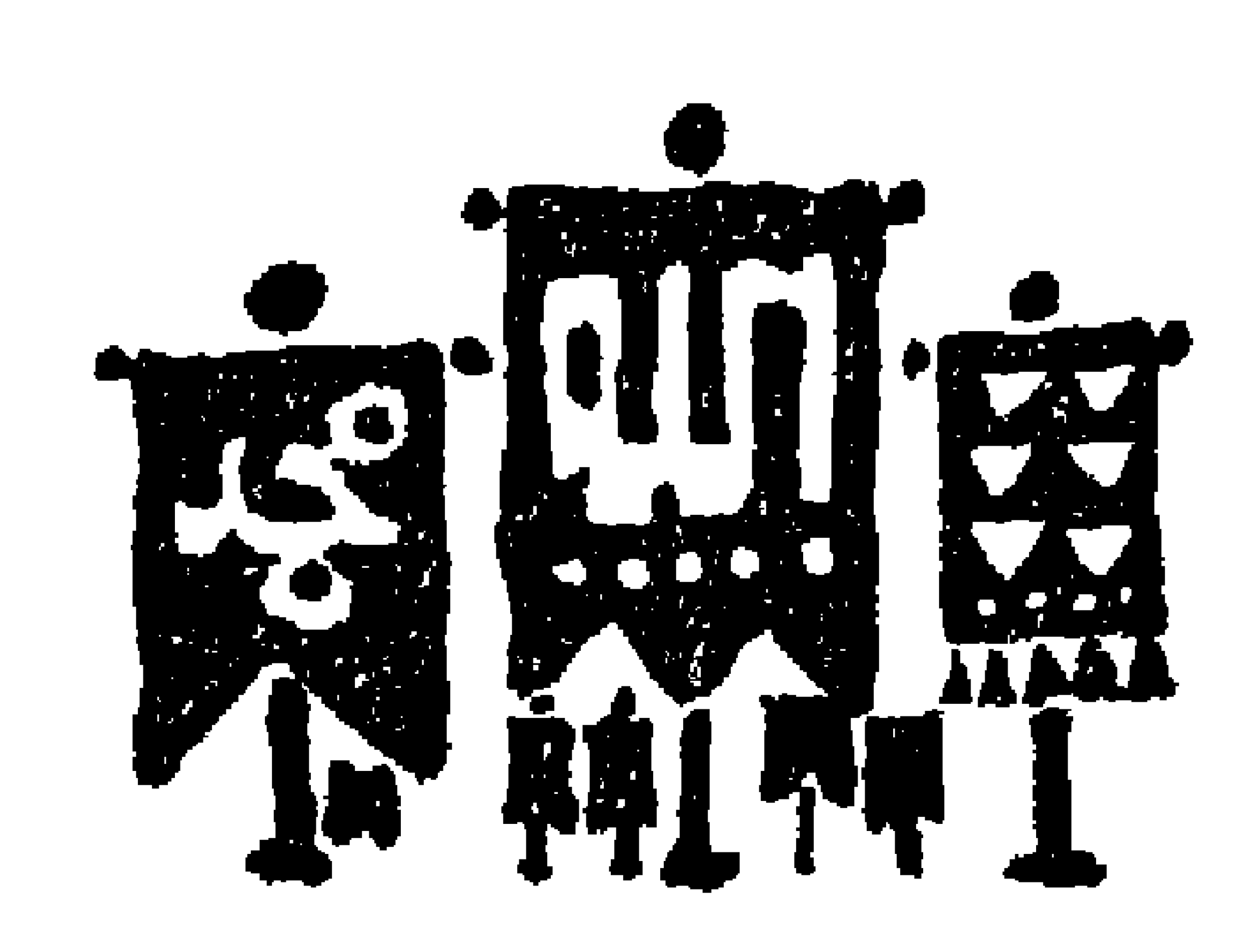
والمسلمون يتسابقون الى الخير ، وأى خير يساوى الاشتغال بالسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم : (نضر الله امرا سمع مقالتى فوعاها وأداها كما سمع ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه) وقال صلى الله عليه وسلم : (الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع) وقال داعيا : (اللهم ارحم خلفائى . قيل : ومن خلفاؤك يا رسول الله ؟ قال : الذين يروون أحاديثى ويعلمونها للناس) .

فالى المؤمنين به أن يذكروا رسالته ، والى غير المؤمنين به أن يذكروا انسانيته ، والى الكون أن يتعطر بنسيم ولادته ، والى الله أن يكتب لنا شفاعته : صلى الله عليه وسلم يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حاملا لواء الحمد فى يوم النشور .

المجاهد الأول
سيدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم

فضيلة الشيخ أحمد كامل الخضري

في كل عام حينما يهل علينا شهر ربيع الأول ، تتجدد ذكرى مولد النبي الأعظم ، خاتم الأنبياء ، وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وسلم ، مولد النور الذى اشرق على الانسانية كلها ، فبدد ظلمات الجهالة ، وقضى على الوحشية والاستبداد ، واضفى على البشرية سحائب الرحمة ، والخير والسعادة ، وسلك بها مسالك العز والسؤدد ..



نعم تتجدد هذه الذكرى الحبيبة العطرة .. التى تملأ النفوس ايمانا واطمئنانا ، والتى ترسم لنا اسباب النجاح فى سائر نواحى الحياة ، بما اشتملت عليه السيرة الشريفة من ارشادات سامية ، وتوجيهات حكيمة ،

ولقد امتن المولى سبحانه وتعالى علينا برسالته صلى الله عليه وسلم . وما اختص به من صفات طيبة كريمة .. وانه حريص على هدايتنا .. رءوف رحيم بنا — فقال عز وجـــل فى كتـــابه الكريم **« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم .. فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم »** .

وسماه صلى الله عليه وسلم نورا فى قوله سبحانه **« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين »** .

فالنور هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. والكتاب المبين هو القرآن الكريم .

فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نور عظيم ملأ الدنيـــا كلها .. وهو اكبر نعمة انعم الله بها على الوجود .

كذلك كتاب الله الأزلى الخالد . نعمة كبرى أنعم الله بها عـــلى الانسانية كلها . فكان مصدر خيرها وسعادتها .

* * *

وفى هذه الأيام .. ونحن فى معركتنا مع الصهاينة الغادرين .. حينما نعرض ذكرى مولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .. نذكر مواقفه فى الحرب والقتال ومجاهدة أعداء الاسلام . ومجاهدة الصهاينة الذين كانوا بالمدينة .. والذين كانوا اشد الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين ، كما بين ذلك المولى سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز . حيث يقول « لتجدن أشـــد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصـــارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون » .

نعم نذكر مواقفه صلى الله عليه وسلم . ونذكر ما اختص به من خبرة ودراية . وانه كان المجاهد الأول فى هذا الســـبيل ..

فنتأسى به صلى الله عليه وسلم . ونستنير بأساليبه وفنونه . ونقتدى به فيها ...

لقد كان صلى الله عليه وسلم يستعد دائما لقتال اعداء الاسلام . امتثالا لقوله تعالى ((**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون**)) .

وكان يأمر أصحابه بالتدريب على الرمى .. ولا شك أن هذا التدرب عبادة يتقرب بها الى الله عز وجل .

كما أن كل عمل يقصد به الاعداد لقتال أعداء الاسلام والمسلمين فانه يكون عبادة يثيب الله عليها .. بل هو من أجل أنواع العبادة .

وكان من حكمته وفطنته صلى الله عليه وسلم . انه حينما يعسكر بجيشه .. يختار المكان المناسب . الذى يتفق مع مصلحة الجيش وحاجاته ...

وكان يحدد لكل فرقة من فرق الجيش مكانها . ويتولى بنفسه تنظيم كل أمر يتعلق بالقتال ...

ففى غزوة بدر الكبرى . نزل صلى الله عليه وسلم على أدنى ماء من قريش . وغور ما عداه من القلب . وبنى حوضا . فكان المسلمون يستقون منه . ولا تستقى قريش .. وكان هذا رأيا حكيما زكاه الأمين جبريل عليه السلام ..

وفى غزوة أحد .. رتب الجيش .. واعدَّ لكل فئة موقفها وجعل الرماة فوق الجبل بحيث يحمون ظهر المسلمين ، وأمرهم الا يتركوا موقفهم الا بأمر منه صلى الله عليه وسلم . حتى لو انهزم المشركون . وانتصر عليهم المسلمون .

ولكن الرماة — مع الأسف الشديد — حينما وجدوا المشركين

قد انهزموا .. خالفوا أمره صلى الله عليه وسلم ، وتركوا موقفهم، سعيا وراء الغنائم .. فانكشف ظهر المسلمين ، وأحاط بهم المشركون .. وهنا وقعت الكارثة المعروفة في غزوة أحد ..

وكان هذا درسا قاسيا للصحابة رضوان الله عليهم .. جعلهم بعد ذلك لا يخالفون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا ، ولا يعارضون رأيا ...

ومما زاد في شدة الموقف ، أن المصطفى صلى الله عليه وسلم أصيب في هذه الغزوة ، وكسرت رباعيته الشريفة .. وسال دمه الكريم ، فكان يتلقفه بيده المباركة وهو يقول (**لو سقط منه شيء على الأرض ، لنزلت عليهم اللعنة .. فانظر الى رحمته صلى الله عليه وسلم ، حتى بأعدائه في هذا الموقف) !! ...**

وقال له بعض أصحابه .. هلا دعوت عليهم يا رسول الله .. فقال صلوات الله وسلامه عليه ... انى لم أبعث لعانا ، ولكنى بعثت هاديا ورحمة ...

فما أسمى هذا ! ، وما أجله وأعظمه ! ..

صلوات الله وسلامه وتحياته وبركاته عليك يا سيدى يا رسول الله ..

وفى غزوة الأحزاب ... حينما تجمعت القبائل العربية كلها .. وأقبلت الى المدينة المنورة .. تريد القضاء على الاسلام والمسلمين .. واشتد الموقف .. فاستشار صلى الله عليه وسلم أصحابه .. فأشار عليه سلمان الفارسى رضى الله عنه بحفر الخندق حول المدينة .. فتقبل مشورته ، وأمر أصحابه بحفر الخندق .. ولذلك تسمى هذه الغزوة غزوة الأحزاب .. وغزوة الخندق .

وكان لذلك شأن عظيم فى الحيلولة بين هذه الجيوش الجرارة، وبين الوصول الى المدينة والنيل من المسلمين ..

ثم أخذ صلى الله عليه وسلم يدبر بحكمته وخبرته ورويته لهذه الجموع المحتشدة .. ويعمل للايقاع بينهم . وبث الاختلاف بينهم وبين حلفائهم .. وساعدته العناية الالهية .. فارسل الله سبحانه وتعالى عليهم ريحا باردة . فى ليلة مظلمة خلعت خيامهم .. واكفأت قدورهم . وأطفأت نيرانهم . وملأت قلوبهم خوفا ورعبا ... فازمعوا على الرحيل .. وهكذا عادوا أذلاء صاغرين مدحورين بلا حرب ولا قتال . بعد أن كانوا مزهوين بكثرتهم وعدتهم وسلاحهم ...

وحينما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الجموع المحتشدة تولى عائدة من حيث أتت ... وقف وقفته المشهورة .. معتزا بعزة الله .. محفوفا بعنايته ورعايته . منصورا بتأييده وقوته ... وقال تلك الكلمة الخالدة ...

(لن تقوم للشرك بعد اليوم قائمة فى الجزيرة العربية كلها ..).

قالها وهو يتطلع لهذه الجيوش توالى انسحابها . وتتابع ادبارها وعودتها ...

وقد حقق الحق تبارك وتعالى كلمة حبيبه ورسوله صلى الله عليه وسلم . فانكسرت شوكة المشركين ، واصبحوا يتضاءلون حسا ومعنى . وأخذ نور الاسلام يملأ الآفاق . ويمحوا أمامه ظلام الشرك والوثنية .. ويمحق الكفر والطغيان ...

وذلك كله بفضل قيادته صلى الله عليه وسلم ... تلك القيادة الحكيمة الرشيدة . التى أودعها الخالق جل وعلا . نبيه العظيم .. وخاتم رسله عليه وعليهم أفضل الصلاة واتم التسليم ...

وكان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس . واصلبهم عودا . واقواهم جنانا .. وحينما تشتد المواقف يحارب بنفسه . وينحاز أصحابه اليه . ويتخذونه درعا وحصنا وردءا ...

وكان فى صموده وثباته وقوة عزيمته المثل الأعلى . لا يتزلزل ولا يتململ . بل كله ثقة فى الله . وايمان به سبحانه ...

وكما ان المولى سبحانه وتعالى امرنا بالاعداد المادى لقتال الاعداء . وذلك بمختلف انواع العتاد والسلاح . كل زمن وكل عصر بحسبه .. فالاعداد فى هذه الأيام يكون بالدبابات والمدرعات والصواريخ والطائرات والبوارج البحرية . والغواصات وسائر انواع العتاد الحربى الحديث ...

كذلك أمرنا سبحانه وتعالى بالاعداد الروحى . والاتصال به سبحانه . والاطمئنان الى وعده الكريم . الذى لا يتخلف .. فهو سبحانه وتعالى يقول « **يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم** » .. والمعنى ان تنصروه بالايمان الصادق به سبحانه . وبطاعته وتنفيذ أوامره . واجتناب نواهيه . والخشية منه . ومراقبته فى السر والعلن . ان فعلنا ذلك .. فانه ينصرنا على اعدائنا . ويثبت اقدامنا . ويمنحنا الغلبة عليهم . ويرد علينا ارضنا السليبة ، ويعيد الينا قدسنا الحبيبة ..

ويقول سبحانه فى آية آخرى « **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** » فهذا وعد كريم صريح منه سبحانه وتعالى اننا اذا آمنا به حقا .. وراقبناه فى كل أمورنا . وأدينا له حق الطاعة والانابة . ولم نخالف أمره .. فانه سبحانه وتعالى ينصرنا على أعدائنا ..

والقرآن الكريم .. حافل بالآيات المتعلقة بالجهاد والحرب فى سبيل الله تعالى . ووجوب الثبات والصمود وتنظيم الصفوف عند مواجهتهم .. والشجاعة والاقدام عند ملاقاتهم ..

يقول جل ذكره « **ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص** » .

يعنى أنه سبحانه يحب من عباده المؤمنين أن يصمدوا فى قتالهم وجهادهم للأعداء . ويثبتوا فى أماكنهم ثبات البنيان المرصوص ..

وهذا الحب يقتضى الايجاب .. أى يحب ذلك منهم ويوجبه عليهم ... ويقول سبحانه « **ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار .. ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا**

لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

فهذا صريح فى وجوب الثبات والصمود عند ملاقاة الأعـــداء وقتالهم . وفى أن التولى والفرار عند مواجهتهم أمر يغضب الله تبارك وتعالى ... ويستحق فاعله عليه العذاب الأليم . ويكون مأواه الذى يصير اليه نار جهنم والعياذ بالله تعالى ...

فلا يجوز الانسحاب والتقهقر .. الا اذا كان لمصلحة القتال نفسه . كتغيير الموقف الى موقف أحسن . أو الانضمام الى فئة من المسلمين المقاتلين لاكتساب القوة والقدرة على الحرب والقتال.

ومن أروع ما يلفت النظر فى الآداب الكريمة . التى ذكرها الحق تبارك وتعالى فى كتابه العزيز .. ما يتعلق بوجوب المحافظة على الصلاة .. حتى وقت ملاقاة الأعداء . واشـــتباك الجيوش .. فتؤدى الصلاة فى وقتها جماعة . مع الحذر الشديد .. والحيطة التامة ...

يقول رب العزة سبحانه وتعالى :

« واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخـــذوا حـــذرهم وأســـلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينـــا » .

فهذه الآية الكريمة. تنظم الصلاة وقتمواجهة الأعداء وملاقاتهم، وتدعو الى المحافظة على أدائها فى جماعة . لمنزلة فضل الجماعة .

يقول صلى الله عليه وسلم (**صلاة الجماعة تعدل صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة**) وفى رواية (بسبع وعشرين درجة) ...

ولا شك أن أداء الصلاة . والمحافظة عليها . وكونها فى جماعة ... انما هو من الاعداد الروحي العظيم . الذى أمرنا الله تبارك وتعالى به ... لنحظى بنصر الله تعالى . ونفــوز بالغلبة على أعدائنا ...

* * *

فنحن بمناسبة هذه الذكرى الكريمة العطرة . ذكرى مولد النبى صلى الله عليه وسلم ... ما أجدرنا أن نذكر كل هذا .. وأن نتأسى به صلى الله عليه وسلم .. ونتابع اعداد أنفسنا للقتــال والجهاد . ونأخذ حذرنا من عدونا الغادر . ونعمــل على تقوية جيشنا تقوية مادية وروحية .. ونؤمن بالله عز وجل ايمانا قويا يملأ القلوب . وتفيض آثاره على جوارحنا . وتظهر فى سلوكنا وتصرفاتنا وأعمالنا . وأن نديم الصلة بالحق تبارك وتعــالى . ونراقبه فى كل أمورنا . حتى يتمم الله لنا النصر .. ويطهر الارض العربية كلها من دنس الصهيونية . ويخلص المسجد الأقصى المبارك من سيطرتهم .. ويعيد لاخواننا أهل فلسطين حقوقهم كاملة ...

واننا لنسجل هنا بالحمد والتقدير الجهود العظيمة المتواصلة التى يبذلها الرجل الصالح المؤمن . رئيس جمهوريتنا السيد « محمد انور السادات » فى هذا السبيل ...

وما زيارته لفرنسا الا مظهر من مظاهر هذه الجهود .. لامداد جيشنا بالمعدات الحديثة للحرب والجهاد .. امتثالا لأمر الله تعالى وارضاء له سبحانه ...

نسأل الله جلت قدرته . أن يشمله بتوفيقه ورعايته .. وأن يتمم لنا النصر التام الكامل الشامل على يديه .. وأن يعيد علينــا ذكرى المولد النبوى الشريف .. وقد تحققت كل آمالنا وأمانينا . وما ذلك على الله بعزيز . وهو سبحانه وتعــالى حسـبنا ونعم الوكيل .. نعم المولى ونعم النصير .

الرسالة الخالدة

فضيلة الشيخ محمد هلال عبد الرسول

دار الفلك دورته وقطعت الدنيا مرحلة من حياتها ليلتقى العالم أجمع موحده وغير موحده مع رسول الله هادى الانسانية ومنقذ البشرية والنور الساطع الذى بدد ضباب الجاهلية وأعاد للدنيا أمنها .



فى ساعة من ساعات الفلك الدائر تلك التى سعدت بها الحياة وطابت واشرقت بها جنبات الأرض وستظل سمع الدنيا وبصرها شاخصة فى جبين الزمن يرددها التاريخ ما سبح فى الأرض مسبح وما سطعت شمس وبزغ قمر وأقبل ليل وادبر نهار .

فى هذه الساعة الخالدة تنفست مكة — بلد الله الأمين — عن درة الكون واية السماء الى الأرض وجاءت السماء باكرم وأعظم مولود تلقاه الزمن وأعز شخصية عرفها الوجود ولد الرسول

صلوات الله وسلامه عليه يتيما لاضنامن القدر بوالديه عليه بل ليكون فى يتمه اية من آيات الله الذى صنعه على عينه وأدبه بأدبه وأواه فى كنفه ولحظه بعنايته ورعايته منذ ولد ، وهيأه لحمل رسالة الحياة الخالدة ليعيد اليها شبابها وينقذها من وهدتها .

والحقيقة التى بدت كالصبح اذا أسفر أن اى كاتب أو متحدث عن رسول الله وليدا ورسولا وداعيا الى الله باذنه وقائدا موفقا ومعلما ملهما يجد الحيرة ويرى نفسه امام بحر لا ساحل له وفى افاق لا منتهى لها فنواحى العظمة فى نبى الانسانية متعددة الجوانب كل ناحية من نواحيه زاخرة بما لا يحده حد ولا تحتويه عبارة ولا يحيط به بيان ولله در البوصيرى الذى يقول .

وجملة القول فيه انه بشر   وانه خير خلق الله كلهم

ومن حق كل مسلم شاء الله له أن يكون من الأمة الوسط أن يعتز ويفخر بامامة الرسول لها وحول هذا المعنى يحلق الشاعر

ومما زادنى شرفا وفخرا   وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى   وأن صيرت احمد لى نبيا

والحق ان امام المرسلين بلغ من المجد حدا يفوق العد يفوق الحصر فهو خلاصة الانسانية وصفوة البشرية أقسم الله بحياته وصلى عليه وملائكته وأمرنا بذلك لأنه فى قلوبنا حاضر تراه عيون أفئدتنا وتحس به كل جارحة من جوارحنا ولد الرسول وكان معه دلائل النبوة ومبشرات الرسالة الخالدة الخاتمة .

والتى تدل على أنه سيد ولد أدم وأنه سيغير منهج الحياة الى منهج قويم مستقيم ويقضى على الظلم ويقيم العدل ويرفع منارة الحق ليدفع الباطل ويزهقه وينهى عن عبادة الانسان للانسان وسيطرة القوى على الضعيف وبطش الغنى بالفقير **ولعل من مبشرات الرسالة استجابة الله دعوة أبى الأنبياء ابراهيم عليه السلام حيث توجه الى خالقه أن يرسل من بنى اسماعيل رسولا صالحا فى نفسه ولغيره مصلحا والى هذا يشير القرآن المجيد (واذ يرفع**

ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم) .

وقد وافقت هذه الدعوة قدر الله واستجابت السماء لدعوة ابى الانبياء وكان النبى من اطيب منبت واعظم أرومة .

وفى اصالة هذه الشجرة المباركة يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه (**ان الله اصطفى من العرب قريشا واصطفى من** قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم فأنا خيار من خيار من خيار) .

وكثيرا ما كان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يتحدث عن عراقة أصله وطهارة نسبه وان سلسلة هذا البيت الطاهر لم تتلوث بسفاح الجاهلية .

روى الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدنى أبى وأمى لم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء) .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لم يلتق أبواى قط على سفاح لم يزل ينقلنى من الأصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفا مهذبا لا تنشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما) .

وتتحدث الشفاء ام عبد الرحمن عما ابصرته فتقول لما ولدت آمنة محمدا صلى الله عليه وسلم ووقع على يدى استهل صارخا فسمعت قائلا يقول رحمك ربك .

قالت الشفاء فأضاء لى ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى

بعض قصور الشام — كرم الله رسوله في كل اطوار حياته اشارة الي عظم شخصيته وسمو منزلته وانه الرجاء المنتظر والأمل المرتقب ففي الطور الأول والرسول صلوات الله وسلامه عليه في عـالم الذر اخذ العهد على الانبياء والمرسلين الذين اصطفاهم لحمـل رسالته وتبليغ أمانته — على أن يعززوا رسالة سيدنا محمد وان يؤمنوا بصدق هذه الرسالة واشهدهم على هذا العهد وكان رب العزة معهم من الشاهدين ليسجل في صفحات الدنيا هذا الفخـر الخالد لرسوله وصفيه وخليله صاحب المقام المحمود واللواء المعقود والدرجة العلية والشفاعة العظمى والى هذه الوثيقة الربانية يقص القرآن المجيد (**وإذ آخذ الله ميثاق النبيين لمـا آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لمـا معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**) .

وحول هذا البيان القرآني يروى على بن ابى طالب وابن عباس رضى الله عنهما (**ما بعث الله نبيا من الأنبياء الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حى ليومنن به وينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه** .

عن العرباض بن سارية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (انى عند الله لخاتم النبيين وان آدم لمجندل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة ابراهيم وبشـارة عيسى بى ورؤيا أمى التى رأت وكذلك امهات المؤمنين يرين) .

وتحدثنا أم الوليد العظيم عنه بعد أن صحبته الي يثرب لزيارة أخواله من بني النجار وبعد أن مكثت هناك شهراً عادت به وما أن وصلت الى الأبواء بين مكة والمدينة حتي دنا منها المرض واشتدت وطأته وبعد أن ايقنت انها مرتحلة الى ربها وفى آخر لحظـة من لحظات دنياها وأول لحظة من لحظات آخراها كان آخر ما تحدثت به قولها — كل حى ميت وكل جديد بال وكل كثير يفنى وانا ميتة وذكرى باق وقد تركت خيرا وولدت طهرا — سائد هذا الكلم الذى وافق الحقيقة الارهاصات التى ان دلت فانما تدل على ان لرسول الله شأنا من هذه الارهاصات والمبشرات **ما رواه ابن كثير نقلا**

عن رواية مسلم عن ثابت عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه ثم شق عن قلبه فاستخرج القلب واستخرج منه علقة سوداء فقال هذا حظ الشيطان ثم غسله في طست من ذهب بما زمزم ثم لامه ثم أعاده الى مكانه قال انس وقد كنت ارى ذلك المخيط في صدره .

ولما علمت السيدة آمنة ما حدثت به حليمة السعدية وما اعتراها من وجل واضطراب اثر علمها بهذه الحادثة قالت لها اخشيت عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شـــأن .

ومما يدل على عظمة الرســـول وان الدلائل والمبشرات التقت كلها لتعلن انه النبي المنتظر ما رواه ابن سعد فى الطبقـات قال ما ملخصه — لما خرج ابو طالب الى الشام خرج معه رسول الله وهو ابن ثنتى عشرة سنة فلما نزل الركب بصرى بالشام وكان بها راهب يقال بحيرا لفت نظره ان سحابة تظلل رســـول الله اينما سار من بين القوم فقال للقوم — وذلك على غـــير عادته — انى صنعت لكم طعاما فلا يتخلف عنه احد ليتبين حقيقة رســـول الله فحضر القوم الا رسول الله تركوه عند رحالهم لحداثة سنه ولما رأى بحيرا ان رسول الله لم يحضر انكر على القوم عدم احضاره ثم طلب منهم ان يحضروه ولما دنا منه قال له :

— أسالك بحق اللات والعزى الا أخبرتني عما أسالك فقـــال الرسول لا تسألنى باللات والعزى فوالله ما أبغضت شيئا بغضهما قال فبالله الا أخبرتنى عما أسالك عنه قال سلنى عما بدا لك فساله والرسول يجيب بما فى نفســـه ثم جعل ينظر بين عينيه وكشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه فقبل موضع الخاتم فقال الراهب لأبى طالب ارجع بابن أخيك واحذر عليه من اليهود — ولقد ترجم أبو طالب عن ايمانه بصدق ما سمع حينما ذهب خاطبا السيدة خديجة بنت خويلد الى رسول الله وخطب قائلا — ان محمد بن عبد الله بن أخى من لا يوازن به فتى من قريش الارجح عليه برا وفضلا وكرما وعقلا وحلما ونبلا وان كان فى المال قل فان المال

ظل زائل وعارية مستردة الى أن قال — وهو والله بعـد هذا له نبـأ عظيم .

ولئن كان هذا تنبؤ أبي طالب لابن أخيه فقد سبقه الى البشارة برسالته قس بن ساعدة الآيادى أحد خطباء العرب فى الجاهلية قال — ان فى السماء لخبرا وان فى الأرض لعبرا ليل داج وسماء ذات ابراج وارض ذات فجاج وبحار ذات أمواج مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا هناك فناموا أقسم قس قسما لاحانثا فيه ولا آثما ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه ونبيا قد حان حينه وأظلكم أوانه وأدرككم بابانه فطوبى لمن أدركه فآمن به وهداه وويل لمن خالفه وعصاه .

ومن المبشرات ما جاء فى التوراة عن رسول الله من الصفات التى كرمه الله بها وزانه .

روى البخارى ان عطاء بن يسار سأل عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أجل والله أنه لموصوف فى التوراة ببعض صفاته فى القرآن وهو (يا أيها النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) للاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر وان يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا وقلوبا غلفا) .

وفى اطار هذه البشارة يروى الامام البغوى عن عبد الله بن سلام عن كعب الأحبار أنه قال انى أجد فى التوراة مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة ولكن يعفو ويصفح أمته الحامدون يحمدون الله فى كل منزلة ويكبرونه على كل مجد ويغضون أطرافهم صفهم فى الصلاة وصفهم فى القتال سواء مناديهم ينادى فى جو السماء لهم فى جوف الليل دوى كدوى النحل مولده مكة ومهاجره المدينة) .

ويؤيد هذه البشارة قول الله تعالى (**الذين يتبعون الرسـول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم**

بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به **وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون) .**

واذا ما بشرت التوراة برسالة الرسول فان الانجيل يلتقى معها فى هذه البشارة فقد تضمن الانجيل عن عيسى (ان احببتمونى فاحفظوا وصيتى وأنا أطلب الى ابى فيعطيكم بار قليط آخر يكون معكم الدهر كله .

وهذا القول من عيسى عليه السلام يدل على ان الله سوف يبعث بعد عيسى رسولا يبلغ رسالة الله الى الناس جميعا وان شريعته باقية خالدة ويكون هو خاتم النبيين ولم يأت بعد عيسى عليه السلام الا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

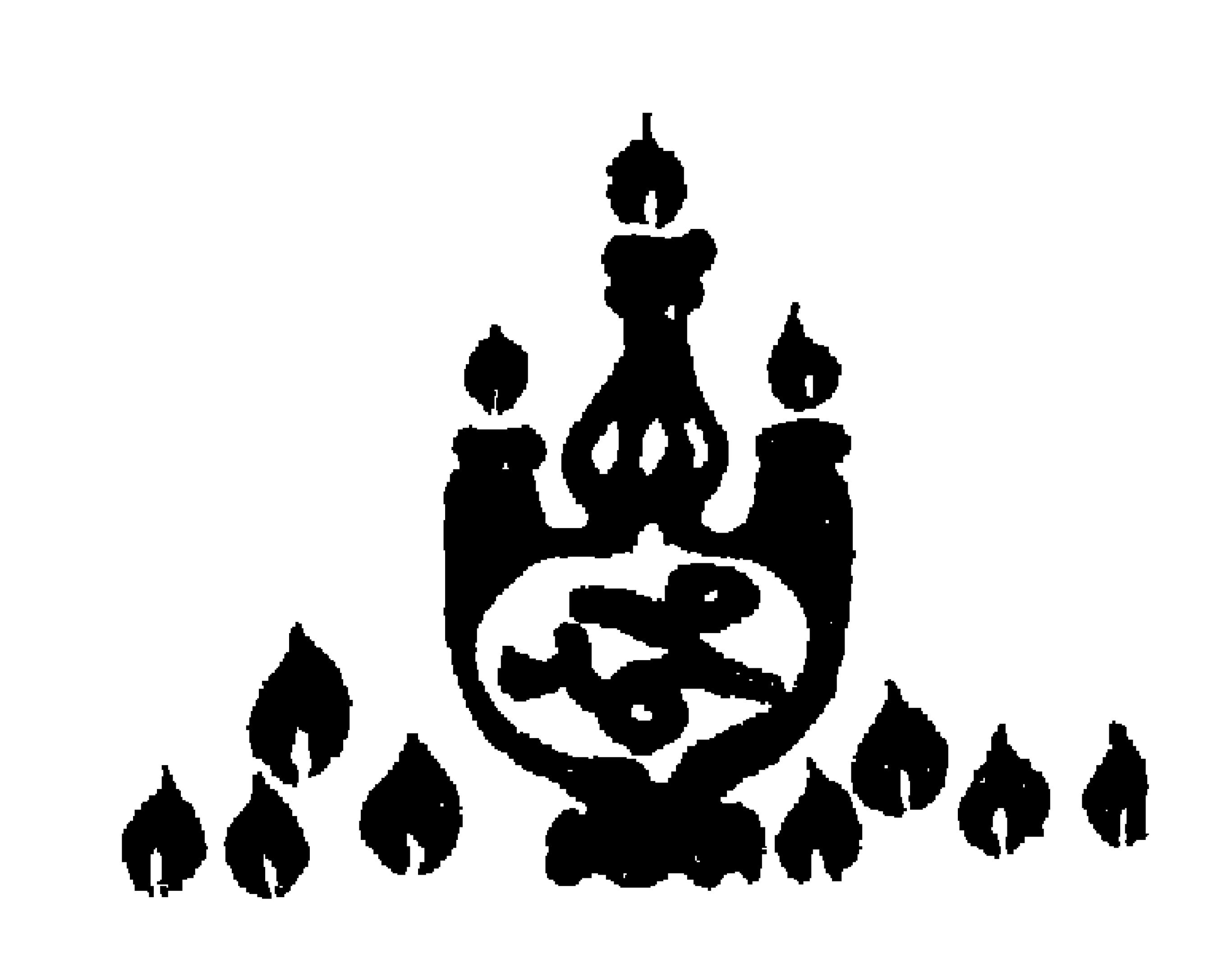
يعزز ذلك القول الذى ورد فى العهد الجديد قول الله (واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد)

وكان أمية بن الصلت يقول — انى لأجد فى الكتب صفة نبى يبعث فى بلادنا كما حدث سلمان الفارس رضى الله عنه انه صحب قسيسا وكان يقول له — يا سلمان ان الله سوف يبعث رسولا اسمه احمد يخرج من جبال تهامة علامته أن يأكل من الهدية ولا يأكل الصدقة — سيدنا رسول الله سلام الله عليك فى ذكرى مولدك وسلام الله عليك فى ذكرى مبعثك وسلام الله عليك يوم تبعث شفيعا لأمتك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

من وحي المدينة

ربع قرن صنع تاريخ أمة

الدكتور محمد محمد خليفة



لم تبلغ أمة من الشموخ والعزة والسلطان ما بلغته الأمة الاسلامية التى بناها الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فى ربع قرن من الزمان ، حيث خفق لواؤها فى فجر التاريخ الاسلامى على الجزيرة العربية والعراق وبلاد فارس والشام ومصر وجزء كبير من شمالى أفريقية ، فكانت هذه الرقعة من العالم نواة الأمة الاسلامية الكبيرة.

وقد سقطت امام جيوش الفتح فى تلك الفترة أعظم قوتين تحكمتا فى مصير العالم آنئذ ، فانحنى الفرس ، وطأطأ الروم خضوعا للمعجزة التى طالعهم بها المؤمنون الذين صقلتهم شريعة الاسلام فخلقت منهم خلقا جديدا عاش فى حدودها دائب العمل لخلق الكيان الاسلامى وقد شاركت شعوب هذه الأقطار أولئك العرب فى بناء الأمة الاسلامية التى أنكرت الجنس واللون ، وربط شعوبها

على تنائى الاقطار توحيدَ الله ، وكتاب الله ، والايمان بخــاتم رسل الله ..

وعاشت جهود مئات الآلاف من أولئك المؤمنين ربع قرن تأبى أمجاد تلك الأمة فى تضافر متكاتف لا شائبة فيه للمن الذى يحبط العمل ، ولا للاستغلال الذى يفقد الثقة ولا للتواكل الذى يورث العلل ويؤرث الأضغان ..

ففى كل ميدان عمل ، حيث تتلاقى الجهود عند الأمل ، والأمل الذى تتزاحم عنــده القوى ، وتتلاقى الخطى هو صــنع التاريخ لتلك الأمة .

لقد راد الايمان هذا الجيل ليصــنع تاريخ الأمة العظيمة من المفكرين لذواتهم ومن الزاهدين فى الجاه والسـلطان والمناصب ، بل فى طيب العيش ، ومن الصابرين (فى البأساء والضراء وحين البــأس) ومن البــاذلين لما يملكون من مال وولد ، بل من نفس ومن الورعين الذين يخافون حساب الله ، ومن الأبطــال الذين لا يثنيهم حب الحياة عن الجــود بالأرواح فى ســبيل الله ، من الفدائيين الذين يستهينون بالأخطار فى سبيل بناء تلك الأمة ، ومن الحكماء الذين ترى بصائرهم الاراء البــانية ومن العلمــاء الذين فقهوا الدين وهدوا الأمة الى صراط الله ، ومن الدهاة الذين خطط ذكاؤهم لمصير الأمة فى معاركها وسياســتها ومن الأوابين الذين **(تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا) ..**

لقد صنع كل هؤلاء الأمة التى سمت فى ظلال القرآن الى مكانة لم يعرفها التاريخ لأمة تضافر كل من فيها على العمل ، وحثها على الطريق الى الغاية صوت الاســلام مدوى فى أعماقها ، وهيهات لها أن تنام ، أو ينام كفاحها ووحى السماء يهز مشاعرها ، وأصوات الرواد تهيب بها ، والايمان الثائر العامل يلهبها لتمضى الى حيث يريدها الله أمة تعمل أخلاقها قبل أن تعمل سيوفها ، وتشرق على الدنيا مبادؤها قبل أن تطالع الجاحدين حرابها ، وتنبعث قوتها من صدق عقيدتها لتحرير العقول من مجوسيتها أو وثنيتها أو يهوديتها المنحرفة ولم تنبعث تلك القوة من شهوة القلب والسيطرة والتحكم وغير ذلك من أسباب الهوى .

وكم فى أولئك الذين صنعوا التاريخ فى تلك الفترة من صادق فى ايمانه وصادق فى ورعه وصادق فى بطولته وفى تفانيه فى سبيل الدعوة ، وكم فيهم من صادق فى زهده وصادق فى تواضعه :

فليس ابو ذر فلتة من فلتات الزمن فكان وحده فى جيله الذى يغلى قلبه بالثورة الصادقة على كل من يشوه جلال هذه الأمة المبعوثة باستئثار او استغلال ، فهنالك عمر وعلى وعشرات من الثائرين غير ابى ذر وعمر وعلى فان استصفاء عمر لثروات الولاة وقسم اموالهم ومواقفه من هند وأبى سفيان ومعاوية وأبى هريرة وخالد كل ذلك يحمل الدليل على أن اباذر لم يكن وحده الحريص على المسلمين وانما هو من صورة الصادقين الثائرين . ولم يكن ابن عمر وحده رأس الورعين فى هذه الأمة حين قدم اليه صديق دواء لهضم الطعام فقال له : انى لم اشبع من طعام منذ اربعين عاما ، فكم غنيت هذه الفترة بالورعين وفى طليعتهم ابوه ، **ومازال التاريخ يعى الكثير من صور ورعه ، أليس فى صورته الشاحبة وجسده الذى كاد يبليه الجفاف فى عام الرمادة شاهد على ورعه الراعى الذى يخاف حساب الله فيلبى الا أن ياكل ما يأكله الناس ان وجدوا طعاما فان لم يجدوا شدوا على البطون، واستسلموا لأنياب الجوع صابرين على البلاء شامخين فى هذا الابتلاء ، وأمير المؤمنين بينهم أول من يجوع وآخر من يأكل .**

وليس خالد وحده البطل فى هذه المرحلة من تاريخ الاسلام حين انتصر فى اليمامة على جيوش مسيلمة الكذاب ، وعلى الفرس والروم فى اكثر من معركة ، ولكن هنالك ابطال غير خالد انحنى لهم التاريخ من أمثال أبى عبيدة الجراح ، والمقداد بن الأسود ، وسلمان الفارسى والقعقاع بن عمرو وعمرو بن العاص ، هنالك سعد بن أبى وقاص الذى تجلت بطولته وعبقريته فى عبور دجلة ليزحف الى المدائن ، وكان العبور بالغ الخطورة على جيش المسلمين ، وحرص سعد على حياة المقاتلين وتوفيرها للمعركة فعمل على تأمين المكان الذى يعبر منه الجيش وبعث بكتيبتين من الفدائيين لدرء الخطر ، وتأمين الجيش السابح وراءهم حتى لا تتصيدهم قوات الفرس قبل أن يبلغوا الشاطىء وأمر على كتيبتين الفدائين القعقاع بن عمرو وعاصم بن عمرو ، ثم اقتحم بفرسه

دجلة وسبح الجيش وراءه بين التهليل والتكبير فما فقدوا في الماء جنديا ، ثم كان نصر الله للمؤمنين .

ولم يكن عمر وحده الصادق فى تواضعه حين حمل الدقيق على كاهله ليطعم أولئك الصغار الذين كانوا يتضورون جوعا على مقربة من المدينة وحين راح ينضج لهم الطعام بنفسه ، وينفخ فى النار فيتخلل دخانها لحيته وأم الصبية لا تعلم أن ذلك الطاهى هو أمير المؤمنين عمر حيث قالت له : أو ما كان عمر أولى منك بهذا الذى تصنع ، لم يكن عمر وحده المتواضع فى الأمة التى يرعاها فكم بين بناة هذه الأمة ومشيديها من متواضع فلم يزل يحفظ التاريخ لسلمان الفارسى أمير المدائن موقفا كموقف عمر حين لقيه على مشارف المدائن رجل من الشام يحمل حملا من التمر ينوء به كاهله فطلب من الأمير أن يحمله عنه وهو لا يدرى أنه بين يدى الصحابى العظيم سلمان الفارسى فحمل عنه حمله هانئا فلما دخلا مدينة المدائن ألقى سلمان السلام على جماعة فأقبلوا عليه وقالوا وعلى الأمير السلام وسألوه أن يحملوا عنه ما يحمل ، وجم الشامى حين علم أن أمير المدائن هو الذى يحمل فأراد أن يحمله عنه فامتنع سلمان وقال له :

لا . حتى ابلغك منزلك .

وهكذا تجلت فى هذه الفترة المناقب العظيمة التى كانت منائر على الطريق كما تجلت الجهود والعبقريات التى شيدت البنــاء الشامخ للأمة فى ربع قرن .

ولم تشهد مدينة منذ فجر التاريخ ما شهدته مدينة الرســول عليه الصلاة والسلام فى تلك الكثرة من الشخصيات الذين وهبوا حياتهم للأمة .

حقا لقد كان فى العاصمة الأولى للملك الاسلامى عظائم وعظماء تنحنى عندهم الهامات من الساسة والحكماء والعباقرة والحكام والعلمــاء .

ولكم شهدت الجبال المحيطة بالمدينة جيوشا تموج تحت الألوية مندفعة الى غاياتها كالمحيط الزاخر لا تفتر لها عزيمة ولا يقعد بها ملل .

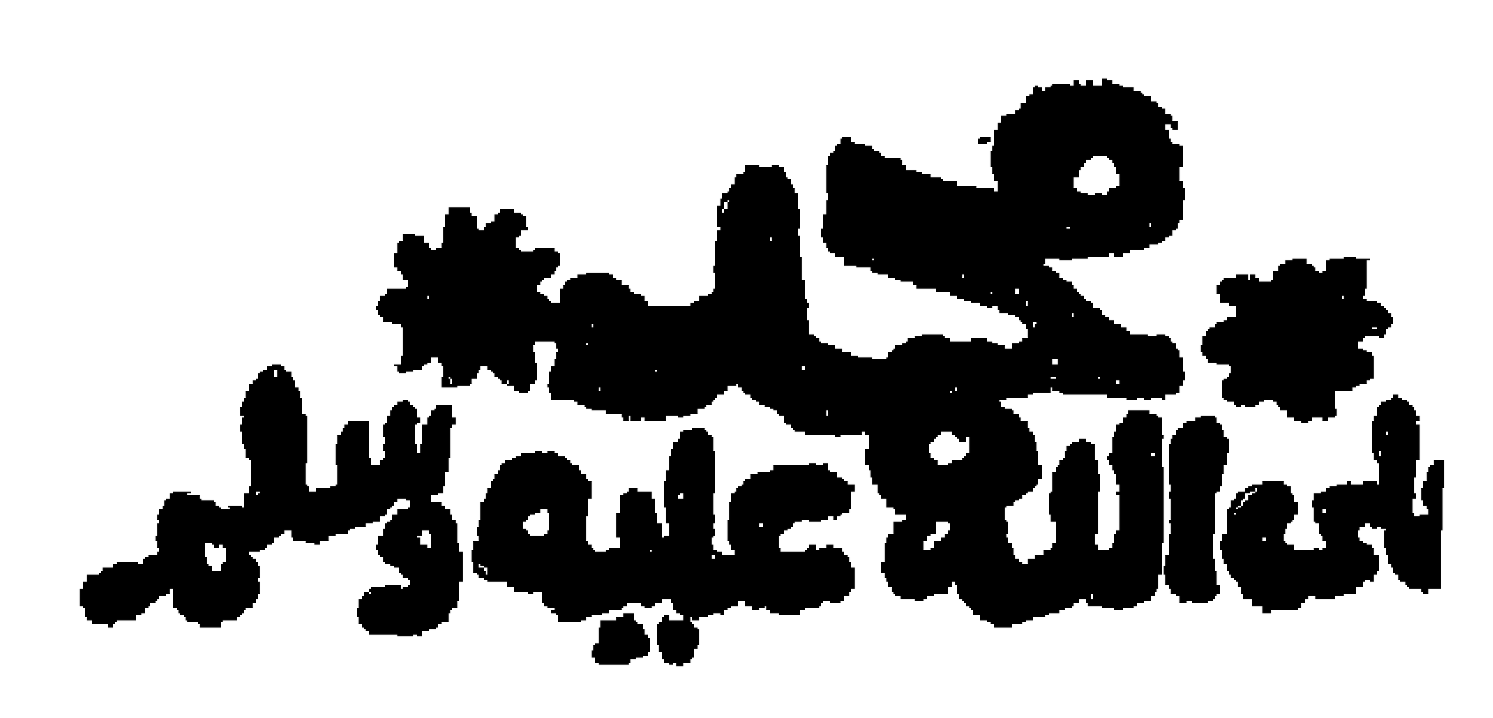
ان الذى يعيش فى ذكريات هذه المدينة تنازعه عوالم المقومات التى قام عليها بناء الأمة الشامخ ، ويستشعر الجهود التى بذلت فى سبيله ، ويتخيل الحياة تتحرك فى كل شىء ويتصور دنيا أولئك الناس وهى لا تعرف الفراغ وانما هى بين عمل للاخرة او عمل الدنيـــا .

ذلك الذى يعيش فى المدينة فيتخيل ويتصورها فى الربع القرن الأولى من الهجرة ثم يفكر فى العالم الاسلامى الآن الذى تترامى أطرافه، ويفكر فى دنياه التى تتعاورها أسباب التمزق لا يسعه الا أن يضرع الى الله أن يخلق هذه الأمة التى بلغت مئات الملايين رعاة ورعايا يصنعون لها تاريخا جديدا ويبعثون وجودها الى حياة جـديدة تسترد فيها ماضيها المفقود وعزها المنشود حيث لديها من الرجال والثروات والعقول والقوة ما يمكن أن يحقق رجاءها يوم تعود الى ربها وتستمسك بدينها وتعتز بايمانها .

مناصرة الدعوة ورسولها

عليه السلام

فضيلة الشيخ محمود أحمد هاشم



شاء الله سبحانه وتعالى أن تواجه الدعوة الاسلامية كثيرا من الصعاب حتى تتجلى جهود المسلمين وجهادهم وتمتحن عزائمهم وقدوتهم بالرسول صلى الله عليه وسلم ، والناظر الى بعض هذه المراحل يجد كيف مضت قافلة الدعوة فى طريقها الطويل محفوفة بالمكاره لكنهم صابرون ، وتنفس المسلمون الصعداء بعد ذلك الحصار الذى شق عليهم من أجل الدعوة الاسلامية أكثر مما يشق على انفسهم لذا أخذت الدعوة على يدى الرسول صلى الله عليه وسلم تنمو وتترعرع الا أن حادثتين قد وقعتا فكان لهما فى حياته صلوات الله وسلامه عليه أكبر الأثر .

أما الأولى فهى موت عمه « أبى طالب » الذى كان قد تجـاوز الثمانين من عمره وقبل أن يشارف الموت نمى الى علم قريش وخشيت ما يقع بينها وبين محمد بعد ذلك وداخلها الخوف على مستقبلهـا خصوصا وقد دخل عمر وحمزة الاسلام فذهب أشراف القوم الى أبى طالب وقالوا له : أبا طالب أنت مناحيث قد علمت وخطـرك ما ترى وتخوفنا عليه وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننـا وندعه ودينه فجاء النبى صلى الله عليه وسلم والقوم حضـور فلما عرف أمرهم قال : نعم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بهـا العرب وتدين لكم بها العجم ، قال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات قال : تقولون : لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه قال بعضهم ، والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا ممـا تريدون وانطلقـوا .

ورغم ما كان عليه أبو طالب من مخالفته لدين ابن أخيه فانه كان حريصا على نصرته : غيورا على دعوته فعند موته قال : « يامعشر بنى هاشم أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا وانتهز الرسول صلى الله عليه وسلم الفرصة وقال « يا عم تأمرهم بالنصـيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك » .

فأجابه قائلا :

« فما تريد يا ابن أخى » ؟

قال : « أريد ان تقول فقط : لا اله الا الله » .

فقال: يا ابن أخى قد علمت انك صادق غير انى أخشى ان أتهم بالخوف عندما حان حينى ، ولولا ذلك لا تبعت نصيحتك لأقر عينيك اللتين أرى فيهما مبلغ حزنك » .

ومات أبو طالب وما ان مرّ على موته أيام الا وكانت الفاجعة الأخـرى .

وهى : موت زوجه « خديجة » .

ومن هى خديجة ؟ انها التى آمنت به حين كذبه الناس وواسته بنفسها ومالها ووقفت بمثاليتها الايمانية تناصر : الرسول صلوات الله وسلامه عليه وتنتصر لدعوته الحبيبة .

ماتت وقد بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم من العمر خمسين عاما وقد تجاوزت هى الخامسة والستين . وبعد موت هذين السندين العظيمين ، قاسى صلوات الله وسلامه عليه فى حياته ما قاسى ، وعانى ما عانى لقد ماتت خديجة بحنانها ، ومواساتها ومناصراتها ماتت التى أيدته فى أحلك الأوقات ، وكانت تعينه على تبليغ دعوته ، وتشاطره همومه . ومات أبو طالب هذا السند القوى وذلك الركن العظيم فنالت منه قريش ما نالت كما قال : « ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب » . وعن ابن مسعود قال : « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالأمس فقال أبو جهل أيكم يقوم الى سلا جزور بن فلان فيضسعه بين كتفى محمد — عليه الصلاة والسلام — اذا سجد ؟ ؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبى صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض وأنا قائم أنظر لو كانت له منعة طرحته عن ظهره والنبى صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة فجاءت — وهى جويرة — فطرحته عنه ثم اقبلت عليهم تشتمهم فلمّا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم وكان اذا دعا دعا ثلاث مرات واذا سأل سأل ثلاثا ثم قال : « اللهم عليك بقريش » ثلاثا فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال : « اللهم عليك بأبى جهل بن هشام وعقبة ابن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة ابن أبى معيط » قال راوى الحديث وذكر السابق ولم أحفظه فو الذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لقد رأيت الذى سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر .

وهكذا بلغ الأمر فى الايذاء ، فضاعفوا الاضطهاد ، وبلغ منهم هذا

العنف كل مبلغ فلم يجد النبى صلى الله عليه وسلم بدا من أن يذهب الى قرية أخرى لعله يلتمس فيها عونا ، أو لعله يجد بهـا قوما فيهم قبول أو انصاف فذهب الى الطائف حيث تقيم ثقيف .

ولما كثر ايذاء المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم بعد موت عمه أبى طالب ذهب الى الطائف وهى بلدة تقع شرقى مكة يلتمس عند ثقيف العون والمنعة ، ولكن القوم ردوه جميعا وأنكروا دعوته ، فمكث عشرة أيام يتردد على بيوتهم صابرا على ما يلاقى محتملا كل اذى فى سبيل الله فلما رأى منهم تصميما على انكاره وزيادة فى ايذائه هم بالرحيل وقال لهم : « اذا أبيتم فاكتموا على ذلك » خشية أن يطير الخبر الى أهل مكة فيتضاعف بلاؤهم ، وتزداد بل أغروا به سفاءهم وجعلوا يقفون له صفين يسبونه ويقذفونه بالحجارة وكم حاول زيد بن حارثة الذى كان يرافقه فى هذه الشدة الدفاع عنه ولكن لم تجد مع القوم محاولة وشج رأس زيد وسال الدم من أقدام الرسول صلى الله عليه وسلم على الأرض ولما اطمأنت أنفاسه وأخذ يرفع شكايته لربه :

« اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس، يا ارحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى . الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أو الى عدو ملكته أمرى أن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو تحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك » .

وتحركت عاطفة الرحمة لدى عتبة وشيبة ابنى ربيعة فأرسلا غلاما لهما نصرانيا يسمى « عداسا بقطف من العنب الى الرسول صلى الله عليه وسلم فلما وضع النبى يده فيه قال باسم الله ثم أكل ونظر عداس قائلا : هذا كلام لا يقوله أهل هذه البلاد فسأله الرسول : من أى البلاد أنت وما دينك ؟ قال : أنا نصرانى من « نينوى » فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟

قال له : وما يدريك ما يونس قال الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك اخى كان نبيا وأنا نبى فأكب عداس على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجليه يقبلهما .

فقال ابنا ربيعة أحدهما للآخر : اما غلامك فقد افسده عليك فلما جاء عداس قالا له : ويحك ما هذا ؟

قال : ما فى الأرض خير من هذا الرجل .

وقفل الرسول راجعا الى مكة فقال له زيد بن حارثة :

كيف تدخل عليهم وقد اخرجوك ؟

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : يا زيد ان الله جاعل لما ترى فرجا .

وذهب الى حراء وبعث زيد بن حارثة الى الاخنس ليجيره فلم يجره ، وبعثه الى سهيل فأبى ، فبعثه الى المطعم بن عدى فأجابه الى ما اراد ، ثم تسلح المطعم وأهل بيته ، وخرجوا حتى اتوا المسجد وطاف بالبيت سبعا .

والكثير من مواقف رسولنا صلوات الله وسلامه عليه أكبر شاهد على عناية السماء له ولأصحابه فى جميع خطاهم الطاهرة الكريمة مهما حاول الأعداء ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .

مولد النور

فضيلة الشيخ رجب العايدي



لقـد كان مولد سيدنا محمد ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ مشرق النور الذى أضاء مشـارق الدنيـا ومغاربها : وكان حـادثا تاريخيـا عظيمـا ، فرق الله به بين الوجود والعدم ، والنور والظلام وبين الحق والباطل ، كما فـرق به بين الشرك والتوحيد ، وبين الوثنيـة المتألهـة الزائفة والربوبية النزيهة الخاصلة .

ولد سيدنا محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وولد معه الخير : لا لأمتـه فحسب ، بل للعالم بأسره ، وعاش قبل الرسالة وبعدها انسانيا كاملا ، ومثاليا فاضلا ، اتسـم بالصـدق والأمـانة ، وبالشرف والنزاهـة ، والمروءة والشهـامة ، والحـزم

والصراحة : يصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويكسب المعدوم ويعين على نوائب الدهر ، ورحم الله الامام البوصيرى اذ قال :

رحمة كله وحزم وعزم ووقار وعصمة وحياء
لا تحل البأساء من عرى الصبر : ولا تستخفه السراء
كرمت نفسه فما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء

كان يفكر دائما فى حالة قومه ، وكانت نفسه الشريفة لا ترضى عن أفعالهم ، وكان ينظر الى السماء لعلها تنزل عليه برحمة ، وبما يصلح شؤون قومه ، حتى اصطفاه الله واختاره ، وأذن فجر الحق أن يظهر فأرسله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين ، أرسله شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم » **((الذين يتبعون الرسول النبى الأمى ، الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر : ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم)) .**

فحمل الأمانة ، وأدى الرسالة ، وظل طوال حياته يكافح ويجاهد ، فى سبيل اعلاء كلمة الله ، أوذى واوذى معه صحبه ، فرجم بيته بالحجارة ، ووضعت الأشواك فى طريقه ، والقاذورات فى طعامه بل وضعت مشائم الماشية عليه ، وهو ساجد بين يدى رب العالمين ، ثم حوصر وحوصر معه أصحابه حصارا اقتصاديا واجتماعيا ثلاث سنوات شداد ، فما ثناه عن دعوته وعد ولا وعيد ، ولا ترغيب ولا ترهيب ، وما لان له عود ، ولا انكسرت له قناة ، وما ضعفت عزيمته ، ولا وهنت قوته ، بل عرض نفسه على بعض القبائل بالطائف ، فأغروا عليه سفهاءهم وصبيانهم ، ورجموه بالحجارة ، حتى سال دمه الشريف ، ولجأ الى حائط من حيطانهم ، رافعا يديه الى السماء قائلا : **اللهم انى اشكو اليك ضعفى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، أنت رب المستضعفين الى من تكلنى ؟ ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى)) .**

ثم عمدوا الى حيلة اخرى ، فعرضوا عليه أن يكون ملكا متوجا ، وان يعطوه من الأموال ما يشاء على أن يترك دعوته ، فأبى وصرخ فى وجوههم صرخته المدوية ، وقال قولته الخالدة « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه » ، وأخذ الرسول يزداد ثباتا وجهادا كلما ازداد المشركون صلفا واضطهادا ، حتى أذن الله له بالهجرة فهاجر الى يثرب ، واتخذها مقرا لدعوته ، ووطد دعائم الصلح بين الاوس والخزرج ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وحالف اليهود ليأمن جانبهم فى الداخل ، وبنى مسجده بالمدينة ، وجعله مركزا لبث الدعوة ، ونشر الاسلام ، وكان يستقبل وفود القبائل ، وقد سادت روح الديمقراطية الصحيحة ، وتلاشت الفوارق القبلية بين الناس ، وأصبح المسلمون بنعمة الله اخوانا .

ولما انتهى الرسول عليه الصلاة والسلام من تنظيم شئون المسلمين فى الداخل اتجه الى الناحية الخارجية ، لتنظيم علاقاتهم مع بقية أجزاء بلاد العرب ، وليمكن لرسالته من الذيوع والانتشار فهو رسول الله الى العرب خاصة والى الناس كافة ، ولكن قريشا غاظها نجاح دعوته فى المقر الجديد ، فاستمرت فى ايذائها للمسلمين، وفى صدها عن سبيل الله ، فأمر الله رسوله بالنضال ، وأذن للمسلمين بالجهاد والقتال ، دفاعا عن نفسهم « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » ، « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم : ولا تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين » فكان على المسلمين أن يتخذوا الحيطة : ويستعدوا للدفاع عن أنفسهم ، وكان لابد لهم أن يلتقوا مع قريش فى موقعة فاصلة ، حتى ينتهى ما بينهم ، وحتى لا يخشى من يريد الاسلام على نفسه ، وأن يطمئن الى سلامته ثم كانت غزوة بدر ، وانتصر المسلمين فيها — وهم قلة — على قريش رغم كثرتهم ، وكان انتصار المسلمين فى هذه الغزوة ضربة قاصمة للقوة الغاشمة التى طالما هددتهم ، ومقدمة رائعة لانتصارات متتابعة .

وتوالى النصر حتى جاءت السنة الثامنة من الهجرة ففتح الرسول وصحبه مكة ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، فانتشر الاسلام

فى زمن وجيز حتى وصل الى أسوار الصين شرقا ، وقرع أبواب روما غربا .

ولقد كانت حياة الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — سفرا ضخما ، حافلا بجلائل الاعمال ، ونبيل الخصال فوضعت القواعد وارسى أصولها ، ونسق — بتوفيق الله — شريعته ، حتى كانت ناسخة لما سبقها من الشرائع ، وكانت المعجزة فى خالدة الصالحة لكل زمان ومكان .

حث الرسول على العمل المنتج النافع ، وبغض فى التواكل ، وهاجم التفاخر والأحساب والانساب فقد قال عليه الصلاة والسلام « ومن أبطأ به عمله لم يسرع فى نسبه » وكان يقول لبنى هاشم لا يأتنى الناس بأعمالهم ، وتأتون الى بأنسابكم » » بل قال لابنته فاطمة الزهراء « يا فاطمة بنت محمد اعملى ، فلن اغنى عنك من الله شيئا » وحارب المحسوبية والوساطات والشفاعات وكان يقول: « انما أهلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سرق منهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ، وايم الحق لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

وعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشباب ، وكان يتعهده بالموعظة ، ويلقنه المبادىء الصحيحة والأخلاق الكريمة ، تقديرا منه لرسالته ، وأنه عماد الأمة وقوتها ، فقد قال عليه الصلاة والسلام ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر وأحض للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء)) وقال لابن عباس وكان راكبا خلفة أيا غلام ألا أعلمك كلمات يحفظك الله بهن ؟ : فقال ، بلى يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام احفظ الله يحفظك : احفظ الله تجده تجاهك : اذا سألت فأسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف)) .

نظم الحرب وأدائها ، وارسى قواعدها بما يتفق وروح الانسانية منذ أربعة عشر قرنا فكان يقول لجيشه « عند توجهه الى الميدان »

سيروا باسم الله وعلى ملة رسول الله ، لا تقتلوا شيخا فانيا ، ولا طفلا صغيرا ، ولا امرأة ولا تمثلوا ولا تغلوا ، وضموا غنائمكم ، وأصلحوا وأحسنوا فان الله يحب المحسنين » .

وكان يوصى بالأسرى خيرا « استوصوا بالأسرى خيرا » فعاملهم المسلمون معاملة رحيمة أثرت فى نفوس كثير منهم ، وعرفوا للاسلام نبله حتى قال أحدهم معترفا بجميل المعاملة « ان من وكل اليهم أمره كانوا يقدمون اليه أفضل ما فى دارهم من الطعام ويكتفى أهل البيت بالتمر والماء وما أغلظ الرسول ولا المسلمون لأسير قط ، ونهى الرسول عن التمثيل بهم ، قال عمر يا رسول الله دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو ، ليخرج لسانه فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبدا ولطالما كان قاسيا عليك بلسانه فكان جواب النبى صلى الله عليه وسلم : لا أمثل به فيمثل الله بى وان كنت نبيا ، وعسى أن يقف موقفا لا تذمه ، وقد تحققت نبوءة الرسول عليه الصلاة والسلام فقد أسلم سهيل وحسن اسلامه ، وقد كانت له مواقف مشهودة فى الخطابة مدافعا عن الاسلام فى حرب الردة .

أما جود الرسول وسخاؤه ، وشجاعته ونجدته واكرامه للجيش، وتلطفه فى الحديث فكانت قدسية وطبيعة فطرية ، حببت اليه النفوس ، وقربت اليه القلوب ، « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

أما بعد : فصلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله : لقد كان سموك الخلقى ، وكمالك النفسى آية الله فى صدق نبوتك ، وحجته فى صحة رسالتك ، ولقد كان فى ذلك كله سر نجاح دعوتك ، وصدق الله اذ يقول « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

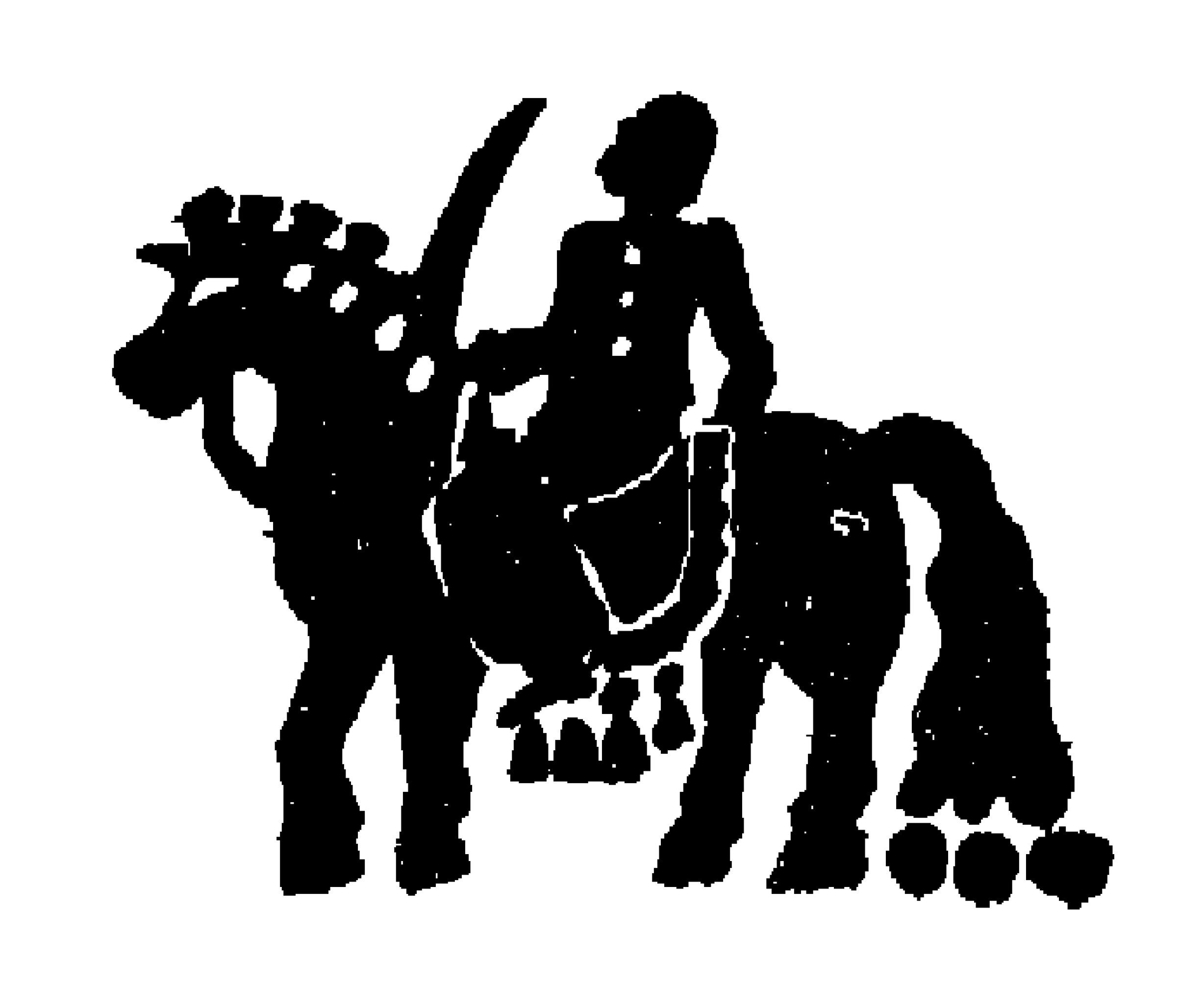
لمحات

من حياة النبي صلى الله عليه وسلم

الأستاذ متولي درويش

ان الأسرة الشريفة التي يعرف فيها كل فرد حقوقه وواجباته بحيث تستقيم أمورها على دعائم الدين الحنيف هي الأسرة المثالية التي أوجدها الاسلام ومهد لها الطريق القويم وجعل سبيلها الايمان وقبلتها رضوان الله ونبضات فؤادها لا اله الا الله وأنفاسها محمد رسول الله.

والزواج في الاسلام شركة بين الرجل والمرأة تسعى الى النجاح عن طريق التفاهم وتبادل التقدير والاحترام وتقوم أساسا على حسن اختيار الزوج زوجته ((تخيروا لنطفكم فان العرق دساس)) وعلى التكافؤ بين الزوجين من حيث المستوى الثقافي والاجتماعي .. والأسرة الاسلامية تحترم العلاقة الزوجية وتصونها من الانحراف ، فالزوج عفيف النفس يعيش لأسرته ويعمل من أجلها



ويحبس نظره وقلبــه عن الحــرام وكذلك الزوجة لا تعرف الا زوجهــا فزينتها له وحده ((وقل للمؤمنــات يغضضن من ابصــارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منهــا . وليضربن بخمــرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن .. الخ الآية من سورة النور ..

ويحدد الرسول الكريم الخصال المحببة فى الزوجة فيقول صــلى الله عليه وسلم « تنكح المراة لأربع : لمالهــا ولحسبها وجمالهــا ولدينا ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

هكذا أسس الاسلام الحياة الزوجية قبل أن تبدأ وذلك بعنصر الاختيار والشروط الواجبة فى الزوجة الصالحة ثم حدد واجبــات كل فرد فى الأسرة تجاه الآخرين وجعل القوامة للرجل ((**الرجــال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم**)) ثم نجد العلاقة بعد ذلك بين الزوجين قائمة على المودة والرحمة ((**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**)) .

وهذه هى حياة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ نموذجا للحياة الزوجية السليمة .. مثل أعلى نستمد منها القيم العليا ((**لقــد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة**)) نستعرض بعضا من حياته فى بيته .. فى تعامله مع زوجاته .. مع الأطفال .. أثناء الطعام .. فى نومه .. مع الخدم .. الخ هذه الحياة العريضة المليئة بالنماذج المضــيئة ..

مع زوجاته : لقد كان صلى الله عليه وسلم يسابق الســيدة عائشة فى الجرى فسبقته يوما وسبقها يوما فقال لها : هــذه بتلك ..

● كانت زوجاته يراجعنه الكلام : وتهجره الواحدة منهن يوما الى الليل وكان يقول للسيدة عائشة : انى لأعرف غضبك من رضاك ، قالت : وكيف تعرفه ؟ قال : اذا رضيت قلت : لا واله محمد ، واذا غضبت قلت : لا واله ابراهيم ، قالت : صدقت ، انما أهجر اســمك ..

● وكان يعدل بين زوجاته فى العطاء والمبيت ، ويقول : اللهم هذا جهدى فيما أملك ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك » يعنى الحب .

● وكثيرا ما أوصى بالنساء خيرا ، وبين انه لا غضاضة ولا خير فى أن يداعب الرجل زوجته فقال : اللهو فى ثلاث : تأديبك فرسك ، ورميك عن قوس ، وملاعبتك أهلك . .

لقد كان عليه الصلاة والسلام انبل الأزواج وأطيبهم عشرة وحسبنا قوله « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى » .

مشاركته شئون البيت كان صلوات الله وسلامه عليه ـــ كما يروى أبو سعيد الخدرى يعلف الناضح ـــ البعير ـــ ويعقل البعير ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب ويأكل مع خادمه ويطحن عنه اذا تعب ويشترى الشىء من السوق فيحمله الى أهله .

● وتقول السيدة عائشة رضى الله عنها ـــ كان صلى الله عليه وسلم ـــ يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته ، أرسل الينا آل أبى بكر بقائمة شاة ليلا فأمسكت وقطع رسول الله » .

● وتروى السيدة عائشة أيضا أن رسول الله كان يمازحها ويلاعبها ويلاطفها وكانا يتسابقان يوما فيسبقها وتسبقه فيقول : هذه بتلك .

معاملته للخدم : كثيرا ما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرحمة وكثيرا مانهى عن القسوة وهو فى أمره ونهيه يضرب الأمثال للناس لعلهم يعقلون ((**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك**)) .

● وكان آخر ما أوحى به رسول الله أن قال : اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم ـــ يعنى الخدم ـــ أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون ، فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم ـــ منهم ـــ فبيعوا ، ولا تعذبوا خلق الله ، فان الله ملككم اياهم ، ولو شاء لملكهم اياكم .

● وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كم تعفو عن الخادم ؟ فصمت عنه رسول الله ثم قال : أعف عنه فى كل يوم سبعين مرة .

● ويقول اذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه ، وليأكل معه ، فان لم يفعل فليناوله لقمة . لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يختص بطبيعة عشرته ازواجه فقط أو ليقصرها على الأحرار من الرجال والنساء لأن النبع العذب الذى يسقى هؤلاء هو الذى يسقى هؤلاء فلا طبقية ولا محاباة ولا مجاملة .

● وقد شن أروع أدب فى معاملة الأرقاء فى عهد الطبقية والاعتزاز بالانساب فقال : لا يقولن أحدكم عبدى ولا أمتى ، كلكم عبيد الله ، وكل نسائكم اماء الله ، وليقل غلامى وجاريتى وفتاى وفتاتى .

رحمته بالأطفال : كان صلى الله عليه وسلم يداعب الأطفال ويجلسهم فى حجره الشريف وييسر كثيرا للجلوس اليهم .

● كان يؤتى بالصبى الصغير ليدعو له بالبركة وليسميه ، فيأخذه فيضعه فى حجره ، فربما بال الصبى فيصيح به بعض من يراه ، فيقول النبى : لا تزرموا الصبى بوله أى لا تقطعوه ، وكان يدعه حتى يقضى بوله ، ثم يفرغ من دعائه له وتسميته ، وييسر أهله به لئلا يروا أنه تأذى ببوله فاذا انصرفوا غسل ثوبه بيده .

● أبصره الأقرع بن حابس يقبل الحسن ، فقال : ان لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم . فقال رسول الله : أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة ، من لا يرحم لا يرحم .

● أطال رسول الله سجدة فى صلاته فقال له أحد الصحابة : يا رسول الله . انك سجدت سجدة أطلتها ، حتى ظننا أنه قد حدث أمر ، أو أنه يوحى اليك . فقال كل ذلك لم يكن ، ولكن ابنى ارتحلنى ، فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته — وكان هذا الابن هو الحسن أو الحسين .

● وكان يصلى وهو يحمل على عنقه أو عاتقه أمامه بنت زينب ابنته وهى لأبى العاص بن الربيع ابن عبد شمس ، فاذا سجد وضعها ، واذا قام حملها .

● ومر ببيت فاطمة فسمع حسينا يبكى فقال لفاطمة : ألم تعلمى أن بكاءه يؤذينى .

● وكان يحمل الحسين على عاتقه ويقول : اللهم انى أحبه فأحبه .

طعامه : تقول السيدة عائشة رضى الله عنها : كانت تأتى علينا

أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار . قيل لها : فيم كنتم تعيشون ؟ قالت : بالأسودين : التمر والماء ، الا أنه قد كان لرسول الله جيران من الأنصار كانت لهم منائح أي نعاج ذوات لبن ، وكانوا يمنحون رسول الله من البانها فيسقينا .

● وقالت : ما شبع آل محمد — منذ قدم المدينة — من طعام البر ثلاث ليال تباعا ، حتى قبض هكذا كان رسول مثالا للزهد والقناعة وهو الذي عرضت عليه أن تكون الجبال ذهبا فأبى ، انما أراد أن يضرب الأمثال للناس ليتأسوا به ، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يأكل متكئا .

● قالت السيدة عائشة : لم يمتلىء جوف النبى شبعا قط . وكان لا يسأل أهله طعاما ولا يتشهاه ، ان أطعموه أكل ، وما أطعموه وما أسقوه شرب .

● لهذا قال صلى الله عليه وسلم : أجوع يوما واشبع يوما ، فاذا جعت صبرت وتضرعت ، واذا شبعت شكرت .

وهنا يثور سؤال :

هل أدخر رسول الله — صلوات الله وسلامه عليه — قوت عياله وهل الادخار يناقض الزهد ؟

لقد روى عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر له شيئا لغد . كما روى أنه كان يدخر لعياله قوت سنة وكان — كما يقول ابن الخطاب — يبيع نخل بنى النضير ويحبس لأهله قوت سنتهم ، اذ كان نخلهم فيئا له .

وليس بين الخبرين تعارض لأنه صلى الله عليه وسلم لأنه نهى عن ادخار القوت سنة حينما لم تكن الموارد كافية ، فلما كثرت اتسعت لهذا الادخار . ولا تنافى بين ادخار القوت للعيال وبين الزهد . لأن النبى كان يدخر ، فاذا رأى المحتاجين منهم ما ادخر وهذه أعلى درجات الايثار « **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصه** » .

ويؤيد هذا الحديث السيدة عائشة فيما ترويه قائلة : توفى رسول الله حين شبعنا من الأسودين التمر والماء .

ملبسه وفراشه : كان مثالا يحتذى فى ترك الخيلاء والرفاهية والترف .

● احتذى مرة نعلين جديدين فأعجبه حسنهما ، فخر ساجدا وقال : اعجبني حسنهما ، فتواضعت لأبي خشية أن يمقتني . ثم خرج بهما فدفعهما لأول مسكين رآه .

● كان ينام على الفراش تارة ، على القطع مارة — الجلد — وعلى الأرض تارة ، وعلى السرير تارة .

● وكان فراشه أوما — أى جلدا حشوه ليف وكذلك وسادته .

● ولكن اذا قدم عليه وفد من الوفود التي كانت تجيء لتسلم ، لبس أحد ثيابه وأمر كبراء صحابته بذلك ، لأن ذلك يعطيهم في عيون القادمين ويعلى حزب الله وحاجته أنهم لم يتخلقوا بأخلاق الاسلام بعد . ولم يتشربوها .

● وكان رسول الله مع زهده وتواضعه وايثاره شغوفا بالنظافة في جسمه وملابسه وكان يرجل شعره ويسرح لحيته ويدهن رأسه وكان أكثر ملابسه أبيض اللون .

● سأله رجل : يا رسول الله اني أحب أن يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنة ، افمن الكبر ذاك ؟ فقال : لا ، ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس .

● وكان صلى الله عليه وسلم يقلم أظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل أن يروح الى الصلاة .

وفاؤه للزوجة : لقد عاش صلى الله عليه وسلم حياته وفيا لزوجاته مقسطا لهن جميعا في العطاء والمبيت طوال حياتهن معه وحتى بعد وفاة زوجته السيدة خديجة لم يلهه عن هذا الوفاء زواجه بالسيدة عائشة أو السيدة حفصة أو غيرهما بل كان يذكرها بالتقدير على مسمع من السيدة عائشة فتغار منها ، حتى لقد قالت له مرة : هل كانت الا عجوزا بدلك الله خيرا منها ؟ فغضب وقال : لا والله ما بدلني الله خيرا منها ، آمنت بي اذ كفر الناس ، وصدقتني اذ كذبني الناس ، وواستني بمالها اذ حرمني الناس ، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء » .

ونختتم الحديث عن هذا الموضوع فنقول ونحن نستقبل السيرة العظيمة ونحتفي بيوم مولد الهادي البشير نقول ما قاله رب العرش العظيم « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » . صدق الله العظيم

الذكرى الخالدة

الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى



ذكرى الميلاد النبوى العظيم ذكرى تتجدد كل عام ، وتعبق بشذاها العاطر الأيام ، وتشدو بجلالها وجمالها الأجيال والأعوام .

ذكرى احتفى بها المسلمون ، واحتفلت الانسانية ١٤٤٨ مرة : ولها فى كل احتفال معنى سام رفيع جليل نبيل .

وفى اليوم الأخير من ١٤٤٨ عاما هجريا مضت على ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وفى اللحظة الأخيرة من ١٤٠٥ عاما ميلاديا مرت على هذا الميلاد العظيم الخالد ، نقف وقفة المعتبر بأحداث التاريخ ، المعتز بعظمة ومجد الاسلام ، وبجلال وشموخ أمة الاسلام ، المفتخر بنضال سيد المرسلين ، وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .

ماذا نذكر من أحداث ؟

وماذا نعى من عبر ؟

أنذكر يوم الميلاد بعظمته وجلاله وكبريائه ؟

أنذكر النشأة المحمدية بكبريائها وبطولاتها ومثلها ؟

أنذكر البعثة المحمدية بما صحبها من نزول القرآن وهداية الله للانسان ، ومن هدم للشرك والمشركين ، والوثنية والوثنيين ، والجاهلية والجاهليين ؟

أنذكر ما أعقب ذلك من انتشار الدعوة ، وكفاح رسول الله والمسلمين الأولين من أجل تبليغها للناس كافة ، ثم ماتلا ذلك من هجرته صلى الله عليه وسلم ، ثم انتصارات الاسلام التى بدأت ببدر وانتهت بفتح مكة وبغيرها من خالد الانتصارات ؟

أم نذكر الاسلام العظيم ، الذى أعز الإنسانية ، ورفع من كرامة الانسان ، وحرر الضعفاء والأرقاء والمستعبدين فى الأرض ، ونشر السلام والأخاء والمساواة والتعاون والايثار والحرية فى الدنيا كافة؟

انذكر ديننا الكريم ، الذى ربى أبطالا وأجيالا أقامت على الأرض أعظم الحضارات ، وأجل الدول والامبراطوريات ؟

أم نذكر كيف هز الاسلام الدنيا ، وحل مشكلات العالم ، وانتصر فى كل معاركه مع الجمود والتأخر والجهل والفقر والظلام ؟.

كل ذلك نذكره فى هذا اليوم الكبير المجيد العظيم ونذكر معه كل انتصارات الاسلام على مرور الأيام ، ونذكر معه انتصارات أبناء الاسلام وابطاله فى العاشر من رمضان الكريم ، وانتصارات تالية سوف تجىء وتجىء وتجىء باذن الله ، مهما دأبت قوى الشر فى الارض على أن تطفىء نور الله ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

لقد كان الميلاد النبوى الكريم مقدمة لانتصارات رائعة ظافرة ، حققت للانسانية كل ما كانت تصبو اليه من آمال ، على طول الاعوام والأجيال ، وكان مقدمة لمواكب الصحابة الطويلة التى خرجت من الجزيرة العربية تهدر كالسيل ، وتسعى الى كل مكان فى العالم ، لتنشر الدين ، وتعلى كلمة الله ، وتدعو الناس الى الايمان والحق والعدل والطهر والتوحيد .. وكان مقدمة جيوش

الاسلام الكبرى الزاحفة كما يزحف الليل الى كل بقعة وكل ناحية، لتحمى دعوة الاســـلام فى الشام والعراق ومصر ، من عـــــدوان الكسرويين والقيصريين ، ولتقود مواكب الدعاة الى الله على كل أرض وفى كل قطر وشعب ، وكان مقدمة لمواكب العلماء التى خرجت من الجزيرة العربية لتبنى مراكز للثقافة والحضارة الانسانية فى كل مكانمن الأندلس الى الصين ، ثم لتعلم العقل الانسانى كيف ينتصر على الجهل والخرافات والأوهام والشرك والوثنيـــة والطغيان ، ولتذيع فى الناس مبادىء الاسلام ، وقيمه الرفيعة ، ومثله العظيمة فى اعزاز الحياة ، وتكريم الانسانية ، وتبجيل قدر العقل والفكر ، ووضعهما فى قمة التقدير والاكبار والاحترام .

حدث عظيم قاد مســيرة الحضارة والانسانية والتقدم والعـــلم والابتكار والتجديد ، ووضع الدعامة الأولى لانتصار الانسان المسلم على الجاهلية والوثنية وعلى كل قيم الشرك وضلالاته وبهتانـــه ، ثم أخذ بيد الانسانية كلها الى ما كانت تتطلع اليه من نور وخـــير وحرية ومساواة ، وعدل وسلام واخاء .

وفى تاريخ الانسانية الطويل كم ولد من قياصرة وأكاسرة وملوك وحكام ، وجبابرة وطغاة ، وأصحاب دعوات ومذاهب .. ولكن لم تشهد البشرية كلها ميلادا أجل ولا أعز ولا أكرم ولا أنبل ولا أمجد من ميلاد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه .

لقد قاد رسولنا العظيم مسيرة الحيـــاة ، وقافلة الحضارة الى حيث العزة والحق والصدق والتوحيد والايمان ، وكان الرائد الأكبر لمواكب البشرية الطويلة الزاحفة فى بيداء الحياة ، تنشـــد النور ، وتطلب العدل ، وتريد السلام ، وتؤمن بالحياة نفسها ، وبانتصـــار الانسان فيها ، من أجل كل المثل العليا التى شرعها الله لعباده ، ومن أجل التقدم والبناء والرفاهية والسعادة للناس أجمعين .

ولولا الميلاد النبوى الكريم لعاشت الانسانية حتى اليوم فى ظلام دامس ، وحيرة بالغة ، وقلق لا حد له ، ولمـــا خرجت من عصر الوثنية والجهل والفوضى والتأخر والهمجية والوحشية والجاهليـــة الأولى ..

لولاه لما أشرق النور على الأرض ــ ولما سارت واكب التقدم والعلم تشق طريقها الى كل بقعة فى الأرض ، ولمـــا قامت بغداد

والفسطاط والقاهرة والقيروان وقرطبة وكبريات المدن الاسلامية ، التي كانت منارات رفيعة للعلم والمعرفة والثقافة والأدب والفكر والمدنيـــــة .

ان مفاخر الميلاد النبوى لا تنتهى أبدا ، ولن تنتهى أبدا مادامت السموات والأرض ، لقد بقيت على الزمن ، وخلدت على الأيام ، وأصبحت نشيدا جميلا فى مسامع الحياة والبشرية . هذه المفاخر يقول عنها لامارتين : « ان حياة مثل حياة محمد ، وقوة كقوة تأمله وتفكيره ، وجهاده ووثبته على خرافات أمتـــه ، وجاهلية شعبه ، وبأسه فى لقاء ما لقيه من عبدة الأوثان ، وايمانه بالظفر ، وباعلاء كلمته ، ورباطة جاشه لتثبيت أركان العقيدة الاسلامية .. ان كل ذلك أدلة على أنه لم يكن يضمر خداعا ، أو يعيش على باطل ، فهو خطيب ورســـول ومشرع ، وهاد للانسان الى العقـــل ، وناشر للعقائد المعقولة الموافقة للذهن واللب ، ومؤسس دين لا فرية فيه ، ومنشيء عشرين دولة فى الأرض » فأى رجل أدرك من العظمـــــــة الانسانيـــة مثل ما أدرك ؟ وأى انسان بلغ من مراتب الـــكمال مابلغ .. ؟

ان العظمة المحمدية لا تقف عند حد ، ولا تنتهى الى غاية ، انها عظمة الرسول المبعوث رحمة للدنيا ، ونورا للناس ، وحين شاهد أبو سفيان قليلا قليلا من هذه العظمة والرسول صلوات الله عليه فى طريقه الى مكة فاتحا ، لم يملك الا أن يقول للعباس عم الرسول الذى كان بجواره :

لقد اصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما .

والتفت اليه العباس يقول :

يا أبا سفيان ، انها النبوة ..

وأقول أيضا : انه الاسلام ، انه القرآن .

وما أعظمه مجدا ارتدى به المسلمون طوال هذه الحقبة الطويلة من تاريخهم المجيد ، وما أجله وأكرمه وأعزه دينا بعث بـــه محمـــد ابن عبد الله العربى القرشى الى الناس كافة ، فأنقذ الانســانية من ضلالها وجاهليتها ، ورفع من كرامة الانسان فى الأرض والحياة ،

سيبقى ما بناه محمد ، وسيبقى الاسلام شامخا شموخ الجبال ،

عزيزا عزة الأبد ، خالدا خلود الروح ، لأنه من صنع الله ، ومن صنع كل القيم النبيلة التى لم تر الدنيا لها مثيلا .

وسيبقى نور الاسلام وهاجا مشرقا مضيئا متلألئا فى الآفاق ، مهما ائتمر به المؤتمرون ، وحاول اطفاء نوره الحاقدون والمضللون والجاحدون والجاهليون .

لا الصهيونية ولا المادية ولا الصليبية ولا أى شيء يستطيع أن يمحو ما بناه الاسلام ، ، وما بناه رسول الاسلام ، من كل قيمة فاضلة ، وكل صرح نبيل استظلت بظله الظليل قافلة الانسانية فى مسيرتها الطويلة عبر الأجيال والقرون .

اننا اليوم نقف على عتبة تحول خطير فى تاريخ الانسانية ، التى ضللها المضللون ، وانحرف بها عن الصراط المستقيم المنحرفون . لقد بدأ عقل الانسان يفيق ، بدأ يستقيظ بدأ يعرف أن الانحراف عن هداية السماء ليس له معنى الا الهاوية والفناء .

ان العالم اليوم يمشى بخطى وئيدة قلقة ، ولكنها خطى مصيرها الى الايمان ، الى الدين ، الى القرآن ، الى الاسلام .

ان بعثا جديدا سوف تشهده الانسانية ، انها لابد أن تعود الى دين الله ، الى شريعة القرآن ، الى رسالة محمد بن عبد الله ، قبل أن تحرق نفسها بنفسها ، وحينئذ لا ينفعها ما ابتكرته من نظريات وآراء ومذاهب وفلسفات .

انه الدين . انه الاسلام العظيم ، انه القرآن الكريم ، فيه هدى ونور ، وشفاء لما فى الصدور ، وفيه الخير والهداية للانسان والانسانية فى الأولى والآخرة .

وبعد فهذه الذكرى العاطرة الخالدة ، وهذا البعث الالهى الجليل العظيم المجيد ، ماذا تقول عنه ؟ وبأى شيء تصفه ، وبأى عقل وميزان ندرك اثره وخطره وعظمته ؟ .

يا أيتها الذكرى الكبيرة ، ذكرى الميلاد الكبير ، سلام عليك بما صنعت للانسانية والانسان ، سلام عليك بما قدمت للعالم والشعوب ، سلام عليك بما كافحت من أجل بناء صرح الاسلام وحضارة المسلمين ، سلام عليك فى الأولين ، وسلام عليك فى الآخرين ، ولك المجد فى الأرض ، ولك الرضا والحمد فى السماء .

ميلاد
خاتم الأنبياء والمرسلين

فضيلة الشيخ عبد الحميد بليبع

كلما حل شهر ربيع الأول أعلن عن ميلاد رسول الله محمد بن عبد الله وابن آمنة بنت وهب فتسرى ذكراه فى النفوس المؤمنة تقيم أودها وتروى ظمأها وتنعش تفكيرها وتدفعها لأحياء مناسبتها — لذا يقوم المسلمون فى بقاع الأرض يحفلون بهذه الذكرى الخالدة فتقيم هيئاتهم وجماعاتهم وأفرادهم مهرجانات عامة وحفلات خاصة — يتبارى فيها الخطباء وينظم الشعراء ويحلل العلماء وينمق الكتاب والأدباء كل يقصد التعريف برسول الله وكل يريد تحليل شخصية صاحب الذكرى رسول الله .



وكل يهدف لبيان عظمة الرسول الأمين وكأنى بهم جميعا أمام علم شامخ لا يتطاول اليه قول . ولا يرقى اليه بيان ولسان حالهم يقول — أنى لنا بهذه العظمة الرهيبة والشخصية الفذة المهيبة —

وهى رحمة الله المهداه ونعمته المسداه وفى بياننا عجز وفى قولنا قصور لذا وقف اللسان وأكدى القلم حقا فأن عظمة الرسول ميدان فسيح متشعب الاطراف واسع الأرجاء فهو عظيم فى نسبه . عظيم فى نشأته . عظيم فى خلقه . عظيم فى مهمته فعظمة الرسول ليست بالشىء السهل الهين الذى يستطيع الباحث أن يميط لثامه ، ولا أن يزيح الستار عن ما وهب الله رسوله والعجيب الذى يلفت النظر ويدعو الى التساؤل هو أن هذه المثل العليا والمقامات اللامعة العظمى التى انفردت بها عظمة محمد — وشخصية محمد كيف تمت لمحمد الذى ولد فى الصحراء وتربى بين شعاف الجبال ومراعى الأبل والأغنام ونشأ فى بيئة مفككة متخاذلة يحدوها الجهل وتحكمها العصبية لا دين يعصم ولا قانون يحكم ومع هذه النقائص المتفشية فى البيئة والمجتمع كان محمد **أستاذ الانسانية ورائد البشرية كان مشعلا تضرب أضواؤه فى آفاق الحياة كلها وتسرى الى أغوار النفوس فتبدد فيها ظلام الكفر الدامس وتحطم قيود الجهل الفاضح وتقود الى حياة حرة كريمة** فمن أين لمحمد هذا ونحن نعلم أن سلوك الفرد مرتبط بتقاليد البيئة التى يعيشها كما نعلم أن البيئة هى المدرسة التى يتلقى فيها الفرد مبادىء البيئة وتعاليمها لتكون نظام سلوكه وقانون حياته وواقع الحياة يعلن أن نهج بيئة محمد فى عقائدها وتعاليمها لم يجد سبيلا الى نفس محمد واذن أين تربى محمد — نعلم أن سلوك محمد وأخلاقه ينطقان بأن محمدا تربى تربية قيادية عالية وعلى أعلى مستويات الانسانية الكاملة الفاضلة تربى فى مدرسة أعلن عنها هو بقوله ((**أدبنى ربى فاحسن تأديبى**)) ليؤيد هذا شهادة الله له بقوله ((**وأنك لعلى خلق عظيم**)) فكيف يتأتى لباحث أو محلل أن يصل لناحية واحدة من نواحى عظمته أو شخصيته التى اصطنعها الله لنفسه وهيأها لحمل رسالته وقيادة خلقه ومهد لها فى الكون تمهيدا رائعا حيث أخذ الله تعالى العهد على أنبياء العصور المتعاقبة بأن يؤمنوا به وينضووا تحت رايته اذا ظهر فيهم فعرفته الأمم قبل ظهوره ، **وهكذا شأن العظماء تسبقهم ذكراهم ويطير فى الآفاق نبأ مسعاهم واسمعوا الى قول الله تعالى ((واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين))** صلوات الله وسلامه عليك سيدى يا رسول الله فقد

حباك ربك من المزايا الانسانية بما بهر العقول وحير الألباب، ومنحك من الكمالات البشرية ما وقف دونه أولو النهى فى دهشه واعجاب واختارك من سلالة كريمة المحتد ، طيبة المنبت ، أصيلة الجد عريقة النسب ، شريفة الحسب ، وها أنت تتمدح بهذا فتقول **« ان الله اصطفى كنانه من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانه واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم فانا خيار من خيار »** اختار الله لك وطنا طيبا وحرما آمنا ، واصطفاك لأكرم أمة أخرجت للناس وفى الحق أن الرسول تعشق الفضائل منذ نعومة أظفاره وعف عن الدنايا من طفولته وفى مقتبل حياته فكانت حياته كلها حافلة بعظائم الأمور ــ كان غلاما يترفع عن مألوف الغلمان ، وكان فتى له تفكير الساسة المحنكين ، وكان شابا فيه جلال الكبراء وهيبة الشيوخ رغم أن طور الطفولة وطور الشباب عاملان يدعوان الى النزق والطيش ويحملان على الأسفاف والضعة ، ولكن الرسول فى هذه الأطوار كان مثال الأباء والشرف عنوان الفضل والكرامة آية الصدق والأمانة مضرب الأمثال فى العدل ونباهة الشأن وكل هذا من دلائل عظمته النفسية ، ولله در الامام البوصيرى اذ يقول :

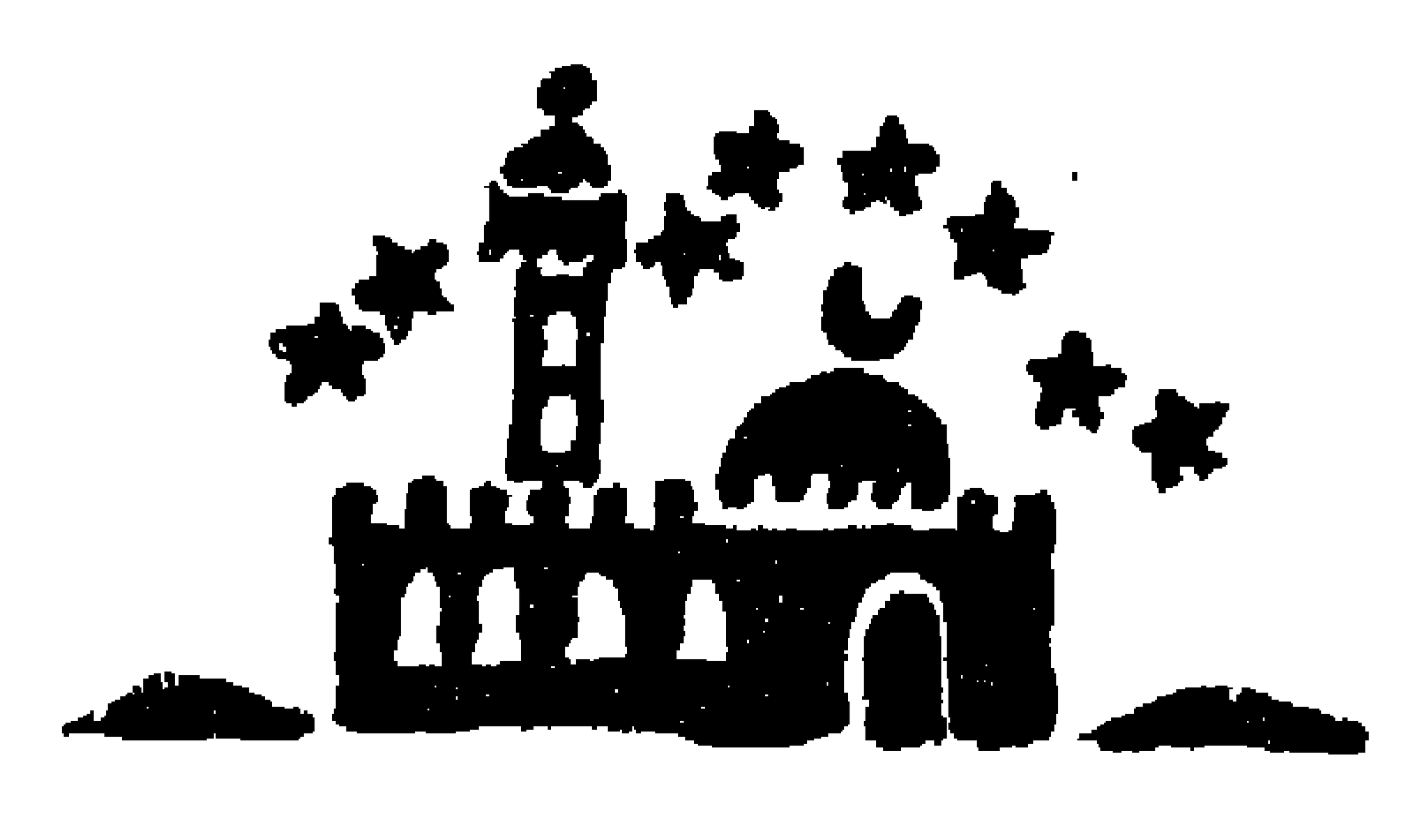
أنت مصباح فضل فما تصــ	ـدر الا عن ضوئك الأضواء
لك ذات العلوم من عالم الغــ	ـيب ومنها الآدم الأسماء
ما مضت فترة من الرسل الا	بشرت قومها بك الأنبياء
تتباهى بك العصور وتسمو	بك علياء بعدها علياء
لا تقس بالنبى فى الفضل خلقا	فهو البحر والأنام أضاء
كل فضل فى العالمين فمن فضـ	ـل النبى استعاره الفضلاء

هذا هو محمد فى حياته الأولى ــ طفولته وشبابه قبل الرسالة وبعد الرسالة كان له شأن وشأن عظيم بلغ رسالة ربه فى مجتمع مكة وهو فى واقعه مجتمع مفكك الروابط متعدد العقائد متخاذل الآراء متنافر المذاهب لا دين يعصم ولا قانون يحكم ولا حكم عدل اليه يرجعون فى هذا المجتمع دعا رسول الله الناس الى عقيدة موحدة والى معتقد واحد هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فتحمل فى هذا السبيل أعباء تنوء بها الشمم الرواسخ ولكنه صبر وصابر وجاهد ليصلح حال المجتمع فدعاه الى ما يقوم

شأنه ويصحح عقيدته ويكفل له حياة طيبة فكان أول ما دعا اليه تصحيح العقيدة وتوحيد المعبود وذلك اساس الاعتدال والاتزان وبه النجاة فى الدنيا والآخرة ثم دعا الى الأخاء فقال « **انما المؤمنون أخوة** » ودعم هذا بالدعوة الى الاتحاد « **واعتصموا بحبل الله جميعا** » وقوى هذا الأخاء اذ يقول « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يحقره بحسب أمرىء من الشر أن يحقر أخاه كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله** » قرر الرسول مبدأ المساواة بين الناس غنيهم وفقيرهم وعظيمهم وصغيرهم حاكمهم ومحكومهم الناس جميعا سواء فكلهم من آدم وآدام من تراب لا فضل لعربى على عجمى ولا لأحمر على أسود الا بالتقوى « **أن اكرمكم عند الله أتقاكم** » الرسول هو الذى حرر العقول من قيود العقائد الزائفة والنفوس من شوائب التربية الهزلية الناقصة والتقاليد البغيضة الساقطة حرر النفوس من الاستعباد والذل والأوطان من العدوان والاستعمار ودعا الى القوة لصيانة هذه الحريات أعنى القوة المادية والمعنوية بالأخلاق الكريمة الفاضلة وبطاعة الله امتثال أمره واجتناب نهيه وفى ذلك نصرة الله والله يقول « **ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين أن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور** » **وهذا غيض من فيض دعوة محمد خليق بنا أن نحيى ذكرى ميلاده باتباعه وتحقيق دعوته والأعتصام بمبادئه وأحكام شريعته كى ننال ما نال الأولون فى فجر النهضة الاسلامية ونحن الآن أحوج ما نكون لنصرة الله فى ظروفنا التى نعيشها الآن وهو القائل « أن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » والله ولى التوفيق** .

ربنا وابعث فيهم رسولا منهم

الدكتور عبد الغنى الراجحى



من المجمع عليه تاريخيا ان العالم فى نهاية القرن السادس الميلادى وقبل ميلاد خاتم النبيين ، كان قد بلغ من الفساد والاضطراب والضلال مبلغا لا يستهان به ، فساد فى حياته الدينية وفساد فى حياته الاجتماعية، وفساد فى حياته السياسية والأخلاقية وكانت تتزعم آنذاك دولتا الفرس والرومان ، وعلى قدر زعامتهما له فى الملك والقوة ، كانت زعامتهما له فى الفساد والانحلال الآخذ بخناقه : المستشرى فى أوصاله . فاذا كان ذلك كذلك ، وكانت رحمة الله تقتضى انقاذ هذا العالم من الهوة التى تردى فيها برسول ينقذه ، ويخرجه من الظلمات الى النور ، ويهديه سبيل الرشاد ، فمن أى الشعوب والبقاع يظهر هذا الرسول

ومن أى العباد والبـلاد يختار هذا الرسول . ومن أى معدن وأرومة ؟ من الشعب العربى والبلاد العربية من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل ، من مكة بلد الله الحرام وعنـد بيته المحرم .. لماذا ؟؟

لأن الدول السابق ذكرها قد شاخت وهرمت ، ومثلت دورها فى الحياة ، وبدأت نزولها من فوق مسرح الوجود ، بعد أن نخر السوس عظامها وقضت على نفسها بالزوال ، بما انغمست فيه من النعيم والترف والمظالم والفساد ، فلن تقوم لها بعد ذلك قائمة

كدود القـز ينسـج ثم يفنى   بمركز نسـجه فى الانعكاس

فلتقم غيرها من الأمم ولتبدأ الثانية من حيث انتهت الأولى ، والله يقول فى محكم كتابه ((**وتلك الأيام نداولها بين الناس**)) وقد أشار ابن خلدون فى مقدمته التاريخية الفلسفية ، الى أن الأمم كالأفراد تولـد ثم تشـيب وتهرم وتفنى ، وأن الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب فلابد من عودته الى شعب آخر . وان من عوائق الملك حصول الترف والانغماس فى النعيم .

ان موقع الجزيرة العربية يؤهلها لأن تكون أفضل مركز وخير قاعدة لدعوة جديدة تبدأ فيها ثم تنمو شيئا فشيئا ، ثم تنتشر فى مشارق الأرض ومغاربها ، فقد كانت الجزيرة ومكة فى شبه عزلة وحماية من المباذل والمفاسد التى انغمست فيها الدول الكبرى ومن أن يمتد اليها سلطانها الحربى والسياسى . بما يحيط بها من بحار وصحارى ويكتنفها من جبـال ومهامه قفار . نعم ان مكة كانت ملتقى القوافل التجارية لكن هذه القوافل لا تعتبر احتلالا ولا استعمارا ، ولكنها بالعكس قـد تكون وسائل دعوة ودعاية وانتشار لمبادىء الدين الجديد عندما يظهر .

كانت لا تزال فى عرب الجزيرة صفات تجعلهم جديرين بظهور دعوة الاسلام فيهم ، فحمية العربى ونخوته ، وكرامته وعدم تعوده

على الخنوع والمذلة والهوان ، يؤهله ذلك لأن يتلاقى مع مبادىء الاسلام ، المبنية على الحرية والعزة والكرامة والجهاد فى سبيل الله والتفانى فى سبيل نصرة الرأى والعقيدة ، فاذا سمع العربى **« فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم »** ، ثم سمع بعد ذلك « من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر » ثم خلى ونفسه ليختار لنفســـه وطبيعته واحدا من المبدأين ، فانه لاشك سيختار الأول وينفر من الثانى نفرة شديدة ، وقد كانت اللازمة العربية للفرد العربى فى صحرائه وحياته هى اعتماده على نفسه وقوة شكيمته فى رد العدوان عن نفسه .

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

كذلك كان الكرم والجود طبيعة وسجية فى نفس العربى ، وكذلك كان اكرام الجار واكرام الضيف والنجدة والشهامة والفروسية من الصفات العربية الأصيلة التى كانت على لقاء تام مع مبادىء الاسلام الحنيف دين الفطرة .

كذلك كانت السماء الصـــافية والفضاء الواسع والصـــحراء المترامية الأطراف ، والهواء النقى والنجوم التى ترصع الصحراء ليلا والقمر الذى اكثروا من ذكره فى شعرهم وغزلهم ، والانتجاع والحط والترحال ، واللقاء والفراق وأسواق الشعر والأدب ، كل ذلك مما كان له أكبر الأثر فى صفاء قرائحهم وسلامة سلائقهم وذلاقة ألسنتهم ، وسلامة أبصارهم وأسماعهم وأجسادهم ، وبلوغهم من اللسن والبلاغة والفصاحة مبلغا رشحهم لأن يتفاهموا ويتفاعلوا مع معجزة الاسلام وكتابه البليغ المعجز ، وانما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه ، ولأن يكونوا بعد أن يتشربوا مبادىء الاسلام خـــير أمة أخرجت للنـــاس ، يملكون الذكاء والفطنـــة واللسن ، ويملكون الشجاعة والسيف ، يملكون الألفة والحمية يصدق فيهم قول قائلهم :

متى تملك القلب الذكى وصارما وأنفا حميـــا تجتنبـــك المظالم

يقول الأستاذ حامد عبد القادر فى كتابه الملل والنحل : « وانت تعلم أن العقيدة لا تنتشر الا على أيدى دعاة أقوياء الشخصية ، أقوياء الحجة قد ملكوا ناصية البيان ، وقبضوا على أزمة الفصاحة والبلاغة ، ولم يكن عند مبعث خاتم النبيين أمة أقوى جنانا وافصح لسانا ، واقدر على الجدل والمناقشـــة من العرب الذين هيأتهم ملكاتهم الحربية والأدبية للصـــبر على المجاهدة ، والقـــدرة على المجالدة ، وعرفوا بحضور البديهة وصفاء القريحة ، فاختارهم الله دعاة لدينه وجعل ديارهم مهبطا لوحيه الذى أوحى به الى صفوة خلقه وخاتم أنبيائه » ا هـ .

نعم . وقد صار منهم أمثال أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعائشة ، وخديجة وطلحة ، والزبير ، وحمزة ، وابن عوف ، ومعاوية ، وخالد ، وعمرو ، وسعد ، والمثنى ، وأبو عبيدة ، وقال الله فيهم وفى الثناء عليهم « **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شـــطاه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما** » وقد حقق ابن خلدون فى مقدمته ان العرب لا يحصل لهم ملك الا بصبغة دينية تؤلف كلمتهم على الحق والهدى ، وهم أسرع الناس قبولا لذلك ، لسلامة طباعهم من عوج الكلمات وذميم الأخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المتهيىء لقبول الخير ، وأن الدعوة الدينية تزيد الدولة قوة على قوة العصبية ، وأن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم . ومن هنا نعلم أن فكرة القومية العربية معاضدة للاسلام ومناصرة وليست منافية .

لم يكن العرب قبل الاسلام منغمسين فى الجهل والفساد انغماسا كليـــا ، مجردين من كل فضل ومزية لأن الحق والواقع أنهم كانوا على حضارة لا بأس بها بالنسبة لحياتهم الصحراوية ، ولهم من المعارف والأفكار والحكم والأمثال والمواعظ ما يعتبر فلســـفات لا تصدر الا من أعظم العباقرة وقد حقق المرحوم الأستاذ العقاد فى

كتاب له بعنوان « حضارة العرب أسبق من حضارة اليونان » أن الحضارات القديمة مدينة للعرب بالشيء الكثير .

وفى نظرى أن الأمة التى كان لأدبها وكلامها وشعرها ونثرها وحكمها وأمثالها وابراز أفكارها فى أسلوب جذاب خلاب أسواق متعددة تعرض فيها هذه البضاعة كأعز وأعظم ما تعرض على نمطه أعظم البضائع وأعزها ، لا يمكن أن تكون أمة ترمى بكل نقيض أو يجردها مؤرخ منصف من المزية والجدارة ، ويرى كثير من الباحثين أن الجاهلية فى قولنا عنهم أهل الجاهلية والأدب الجاهلى والشعر الجاهلى والعصر الجاهلى ، ليس من الجهل ضد العلم ولكنه من الجهل بمعنى الحمية وغلظ الطبع والفظاظة ، والله يقول فى محكم كتابه : **((اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما))** والشاعر يقول .

الا لايجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أما اتصافهم بالأمية بمعنى عدم القراءة والكتابة ، فانه كان فى نظرى اعدادا ربانيا لهؤلاء الناس ليكونوا على صلاحية لتلقى دين الاسلام ومعجزته البيانية ، التى كان مبناها الحكمة والبلاغة والفصاحة ، هذه الأمور التى كانت أمية العرب تساعد على تكون ملكتها فى نفوسهم ، حيث تعودهم الاعتماد على صفاء الذهن ، وسيلان القريحة ، ومهارة الحفظ والاستذكار ، وقوة العارضة فى البيان واللسن ، كتبهم هى طيات قلوبهم ، وأقلامهم التى تفيض سحرا وبيانا هى السنتهم يدفع بهم هذا الاعداد الربانى دفعا قويا لأن يكونوا بلغاء فصحاء . فتنزل عليهم معجزة البلاغة والفصاحة ، فيهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة . وكان تأثر العربى بالقرآن وحلاوته وطلاوته مسلما كان العربى أو غير مسلم يبلغ مداه حتى يقول الكافرون فيه : سحر ، شعر ، كهانة ، أساطير الأولين ، والحقيقة التى يوارونها : مؤثر ، بليغ ، رائع معجز . كما قال الوليد ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أوله لمثمر وان آخره لمغدق وما هو بقول بشر .

وقد ثبت فى الدراسات الأدبية ان لغة العرب قبيل الاسلام كانت بواسطة تجمعاتهم فى مواسم الحج والأسواق تخضع لعملية تجميع وتصفية وانتخاب واندماج فى لغة قريش أفصح اللغات ، تمهيدا لنزول القرآن بها . وفى المأثور « نزل القرآن بلغة قريش » فللأمية واللغة وقوة البيان وسلاســة الكلام وفصاحة اللسان علاقات وثقى بمعجزة الاسلام ونزول القرآن .

وانما كانت لغة قريش أفصــح اللغات وأصرحها ، كما يقول ابن خلدون ، لبعدهم عن العجم من جميع جهاتهم ، ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبنى كنانة وغطفان وبنى أسد وبنى تميم ، وأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان واياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة ، فلم تكن لغتهم تامة الملكة لمخالطة الأعاجم ، وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغتهم عند أهل العربية .

أما أمية الرسول صلى الله عليه وسلم . فمع ما فيها من الاعداد البلاغى على نحو ما كان فى أمية سائر العرب ، وعلى نحو ما تمدح به ، من أنه أفصح العرب وافصح من نطق بالضاد ، وأنه من قريش وتربى فى بنى سعد قبيلة حليمة الســعدية المشــهورة بالبلاغة والفصاحة . كانت من وجه آخر نفيا لشبهة استمداده القرآن من كتب الأولين وابرازا لمعجزة العلم فى الأمى ، على نحــو ما قال البوصيرى .

كفــاك بالعلم فى الامى معجزة فى الجاهلية والتاديب فى اليتم

وها هو ذا الله تعالى يقول له « **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحــد بآياتنا الا الكافرون** » ويقول له : « **وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنــا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشــاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم** » .

من الوجهة الدينية العقائديـــة ، لم يكن العرب مطبقين على عبادة الأصنام ولم تكن عبادتها فيما بينهم شيئا جديا ، وأعتقد أن توحيد الله ومعرفته الحقة كانت فى قرارة نفوسهم ، وأن العربى بطبيعته كان ذكيا لماحا لا يخفى عليه بأقل تفكير أن حجرا أو صنما يصنعه الانسان بيديـــه لا يمكن أن يكون الها حقا ينفع ويضر ، وكأنما كانوا يرون أن تعظيمهـــا لا يمكن أن يغضب الله وانما هو بمشيئته وارادته ، ومما زاد فى شرعيتها وقداستها عندهم أنها كانت عند آبائهم وأجدادهم كذلك وأنهم وجدوا آباءهم على أمة وأنهم على آثارهم مقتدون . لقد كانوا قبل الاسلام يقولون فى حجهم عند التلبية « لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك الا شريكا تملكه وما ملك » لقد قال القرآن عنهم ((**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم**)) لقد كانوا يذكرون **الله** ويحتجون بمشيئته حتى فى مقام شركهم به فيقول تعالى عنهم فى سورة النحل ((**وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين**)) ويقول فى سورة الأنعام ((**سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا . ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون . قل فلله الحجة البالغـــة فلو شـــاء لهداكم أجمعـــين**)) .

هاهو ذا أدبهم شعرا ونثرا ، والأدب ترجمان الواقع ، وانعكاس صادق للأفكار والمفاهيم التى يعاينها ويمارسها الناطقون به ، فهل نجد فى الأدب العربى تمجيدا للأصنام . هل نجد ذكرها شائعا فى أدبهم شعرا أو نثرا ؟ الواقع يقول لا .

بل ان الواقع الثابت المنقول الينا أنهم كان فيهم نخبة من الأدباء والشعراء هاجموا الأصنام وعبادتها ودعوا فى شعرهم الى توحيد الله وفضائل الأعمال والاستعداد ليوم الممات وما بعده ، وكان فيهم جماعة تسمى الحنفـــاء ، حنيفيين على دين ابراهيم وملته الحنيفية السمحة : أمية بن أبى الصلت الثقفى ، وســـويد بن عامر ، ووكيع بن سلمة ، وخالد بن سفيان العبسى ، وعبد الله

القضاعى ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة الايادى ، وعدى بن زيد ، وورقة بن نوفل ، هؤلاء وغيرهم يعتبرون طليعة رائدة نحو معرفة الله الحقة والعزوف عن الأصنام والالتفاف حولها بأى وجه كان هذا الالتفاف ، وفى شعر السموال ولبيد وزهير بن ابى سلمى آداب راقية وحكم عالية تهز النفوس وتأسر القلوب . فمن كلام لبيد : هذا البيت الشعرى الذى قال فيه الرسول أصدق كلمة قالها لبيـــد :

الا كل شىء ما خلا الله باطــل وكل نعيم لا محالـــة زائـــل

واستهل السموال قصيدته المشهورة الطويلة بقوله :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضـــه فكل رداء يرتديه جميل

ومن كلام قس : ان فى السماء لخبرا وان فى الأرض لعبرا ، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون . أرضــوا فأقاموا أم تركوا فناموا . يقسم قس بالله قسما لا اثم فيه ان لله دينا أرضى لكم وأصح من دينكم الذى انتم عليه ، وانكم لتأتون من الأمر منكرا .

فى الذاهبـــين الأولـــين من القـــرون لنـــا بصـــائر
لمـــــا رأيت مـــــواردا للمـــوت ليس لهـــا مصادر
ورأيت قـــومى نحـــوها تمضى الأكابر والأصـــــاغر
لا يرجـــع المـــاضى الى ولا من البـــاقين غـــابر
ايقنت أنـــى لا محـــالة حيث صـــار القـــوم صائر

ومن كلام عدى :

ليس شىء على المنـــون بباق غير وجه المسبح الخـــلاق

وتخيل أهل القبور يقولون لمن يمرون عليهم :

أيهـــا الـــركب المخبـــون على الأرض المجـــدون
كمـــا أنتـــم كنـــا وكمـــا نحـــن تـــكونون

ومن كلام زيد بن عمرو بن نفيل القرشى الحنيفى السابق ذكره :

اربـا واحـدا أم ألف رب أدين اذا تقسمت الأمـور
تركت الـلات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجـل البصـير
فـلا عزى أدين وابنتيهـا ولا صـنمى بنى غنم أزور
ولـكن أعبـد الرحمـن ربى ليغفـر ذنبى الرب الغفـور

وقد أخرج البخارى أن ابن عمر حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لقى عمرو بن زيد بن نفيل هذا فسمع منه أنه لا يأكل مما ذبح على الأنصاب ، ولا يأكل الا مما ذكر اسم الله عليه ، وكان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها النبات من الأرض وأنتم تذبحونها على غير اسم الله ؟ !

وأخرج البخارى ايضا عن أسماء بنت أبى بكر ، قالت : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسـندا ظهره الى الكعبة ، يقول ، يا معشر قريش . والله ما منكم على دين ابراهيم غيرى ، وكان يحيى الموءودة . يقول للرجل : اذا أراد ن يقتل ابنته : أنا أكفيك مؤونتها فيأخذها فاذا ترعرعت . قال لأبيها : ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤونتها .. وفى روايات أخرى أن زيدا هذا ذهب الى الشام وناقش اليهود فى دينهم فلم يسترح اليه لما استشف منهم أنهم ليسوا على شىء ، ثم ناقش النصارى فى دينهم فلم يسترح اليه بعد أن استشف منهم أنهم ليسوا على شىء ووجد تعظيما من الطائفتين لابراهيم ودينه ، فرفع يديه نحو السماء وقال : اللهم انى أشهدك انى على دين ابراهيم .

ونقل الينا التاريخ أنهم كانوا يلحقون الأذى بالأصنام ويتهكمون بها ويثورون عليها ، فقد روى ان امرأ القيس أتى بابله الى صنم ليباركها فندت وضلت فانهال عليه ضربا قائلا له : تبا لك من اله جئتك تبارك ابلى فاذا هى تضل عنى ؟ وروى أنه أصاب اللات حريق فقيل فيها وفى النهى عنها :

لاتنصروا اللات ان الله يهلكها وكيف نصركم من ليس ينتصر
أن التى حرقت بالنار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها هدر

ورأى عمرو بن الجموح صـــنمه قد ألقى فى بئر فيه قاذورات مقرونا بحبل مع كلب ، وكان قد وضع فى رقبته سيفا ليدفع به عن نفسه دعابة الساخرين ، فلم يملك نفسه أن قال :

والله لو كنت الهـــا لم تـــكن أنت وكلب وسط بئر فى قرن

ورأى رجل صنمه وقد علاه الثعلب يبول عليه فقال لفوره :

أرب يبـــول الثعلبان برأســـه لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وكان لبنى حنيفة صنم من حلوى فأدركتها مجاعة فأكلته فتندر بذلك القائل :

أكلت حنيفـــــة ربهـــــا زمـــن التقمم والمجـــاعة
لم يحـــذروا من ربهــم ســـوء العواقب والتباعـــة

ومن كلام ورقـــة :

فسبحان من تهوى الرياح بامره ومن هو فى الأيام ماشاء يفعل
ومن عرشه فوق السموات كلها وأحكامـــه فى خلقـــه لا تبدل

ومن كلامه ايضـــــا :

لاشىء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الاله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه والخلد قدحاولت عاد فماخلدوا
اين الملوك التى كانت لعزتهـــا من كل أواب اليها وافد يفـــد
حوض هنالك مورود بلا كدر لابد من ورده يوما كما وردوا

ومن كلام أمية بن أبى الصلت :

ان آيـــات ربنـــا ثاقبـــات لا يمـــارى فيهن الا الـــكفور
خلق الليل والنهـــار فـــكل مستبين حســـابه مقـــدور
ثم يجـــلو النهار رب رحيم بملهـــاة شـــعاعها منشور

ان كثيرا من هذه المعانى كانت تدور بخلد الرجل فيفضى بها الى الناس فتفعل فعلها فى نفوسهم بما تلقى من القبول والاقبال ، ثم يكون لها أثرها الملموس ، فان كتب التاريخ تذكر أنه اجتمع ناس بنخلة لاحياء عيد العزى ، فقال رجل منهم : والله ما قومكم على شىء وانهم لفى ضلال . فما حجر نطوف به لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع ، ومن فوقه يجرى دم النحور ، يا قوم التمسوا دينا غير هذا الدين الذى أنتم عليه . ثم تفرقوا فمنهم من تنصر ، ومنهم من اعتزل الأوثان ، ومنهم من انتظـر حتى وافتـه دعوة الاسلام فلباها ، هذا بالاضافة الى أن كثيرا من كهان العرب وذوى السجع فيهم كانوا يهتفون فى كلامهم بنبى حان وقت ظهوره ، وكان يهود المدينة يهددون العرب من الاوس والخروج بأن نبيا سوف يظهر يؤمن به اليهود ليقتلوا العرب قتل عاد وارم . وكان العرب انفسهم على شىء كثير من بقايا شريعة ابراهيم عليه السلام فيما يتعلق بتحريم الحرم وتكريم الكعبة والأشهر الحرم والحج بمـا فيه من تلبية وطواف ، وكانت لهم صلاة وتوجه نحو الكعبة ، وكانت لهم احسانات مالية ، للجار والضيف والفقير واليتيم وابن السبيل ، وكانوا يعرفون الصوم والنذر وقد روى أن عمر نذر فى الجاهلية أن يعتكف ليلة فى المسجد الحرام ، فسأل الرسول عن ذلك بعد اسلامه فقال له : أوف بنـذرك . وكانوا يعرفون الختان والغسل من الجنابة وتحريم الأمهـات والبنـات والعمات والخالات والجمع بين الأختين والطلاق والعدة ، وقطع يد السارق وصلب الرجل اذا قطع الطريق ، وتوجيـه اليمين على من أنكر والبينة على من ادعى ، وكان لهم ايمان عجيب بالقضاء والقدر .

لقد كان ذلك كله من الوجهتين الفكريـة والاجتماعية تمهيدا وتوطئة لمجىء الاسلام وظهوره فى هذه البيئة المواتية له والمناخ الملائم لمبادئه وظهور نبيه وميلاده ونشأته فيه .

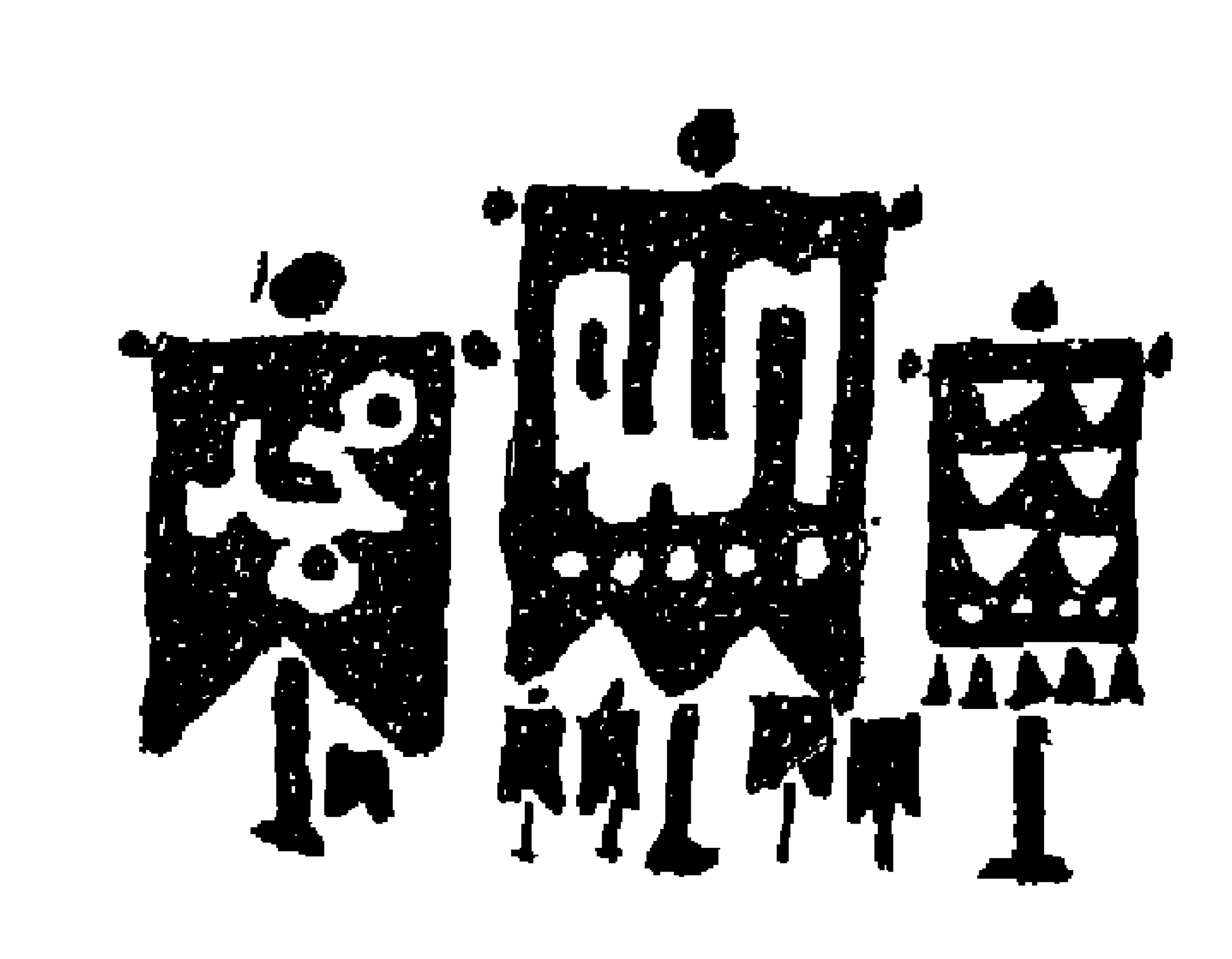
مشيئة الخالق البارى وصنعته وحكمة الله فوق الشك والتهم

ولقد كان ذلك كله بجملته وتفصيله تطورات حتمية واعدادات ربانية لاستجابة دعوة أبينا ابراهيم حين دعا وهو يبنى بيت الله الحرام بمكة « **ربنا وابعث فيهم رسـولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم** » .

الميلاد العظيم

الدكتور عبد العزيز محمد عزام

في أواخر القرن السادس من الميلاد خيمت على العالم ظلمات الجهالة وأحاطت به سبل الضلالة، وانحط العقل البشري فأنكر ألوهية الخالق، وعبد مالا يسمع ولا يبصر. وقد بلغ العرب من سخافة العقل حدا صنعوا فيه أصنامهم من الحلوى ثم عبدوها فلما جاعوا أكلوها، وبلغوا من فساد الأخلاق أن الفحش قد بلغ منهم مبلغا لم يعد معه للعفاف قيمة، فقتلوا أولادهم سفها بغير علم خشية الفقر والحاجة أو مخافة العار، وأكرهوا فتياتهم على البغاء.



ومن العرب من كان يعبد الكواكب وخصوصا الشمس، فكنانة كانت تدين للقمر، وبنو لخم وجرهم كانوا يسجدون للمشتري وبنو طي ألهوا سهيلا وكان بنوقيس عيلان يتوجهون للشعرى اليمانية.

وكان منهم من يعتقد بفناء الانسان اذا خلعته المنون من العالم، ومنهم من كان يعتقد بالنشور فى حياة بعد هذه الحياة ، فكان هؤلاء الأخيرون اذا مات أحد أقربائهم يذبحون على قبره ناقة أو يربطونها ثم يدعونها تموت جوعا ، معتقدين ان الروح لما تنفصل من الجسد تتشكل بهيئة طير يسمونها الهامة أو الصدى ، وهما نوع من البوم لا تبرح تطير بجانب قبر الميت ، نائحة ساجعة تأتيه بأخبار أولاده فاذا كان الفقيد قتيلا تصيح صداه قائلة (اسقونى) ولا تزال تردد هذه اللفظة حتى ينتقم له أهله من قاتله بسفك دمه .

ولم تكن الممالك المجاورة للامة العربية بأحسن حال مما كان عليه العرب فقد ظهر الربا فى اليهود بشكل غير معهود ، فاستفحل ضررهم وتفاقم شرهم واستغاث المجتمع من هؤلاء المرابين والمطففين ((**الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون**)) وقد كان يهود يثرب قدوة سيئة فى كل علاقة بينهم وبين العرب أو بينهم وبين أنفسهم ، ولم يؤثر عنهم قط سعى فى سبيل مطالب من مطالب العامة والخاصة غير الاستكثار من الربح المشروع وغير المشروع بكل ما استطاعوا من حول وحيلة .

فكانت الحقبة اذن حقبة حائرة بين العبادات ، ولم تكن عبادة منها لتستأثر بضمير صاحبها ، أو تغنيه عن النظر فى غيرها .

وفى تلك الفترة القاسية والظروف المضطربة الملوثة بدماء الأبرياء وأموال الضعفاء ، وفى هذا الجو الخانق الملبد بغيوم الضلالات والأوهام وسحب الاضطرابات الوحشية والحروب التى كان الغرض منها هو الغنيمة والسلب والنهب اقول فى هذه الأحوال الحالكة والظروف الشديدة الوطأة ، انطلقت بشرى الانقاذ بميلاد الرسول المنتظر الذى ساقته العناية الالهية لهذا العالم الذى يضطرب فى الباطل ، ويتخبط فى الضلال ويتبسط فى المنكر .

كبهيمة عمياء قاد زمامها

أعمى على عوج الطريق الأعوج

فهتف فى سمع الدهر وصاح فى أذن الدنيا ((**يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا**)) فاستقبلت الانسانية به عهدا زاهرا

بالحب والتعاطف والتراحم والحرية والمساواة وانقذ الانسان من ظلم أخيه الانسان واعاد له حقه فى الحياة . وليس بعد اليوم ملك ولا كاهن ولا سيد ، انما العبادة لله والقيادة للرسول والسيادة للدين والحكومة للعرب والدنيا للجميع .

ومن الموافقات العجيبة فى حياة الرسول ان شهر ربيع الأول كان شهره من بين الأشهر وأن يوم الاثنين كان يومه من بين الأيام ، فيوم الاثنين من الاسبوع الثانى من شهر ربيع الأول كان يوم استهلاله فى مكة ويوم الاثنين من الاسبوع الثانى من شهر ربيع الأول كان يوم هجرته الى المدينة ، ويوم الاثنين من الاسبوع الثانى من شهر ربيع الأول كان يوم انتقاله الى الرفيق الأعلى .

ولهذه الموافقات سر يعلمه من اصطفاه على خلقه واصطنعه لحقه ، واختصه برسالته . ومن همسات هذا السر ان شهر ربيع الأول هو شهر اليمن والخصب والجمال فى العام . وأن يوم الاثنين هو يوم القمر عند القدامى وللقمر شأن مذكور فى الاسلام ، فهو ميقات للناس والصوم والحج ، وشعار للأمة والملة والدولة .

واذا كانت النتائج تشير بالضبط الى قيمة المقدمات ، ففى أى زمرة تحشر تلك الروح المحمدية الفعالة التى منها انبعث ذلك النور الأعظم ، وبها وحدها حدث ذلك الحادث الجلل ، هل هى روح خطيب مصقع .. ؟ **كم ظهر فى الوجود من بليغ اذا قال خلب الألباب ، واذا خطب أسر الأسماع مثل قس بن ساعدة وسحبان وائل وغيرهم وغيرهم ، فما هى آثارهم وما هى نتائج أعمالهم ؟**

هل هى روح شاعر .. ؟ كم نبغ فى هذا الكوكب من شاعر مطبوع اذا شعر جسم الخيال ، وجسد خطرات الوجدان ، ونال سرائر النفوس مثل امرىء القيس وزهير فى العرب وكلهم كان له شعر أعذب من السلسبيل ، وأفعل فى العقول من الرحيق فما هى آثارهم وما هى نتائج أعمالهم ؟

هل هى روح فيلسوف .. ؟ كم نشأ فى العالم من فيلسوف فتق بفكره غلف المساتير ، وسبر بعقله أغوار القلوب ، مثل سقراط وأبيقور وزينون وغيرهم وغيرهم فما هى آثارهم وما هى نتائج أعمالهم ؟

هل هى روح شجاع .. ؟ كم عاش فى الأرض من أقيال اذا اعتلوا صهوات الجياد الصافنات ، ارعدوا فرائض الكتائب ، وأوقعوا الرعب فى سكان المدائن ، فما هى آثارهم وما هى نتائج أعمالهم ؟

هل هى روح قائد محنك .. ؟ كم ظهر فى الأمم من قواد ، وكم انجبت الشعوب من أنجاد ، قادوا الجيوش ، وقطعوا الصحارى وفتحوا البلاد وأتوا من الحيل الحربية بما تعجز عنه المدارك ، فما هى آثارهم وما هى نتائج أعمالهم ؟

هل هى روح عابد ناسك .. ؟ كم نجم فى الأمم من زهاد وكزوا عروش الملك بأرجلهم ، وقنعوا من العيش بكلأ الأرض وقطرات السحائب ، وكم ظهر فيها من عباد نصبوا أنفسهم ليلا ونهار الترتيل الدعوات واستنزال العبرات ، فما هى آثارهم وما هى نتائج أعمالهم؟
انها روح القدس ونور الله الذى انفتح به باب من السماء على غار حراء تنزلت منه الملائكة والروح على أهل الأرض ، وانبثقت فيه الشعاعة الأولى من وحى الله على قلب الأمين من فوق جبل النور فحمل على الشرك بالتوحيد وابتدأ تاريخ وانتهى تاريخ .

وان من يقرأ سيرة هذا الرسول العظيم لاشك يدرك عظمته التى تجلت آثارها فى العالم كله ، انها عظمة الانسان الذى يحس بآلام الناس ويعمل على انقاذهم من ذوى النفوذ والقوة والجبروت .. حقا انها عظمة فريدة فى نوعها ، خالدة بخلود آثارها ، انها تنمو وتمتد وتسرى بقوتها الذاتية فى الوجود كله شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وتنطلق أشعتها على الناس فتمتلىء بساحتها وبروعتها النفوس .

لقد كانت عناية الله ترعاه فى كل طور وفى كل مرحلة ، عاله وهو يتيم فقير وكفله وهو راع صغير ووفقه وهو تاجر أجير ، ثم شاء الله لأمر يريده أن يصنعه على عينه ، فأدبه بأدبه ، وعلمه من علمه ، وعصمه من أرجاس الوثنية وأوزار الجاهلية ، حتى صار اليتيم العديم سيدا للجزيرة ، والراعى الصغير راعيا للعالم ، والتاجر المتجول فاتحا للأرض ، وهناك بالصبر والصدق والايمان والثبات والجهاد والخلق والرجولة ، أثمر الغرس وتم النور ، **واتحدت الكلمة واتسعت الرقعة ، فصارت المدينة دنيا والقلة ملة ، والقرى الثلاث وهى مكة والطائف ويثرب قارات هى آسيا وأفريقيا**

وأوربا ، وأصبح الاســلام الذى بدأ بخديجة وعلى وأبى بكر وزيد دين النـــاس ودنيــا العــالم يقف بــه فى آخــر المغــرب عقبة بن نافع على شاطىء المحيط الأطلسى ويقول وقد خوض جواده فى الماء : « **اللهم رب محمد لولا هذا البحر لفتحت الدنيا فى ســبيل أعلاء كلمتك » اللهم فاشهد ! . ويتجه به الى آخر الشرق قتيبة الباهلى ويأبى الا أن يوغل فى بلاد الصين فيقول له أحــد أصحابه محذرا : « لقد أوغلت فى بلاد الترك يا قتيبة ، والحوادث بين اجنحة الدهر تقبل وتدبر » فيجيبه قتيبة : « بثقتى بنصر الله أوغلت . واذا انقضت المدة لم تنفع العدة ؟ فرد عليه المشفق المحذر : « اسلك سبيلك حيث شئت ، فهذا عزم لا يفله الا الله » .**

وبهذه الروح كان الواحد منهم فى دنيا الناس لا يخشى شيئا الا رب العالمين ، فتقدموا فيها يحملون راية الحق ويذودون عنها بكل ما يستطيعون ، شعارهم فى ذلك قول الله عز وجل : « **فاذا جــاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** » . يواجهون أعتى امة على ظهر الأرض فلا يخشونهم وشعارهم : « **قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعــذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون** » .

فمن ذا الذى كان يدور بخلده أن هذا اليتيم الفقير الذى تجافته المراضع وزهدت فيه ليتمه وفقره أن يحدث فى الدنيا كل هذا التأثير وأن يملأ الأرض عدلا وخيرا الا أن تكون روحه قد استضاءت بنور من هذه المشكاة الأزلية التى أشرقت على الدنيا ببهائها ، وأبدعت هذا الخلق بمحض ارادتهــا لينتشر دين الله الذى اختــاره لخــير الانسانية جمعاء « **الله أعلم حيث يجعل رسالته** » .

سيدى رسول الله : ما كان أحراك أن تكون رسول رحمــة للعالمين وسيدا للخلق أجمعين ، بعد أن طبق الخافقين ذكرك وعم بين الناس امرك وكنت فينا المثل الاعلى للخلق الكريم ، والمثابة المثلى لهداية الناس اجمعين .. وما أحوج عالم اليوم الى التعمق فى فهم شخصيتك وحتمية رسالتك التى أخرجت الناس من الظلمات الى النور .. ما أحوجه الى نورك الذى أضاء المشارق والمغارب ، وفتح باب الأمل والرجاء للانسانية المعذبة بعد ما ضاع الحق بينهم وساد الباطل فيهم .

وانها لمناسبة كريمة وفرصة سانحة لكى يبدأ المسلمون من جديد للتعرف بالاسلام والدعوة الى الاسلام بالايمان العميق والفكر الدقيق والاسوة الحسنة فى حياته وجهاده ، فقد حقق بالعمل المتواصل والجهاد والنضال كل ما يتطلبه الاسلام من قوة ومنعة وانتصار فى كل المجالات .

ما أجدر النفوس الحرة المؤمنة أن تخشع اجلالا لذكرى مولدك فهى حافزها على جلائل الأعمال وعظائم الأمور . وانه لمن حق هذه الذكرى الكريمة العطرة ، أن نترسم خطاه ، وأن نحيى تراثه ، وأن نقيم سنته ، وأن نكون على صلة وثيقة بسيرته وهديه ، وعلى معرفة تامة بتاريخه ونشأته من يوم ميلاده الى مبعثه ، ومن مبعثه الى أن لقى ربه راضيا مرضيا ، قد أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح للأمة وتركها على المحجة البيضاء ، والشريعة السمحة الغراء .

ولقد سار على هديه سلفنا الصالح فتقدموا ونهضوا ، وعزوا وسادوا وارتفعت رايتهم فى كل مكان ، وطار ذكرهم فى الآفاق .

ويوم يعود المسلمون الى هدى نبيهم ويكون لهم فيه الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة يومئذ يحقق الله لهم النصر ويجعلهم خلفاء الأرض ((**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**)) .

والذين يعتقدون أن محمدا قد انصرف برسالته عن الحياة الى الآخرة ، يضعون من قدره ويحطون من شأن رسالته ، لأن رسالته لم تأت الا لتهيىء للانسانية حياة ناجحة سعيدة تنعم فى ظلالها وتتعطر بأريجها أبد الآبدين . ولو انتسب اليها المسلمون اليوم لكانوا فى حال غير حالهم ولأصبحوا فى المكانة اللائقة بهم ، كأمة أراد الله لها العزة والسيادة حتى يكون ذلك فلابد من العودة الحتمية لدعوة القرآن وخطاب الله الأخير للانسان ، لتحقيق هداية ربانية للانسان فى هذا القرن وفى القرون المقبلة باذن الله .

نبى الرحمة

فضيلة الشيخ محمد خاطر

فى شهر ربيع الأول من كل عــام تسعدنا الذكرى العطرة التى يمتلىء الكون بأريجها ، ذكرى مولد الرسول الكريم نبى الرحمة والهداية فتصفوا الأرواح فى روحانية سامية ، وتفيض الأفئدة والقلوب بعاطفة جياشة نحو صاحب الذكرى وما أقامه من أسس للرحمة والعفو والحلم والعــدالة ، وما أفاءه مولــده من خــير ونــور ملأ العالم وأضاء الكون وأنار الأبصار والبصــائر والأفئــدة ، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من هــداية قضت على بغى الجاهليــة ومحت ما ران على القلوب من ضلال وبهتان وظلم وأضــاءت طريق الحق وملأت الحياة بالقيم العالية والأخلاق الفاضلة كما ملأت القلوب بالرحمــة والشفقة والاحسان .



وكانت هذه الأسس وتلك المبادئ السامية من تعاليم الاسلام فى سلوك كل مسلم مفتاح السعادة وطريق الجنة ، فبالرحمة ينعم الانسان فى دنياه بالحياة الطيبة السعيدة ، ويفوز فى أخراه بثواب الطائعين المتقين .

واذ كانت هذه القمم السامقة من أخلاق الرسول الكريم ومنهجه غاية ما يبتغيه كل انسان يبغى الخير لنفسه ولأمته — ففى ذكرى مولده مولد النور ، وقد صفت النفوس واستجابت القلوب ، كان من الخير كل الخير فى ربيع هذه الذكرى ان نتدارس بعض هذه الجوانب من الهدى النبوى ، ومن حق الأبناء علينا ان نلقى الضوء على هذه المثل العليا من أخلاق الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

فهو الرحمة المهداه والنعمة المزجاه وفى ذلك يقول الله جل شأنه **« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »** .

كذلك يصفه رب العزة بالرحمة . فيقول سبحانه « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » . ويقول جل شأنه « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » فالرحمة من أخلاق الرسول صلوات الله وسلامه عليه فطرة وتربية وتوجيها من الله فيقول سبحانه لرسوله (واخفض جناحك للمؤمنين) .

ولذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة السامية والمثل الأعلى فى الرحمة أمرا وفعلا كما كان ينهى عن القسوة حتى مع الحيوان ، وهو فى أمره ونهيه يعطى الصورة الرائعة لتعاليم الاسلام وأحكامه فى ذلك ويضرب الأمثال للناس لعلهم يعقلون .

وهو فى رحمته وعطفه وشفقته فى أفعاله وأقواله انما كان يستأصل شأفة القسوة والفظاظة والغلظة من النفوس ليعيش الجميع فى أمن واطمئنان ، ذلك لأن الرحمة تبعث على الراحة والسكينة .

ويحدثنا الرسول الكريم عن الرحمة فيقول **(الراحمون يرحمهم الرحمن)** كما يقول **(من لا يرحم لا يرحم)** ويقول خاب عبد وخسر

لم يجعل الله تعالى فى قلبه رحمة للبشر . « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه . **أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بأصبعيه** » .

ولقد بلغ بالرحمة ذروتها حين أعلن أن الرحمة خير من الافراط فى العبادة لأن الله رحيم بعباده فلا يرضى لأحد من الناس أن يهلك حتى ولو كان ذلك من أجل العبادة .

وقد تعددت مظاهر الرحمة فى سلوك الرسول الكريم وتنوعت فوسعت الجميع واستوعبت الانسان والحيوان ، وأقام الرسول على أساسها ومنهجها الحقوق والتكاليف — قدم عليه رجل يطلب البيعة على الهجرة قائلا يا رسول الله « انى أبايعك على الهجرة وقد تركت أبوى يبكيان . فلم يقبل منه الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك وقال له ارجع اليهما فأضحكهما كما أبكيتهما » .

طلب اليه الرسول أن يرجع الى ابويه يضحكهما ويمسح دموعهما ويعيد اليهما الفرح والبهجة وذلك لأن بهجة تكسو وجه أم متلهفة على ابنها وبسمة تعلو شفتى أب حنون لها منزلة كبرى عند الرسول الكريم لا تقدر بثمن مهما عظم أو كان .

ومن صور الرحمة فى العبادة أيضا ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فرأى رجلا قد اجتمع عليه الناس وظلل عليه فقال ما باله . قالوا رجل صائم . فقال عليه الصلاة والسلام ليس من البر الصيام فى السفر ، عليكم برخصة الله التى رخص لكم فأقبلوها .

كذلك شكا اليه رجل أنه يتأخر عن صلاة الصبح مع الجماعة لأن فلانا يطيل بالناس فغضب رسول الله وقال « ان منكم منفرين فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز — (فليخفف) فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة » .

وفى هذا المعنى أيضا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « انى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبى فأتجوز — أخفف — فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه — ولقد رأى شيخا يهادى بين أبنيه فقال ما بال هذا ؟ قالوا نذر أن يمشى الى

الكعبة . قال ان الله لغنى عن تعذيب هـــذا لنفسه . وأمره أن يركب » ..

هذا وقد شملت رحمته غير المسلم فكانت رحمتـــه أعلى من الخصومة وارفع من العداوة .

فقد روى انه لـــا أسلم ثمامة بن أثال أقسم لأهل مكة انه لن يرسل اليهم حبة حنطة من اليمامة حتى يأذن رسول الله ـــ ثم عاد الى اليمامة ومنع قومه أن يحملوا الى مكة شيئا ، فكتبوا الى النبى يقولون انك تأمر بصلة الرحم فكتب الرسول صلى الله عليه وسلم الى ثمامة أن يخلى بين قومه وبين الحمل الى أهل مكة » . لقـــد فعل الرسول الكريم ذلك ولم يحاول تجويع قريش مع انه يعـــلم تماما أن تجويع قريش يضعفها ويقيه شرورها لكنه الخلق الفاضل الذى فطر على الرحمة المتأصلة فى النفس .

كذلك روى أن أسماء بنت أبى بكر قالت . قدمت على أمى ـــ وكان أبو بكر طلقها فى الجاهلية ، فهى مشركة ـــ بهـــدية من سمن وزبيب وقرظ ، فأبيت ان أدخلها الى بيتى ، وأن أقبل هديتها ، وأرسلت الى أختى عائشة لتسأل رسول الله فقال عليه الصـــلاة والسلام لتدخلها ، ولتقبل هديتها ، وقد أنزل الله سبحانه وتعـــالى ((**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انمـــا ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**)) .

فأنت ترى أن نبى الرحمة لم يشأ أن يحرم الأم المشركة عطف ابنتها عليها .

كذلك شملت رحمته وعطفه الأطفال الصغار فكان يداعبهم وكان يصف عبد الله وعبيد الله وغيرهما من أولاد عمه العباس ويقول : من سبق الى فله كذا فيستبقون اليه فيقعدون على صدره فيقبلهم ويلتزمهم)) .

ولقد أبصره الأقرع بن حابس يقبل الحسن ، فقال ان لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله . أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة ، من لا يرحم لا يرحم .

ويزيد هذا المعنى تأكيدا لحدبه وعطفه على الأطفال ما روى أنه صلوات الله وسلامه عليه مر ببيت فاطمة فسمع حسينا يبكى فقال لفاطمة ألم تعلمى أن بكاءه يؤذينى .

وكذلك الحيوان قد شملته رحمته وعطفه ففى مسيره صلوات الله وسلامه عليه من المدينة الى مكة عام الفتح رأى على ماء فى الطريق كلبة تهر على أولادها وهن حولها يرضعنها فأمر رجلا من أصحابه أن يقوم حذاءها حتى لا يعرض أحد من الجيش لها ولا لجرائها — وهو بذلك يعلمنا أسمى دروس الرحمة التى لم ينسها أبدا حتى للحيوان وفى وقت الزحف والحرب .

هذا وقد روى أنه رأى حمارا قد وسم فى وجهه فأنكر ذلك ونهى عن وسم الحيوان فى وجهه وعن ضربه على وجهه — وأن امرأة دخلت النار فى هرة حبستها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاس الأرض .

والرحمة على نحو ما أوضحنا تقتضى العفو والحلم والصبر وعفو الرسول الكريم وصفحه وحلمه أمثلة رائعة فى الذروة من اقتدى بها اهتدى وسلك الطريق المستقيم ويروى سفيان بن عيينة أن النبى صلى الله عليه وسلم حين نزل قول الله تعالى « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » . قال يا جبريل ما هذا ؟ قال لا أدرى حتى أسأل ربى .

ثم عاد جبريل وقال . يا محمد ان ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك » .

وهكذا قد تجلت رحمته صلوات الله وسلامه عليه فى كل المناحى فكان رحمة مهداه بحق وما أحوجنا أن نتدارس هذه الرحمة وندرسها لأولادنا وأهلينا ليعيش المجتمع فى ترابط يقوم على الرحمة والسلام .

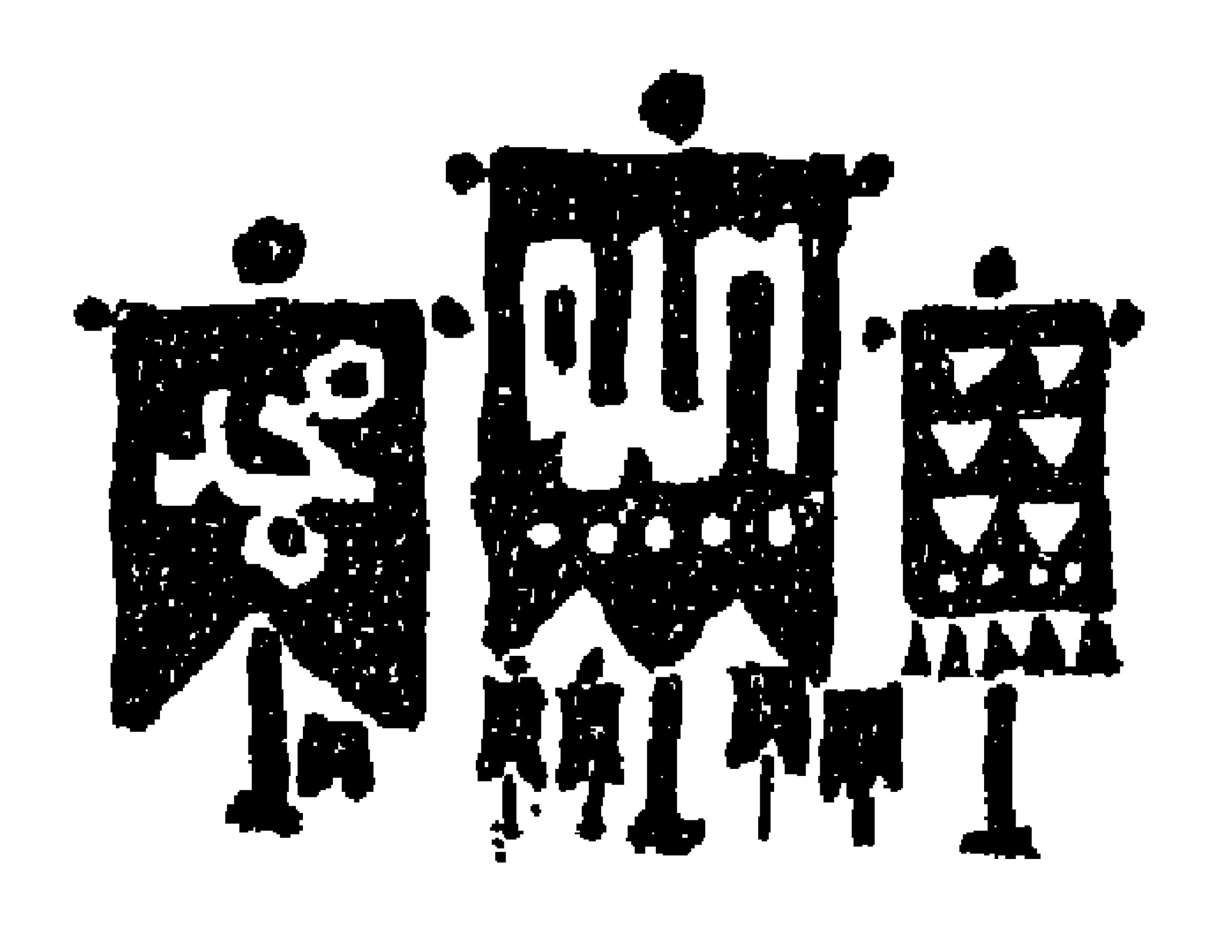
سيدى رسول الله . هذه لمحة من صور رحمتك الشاملة وباقة من كريم سجاياك ننشر أريجها فى ذكرى مولدك العطرة تنير الطريق لمن أراد الهداية والرشاد .

وعليك صلاة الله وسلامه خاتم الأنبياء وامام المرسلين .

عظمة النبى

صلى الله عليه وسلم

الدكتور السيد رزق الطويل



تقاس عظمة انسان من الناس . بما له من امكانات شخصية فذة ، أو مسلك بين الناس حميد وفريد ، أو مثل أعلى يحملها ، ويستطيع بها أن يغير واقعا سيئا يعيش عليه مجتمعه الى وضع أسمى : وأهدى وأرشد .

وهذا المولود الذى برز الى الوجود فى شهر ربيع الأول كان عظيما بكل المقاييس ما ذكرته منها ، وما فاتنى أن أذكره .

وتشاء الأقدار الحكيمة أن يولد العظيم بعد حدث عظيم شد انتباه أهل مكة الى حقيقة كبيرة طالما ذهلوا عنها : وشوهوا وجهها الأبيض الناصع .

وجدوا جيشا ضخما يقتحم بطحاء مكة يريد أن يقوض البنية الكريمة ، والبيت العتيق وعند ذاك نسوا أوثانهم التى اتخذوا منها شفعاء لله ، وذكروا ربهم الواحد .

وهتف زعيمهم عبد المطلب ، وعلى مرأى البصر جيش البغى :

لا هم ان العبد يمنع رحله فامنع رحالك .

ومنع الله بيته ، ورد عنه الغزاة بآية عظيمة هزت وجدان القوم ، وان لم تحرك غفلة العقل وضلال الفكر ، ليأتى المولود العظيم ليحقق لقومه وللبشرية ما لم تحققه هذه المعجزة .

لا أريد أن أخوض فيما يحلو لكثير من الناس أن يخرضوا فيه من حديث الايوان الذى تصدع والبحيرة التى غاصت ، وأحداث الولادة التى لم تشهدها أنثى تضع وليدا ، ذلك لأنى أرى أن من الاساءة البالغة لعظمة العظيم أن يكون حديث عظمته مجموعة من الخوارق هى موضع الأخذ والرد والأثبات والنفى ، مع أن له من مظاهر العظمة حقائق انحنت لها هامة التاريخ ، وأذعن لها ضمير الوجود .

لقد ولد محمد بن عبد الله كما يولد أى طفل فى مكة ، ولم ير القوم فى مولده شيئا غريبا يلفت النظر ويثير القوم ، سوى أنه وجد له طريقا يختلف فيها عن كثير من أترابه ، لم يجد أباه ، وفقد أمه فى السادسة وعاش بعد ذلك فترة فى كنف الجد الحانى ، والعم الشفوق .

ثم غالب الحياة ، وصارع أحداثها ، وأخذت آيات عظمته تظهر تباعا ، وتسير فى اتجاهات ثلاثة :

(أ) عظمة الذات :

لقد توافرت للوليد امكانات فردية فذة :

فطرة نقية ربطته بالخالق وسط مجتمع يموج بالضلال ، ويعج بالبغى .

تربية سامية وسط ظروف كان ينتظر له معها الضياع والتشرد .

حكمة سديدة ، وبصر نافذ ، وعلم بأمور الناس والحيـــاة برغم الأمية التى عاشها مع قومه وذويه .

ان سر هذه العظمة أن الله رباه بعنايته ، وصنعه على عينه .

وذكره الله بهذه المنن اثر لحظات من القلق ألمت بنفسه الكريمة بعد فتور الوحى عنه ، فقال : (ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجـــدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى) .

وذكره بها فى مواطن أخرى فقال : (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان) (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما) .

ومناهج هذا الأدب الألهى الكريم واضحة .

هذه الظروف التى ارادها الله لحياته ، ليتعلم منها مواجهـــة الحياة ، ومكابدة الصعاب ، بعيـــدا عن عطـــف الأبوة ، ودلال الأمومة .

ورعى الغنم ليتعلم منها قيادة المجتمعات ، وأن يأخذ برفق كل منحرف أو شريد .

واشتغل بالتجارة ليتعلم من مدرستها شئون الحياة والناس ، ليكون على علم بهما حين يقود فى المستقبل زمامهما .

والرائع فى هذه التربية انها قامت على نواميس الكون وسننه ، بعيدا عن الخوارق التى قد تقابلها البشرية فى عصر من عصـــورها بالتوقف أو التشكيك .

وظهرت دلائل التربية الالهية مبكرة .

* ما معنى أنه كان فى الحج يفيض من عرفة مع الناس لا من الطريق الذى تميز به قومه ؟

انها الفطرة الهادية !!

* ما معنى أن يدعو أعمامه ، وهو فى سن باكرة لمقاسمة عمه أبى طالب تكاليف معيشته ، وهو رجل ذو أولاد ، ثم يسارع الى أخذ على وتربيته ؟ انها المروءة الصفة العظيمة للرجل العظيم !!

* ما معنى أن يحسم نزاع القوم حول الحجر الأسود ، وينقذهم من شقاء منتظر ؟

انها الحكمة السديدة !!

* ما معنى الودائع التى كان يتسابق القوم الى حفظها فى بيته ؟

انها الأمانة الصادقة ، أو الصدق الأمين !!

* ما معنى العزلة فى غار حراء ؟ ليس معناها ايثار الاتجاه السلبى ، ومافية من سلامة ودعة ، وانما الرفض لمجتمع تسيطر عليه الضلالة .

ثم هناك ما هو أبلغ من ذلك كله .

ما معنى أن يصبح الأمى حكيما ، واليتيم عظيما ؟ انها التربية الالهية الرشيدة لعباده المصطفين الأخيار ، أو هى المعجزة الالهية فى بناء الانسان العظيم !!

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة فى الجاهلية ، والتأديب فى اليتم

ويتناول القرآن الكريم أبعاد هذه العظمة الفردية فى لفظ وجيز ، ومعنى عميق ، وبمقياس من أدق المقاييس ، بعد قسم رائع يثير الانتباه بلفظه ومعناه .

(ن . والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وان لك لأجرا غير ممنون ، وانك لعلى خلق عظيم) .

ولا تعجب أن يكون القسم بالقلم أداة العلم والمعرفة ، وبما يسطره القلم من ثقافة ارتقت ببنى البشر ، وأن يكون جواب القسم الرقى الخلقى لرائد عظيم ، حمل آخر دعوة للاســـلام الى بنى الأنســـان ! !

ولأن المقسم رب العالمين يجعل ذلك نظرتنا الى الحكم نظرة اعجاب واكبار وتقدير !!

فالذى يحكم بعظمة خلق محمد ليس بشرا يحتمل حكمه الجدل ، ولكنه رب البشر الذى يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

عظمة الداعية :

تبدو فى حبه لقومه ، والحاحه فى هدايتهم ، وألمه من ضلالهم ، وتلطفه فى دعوتهم ، والرفق بهم . وقد ضرب محمد صلى الله عليه وسلم فى ذلك أروع الأمثال .

أهناك دلالة اعظم على قـــوة الحب فى نفس الداعيـــة من هذا الالحاح البالغ فى الدعوة ، حتى يعاتبه فى ذلك ربه ، فيقول:(ماانزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى) (انمـــا انت مذكر لست عليهم بمسيطر) (ان عليـــك الا البـــلاغ) (انك لا تهـــدى من أحببت ، ولكن الله يهـــدى من يشـــاء) وأبعـــاد العظمة فى مسلك الداعية عرضته هذه الآية فى ايجاز وشمول .

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم) تشهد له الآية بأنه داعية من قومه ، يؤلمه عنادهم ، ويحرص على هدايتهم ، وأسبغ الله عليه صفتين من صفاته (بالمؤمنين رءوف رحيم) .

وعظمة الذات أساس من أسس عظمة الداعية ، والســـلوك الشخصى للداعى هو بذاته دعوة ، ومن هنا نرى القرآن الكريم

يشد الأنظار الى سمو الداعية ، لتأخذ من سلوكه الأسوة والقدوة (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا) .

بل نرى القرآن الكريم يجعل العظمة الخلقية للداعية سببا لنجاح الدعوة ، واجتماع القوم عليها ، والتفافهم حول داعيهـا العظيم ، ويضيف له القرآن الكريم مزيدا من النصح فى مجال الأخلاق ، يحقق له مزيدا من النجاح والتأييد (فبما رحمة من الله لنت لهم ،ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر) .

واذا كان محمد عليه الصلاة والسلام فقد استمد عظمته الذاتية من مناهج التربية التى آخذه بها ربه منذ طفولته ، فعظمته فى مجال الدعوة فقد استمدها من نصح ربه له ، وصيانته اياه من الأهواء العاصفة كهذا النصح : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (واصبر على ما يقولون ، واهجـرهم هجرا جميـلا) (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) (فاصبر لحكم ربك ، ولا تطع منهم آثما أو كفورا) (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) .

وفى هذه الصفات مبلغ ما يحتاج اليه الداعية من زاد يحقق له السداد والرشاد .

ومن أجل صيانة النفس من الأهواء نجد هذه التوجيهات التى تصل أحيانا الى حد الردع القاسى فى التحـذير : (انا أنزلنـا اليك الكتاب بالحق ، لتحكم بين الناس بما آراك الله ، ولا تكن للخائنين خصيما) (ولولا فضـل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ، وما يضلون الا أنفسهم ، وما يضرونك من شىء) (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين) (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لأذقناك ضعف الحياة ، وضعف الممات ، ثم لا تجد لك علينا نصيرا) .

عظمة الدعوة :

وعظمة الدعوة أكثر هذه الاتجاهات الثلاثة فعالية فى رسم ملامح العظمة لذلك الوليد العظيم . لأنها آخر دعوة للاسلام ، وبها انتهى نداء السماء الى الأرض .

ورائدها آخر الرسل فى الدعوة ، وأولهم فى الفضل ، وبرسالته وضعت آخر لبنة فى بناء الاسلام الكريم ، فتكامل حسنه وبهاؤه ، وأصبح صرحا عتيدا ، تهتدى البشرية بقيمه ومثله ــ ان أرادت ــ فى كل زمان ومكان .

وهذا هو حديث القرآن عن الدعوة والداعى . ففى معرض الامتنان يقول رب العالمين :

(هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) .

ومن ضراعة ابراهيم ، وهو يرفع القواعد من البيت العتيق (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم ، انك أنت العزيز الحكيم) .

فالداعى أمى اختاره الله من أمة أمية ، فعلمه وأدبه ، والدعوة كتاب ، وحكم ، وتزكية وتعليم وكان تأثير الدعوة فى جزيرة العرب على يد الداعى كبيرا وعميقا .

وكان تأثيرها فى خارج أرض الجزيرة أكبر وأعمق .

ففى أقل من ربع القرن ، وهو أمد ليس بالكثير فى عمر الأمم يتغير واقع الجزيرة العربية تغيرا تاما ويتهم القائم على الوثنية ، واتخاذ الوسطاء لله أصبح اسلاما تخلص منه العبودية لله ، ويستقيم الوجه لمن براه وسواه .

حرارة العقيدة النقية والايمان الصادق أذابت ما بين القبائل من الفوارق ، وانهت ما احتدم بينهم من صراع وتشاحن ، وجعلت منهم خير أمة أخرجت للناس .

انتهت التقاليد الآثمة ، والعادات الباغية ، واخذوا بمنهج الأخلاق الذى جاء به القرآن .

تغيرت شخصية الانسان العربى ، وسمت ذاتيته من بداوة وطيش وجهالة ، ومثل ضارة ضالة الى حضارة وفكر وثقافة ، وبصر نافذ ، ومثل أسمى وأكرم .

وهذا هو تأثير العقيدة (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) .

(وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعــا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم) .

وهذا هو مجتمعهم العظيم الذى صــنعه الاسلام يحــدثنا عنه القرآن : (محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا ، سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من اثر السجود) كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله) .

هكذا تخرج العرب فى مدرسة الاسلام ائمة ، وســادة ، وقادة ومصلحين ، ورأينا من أعراب البادية حاكما كعمر ، وقائدا كخالد ، ومعلما كمصعب ، وقاضيا كعلى وفقيها كابن عباس .

وأخذ ابناء البادية الذين ثقفهم الاسلام ، وعلمهم محمد عليه السلام يسطرون تاريخ البشرية من جديد .

وحطم العملاق اسوار الجهل المضروبة من حول الجــزيرة ، وانطلق تلامذة النبى الأمى يلقنون العالم درســا فى القيم والمثل ، فتهاوت حضــارات قامت على زيف ، وثلت عروش ارتفعت على ضلال ، ولم تستطع هذه وتلك أن تثبت امام عظمة الدعوة ، وسمو المبادىء وقداسة القيم ، وجلال الحقيقة .

ولا تعجب أن تتلمذ على أيدى ابناء البادية ، وحملة الدعوة أحفاد وفلاسفة اليونان ، وادباء الفرس ، وحكماء الهند،ورثة الحضارات فى انحاء الأرض .

وردد العالم أصداء الدعوة ، وامتلأت القلوب بحب الداعيــة ، واظلت حضارة الاســلام رقعة فسيحة من العــالم تناهت الى حدود الصين فى الشرق ، والى شاطىء الخليج فى الغرب ، والى جبال الأناضول شمالا ، وهضبة البحيرات جنوبا .

ويتحقق هذا العمل المذهل قبل ان ينصرم من القرن الهجــرى الأول نصفه .

ماذا وراء هذا العمل العظيم ؟ أبســاطة الدعوة وفطريتهــا ؟ انسياتها وسمو مبادئها ؟ أم انه التأثير المعجز الذى اختص به وحى السماء ، ويقف عقل البشر عاجزا أمام تفسيره ؟! انه هذا وذاك .

واذا خطرت فى القلوب خاطرة تدعو الى ذكرى الوليد العظيم ، فلتكن ذكراه احياء للذات العظيمة بسمو فى ذواتنا .

واحياء لشخص الداعية المتفانى بأن نكون جميعا دعاة لبعث اسلامى جديد .

واحياء للدعوة العظيمة فى كل جوانب حياتنا .

فاذا قادت الذكرى سلوكنا ، وحكمناها فى حياتنا حيت بيننا ، وحيى بها مجتمعنا .

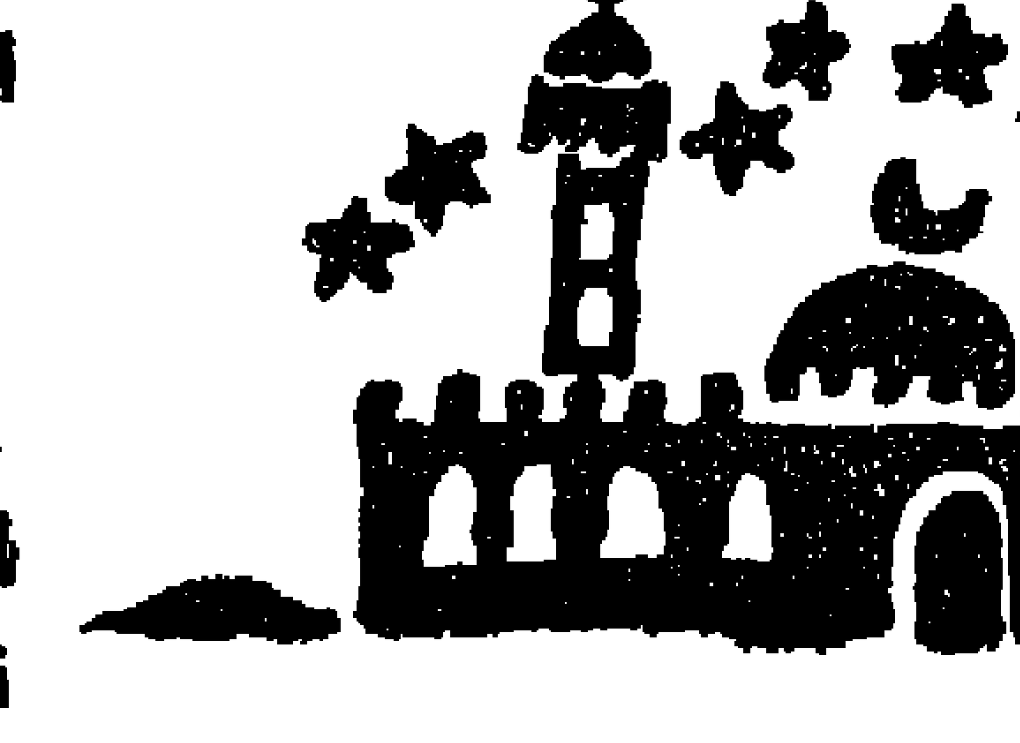
وبغير هذا الأسلوب مهما قلنا فى ربيع عن مناقب الوليد ، ومهما صنعنا من مظاهر الزينة والابتهاج تكريما له ، فلسنا بذلك بالغين بعض ما نريد بل نحن الى السذاجة أقرب منا الى البصيرة ، ونحن الى الاساءة أدنى منا الى الاحسان .

سيدنا محمد

أعظم من أسس دولة وأنشأ حضارة

الأستاذ محمود معوض

حين انطفأت شموع التوحيد فى مشارق الأرض ومغاربها ، وأوشك الظلام الكثيف أن يطبق على العقل ، ولم يعد هناك غير قلة قليلة من الغرباء الموحدين ، شاءت رحمة الله أن تبعثه بآخر رسالات السماء الى الأرض ..



ووسط كآبة الحياة وليلها الموحش .. جاء شمس الأنبياء . جاء استجابة لدعوة ابراهيم خليل الله ، وجاء تصديقا لبشرى عيسى روح الله وكلمته .

يصلى عليه الله عز وجل رحمة وبركة ، وتصلى عليه الملائكة ثناء واستغفارا ويصلى عليه المؤمنون تكريما وتعظيما .

من قبله أرسل الله تعالى أنبياءه رحمة لقومهم .. وزمانهم .. وارسله الله تعالى رحمة للعالمين . جاء رحمة مطلقة لقومه وزمانه .. ولمن يجيء بعدهم من الأقوام والأزمنة على تعاقب الأيام وتوالى الدهــور . ـــ

ولقد كان جوهر دعوات الأنبياء السابقين عليه هو الاسلام .. وكان عنوان رسالته هو الاسلام .. فتأمل أى اعجاز أن يكون العنوان جوهرا ويكون الجوهر عمقا بلا قاع ، وقمة بلا نهاية .

ذلك هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد .. وسيد أبناء آدم ، وعبد الله ورسوله ، ورحمة الله المهداة للبشر .

قد يراود بعض العقول أن يعتبروا سيدنا محمدا بطلا من أبطال البشرية وأعلامها من أمثال أرسطو وأفلاطون وسقراط هذا النفر الذى زود البشرية بتراث من المعرفة والنظر فى أمر الوجود ، كما رسموا طريقا لسلوك الأفراد والجماعات وما تكون عليه الأخلاق .

والحق أننا نقول أنه ليس مثلهم بل هو فوقهم لأنه رسول من الله لا ينطق عن الهوى فمن الواجب أن نضعه على رأسهم باجماع الآراء . فهؤلاء قد اندرســوا واندرست تعاليمهم . أما سـيدنا محمد وتعاليمه فباقية خالدة يمارسها الناس ، ويعيشــون على أساسها وهى تعاليم تضع الحدود ، وتخطط المعالم لبناء الانسان الكامل والمجتمع السعيد لأنها ليست من صنع البشر .

على أن أثر سيدنا محمد لا يقف عند الحث على مكارم الأخلاق ورسم قواعد السلوك وتصوير الانسان الكامل ، بل أنه قد امتد من الفرد الى المجتمع فوضع المبادىء والقوانين والنظم التى تحكم الانسان باعتباره عضوا فى جماعة فنظم الروابط الأسرية من زوجية وأبوة وبنوة ، وحدد لكل فرد من أفراد الأسرة حقوقه وواجباته ، ثم انتقل بعد ذلك لتنظيم علاقة الفرد بالمجتمع وما له من حقوق وما عليه من واجبات . ثم ذهب الى أبعد من ذلك كله فنظم علاقة المجتمعات ببعضها فى حالتى السلم والحرب .

وفى محاولة استعراض أهم المبادىء التى طبقها الرسول صلى الله عليه وسلم كمؤسس دولة ومنشىء حضارة نجد أن البشرية لم تعرف قبل الاسلام دعوة للوحدة الانسانية كما دعا اليها القرآن : وكما طبقها بالفعل سيدنا محمد فى حياته ، وأصبحت شريعة اسلامية بعد وفاته . يقول القرآن الكريم ((يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام)) وهكذا قرر الأصل المشترك لبنى الانسان ودعا الى التراحم بين سائر بنى الانسان وقد انبنى على هذا الأصل المشترك ، المساواة فى الطبيعة الانسانية فلا مجال لتعصب للجنس أو الاستعلاء : ولا سبيل للتفاضل بين أفراد البشر الا بالعمل الصالح وتقوى الله .

ويوضح سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هذا المبدأ فى وضوح كامل فيقول فى حجة الوداع :

((أيها الناس أن ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى ألا هل بلغت اللهم فاشـــهد)) .

ومما يجدر بالذكر فى هذا المقام ما تقوله دائرة المعارف للعلوم الاجتماعية الانجليزية وهى تتحـــدث عن التمييز العنصرى ((ان الاسلام من الناحية العقائدية ومن الناحية الواقعية لم يعرف حاجز اللون وهو ما يفسر سرعة انتشاره فى أفريقيا ، بينما لم تستطع الديانات الأخرى أن تنهض الى مستوى دعوته)) .

واذا كانت الدول فى العصر الحديث قد قررت فى ميثاق جماعى ما يسمى حقوق الانسان ، فقد سبق القرآن الكريم وسبقت سنة رسول الله هذه المواثيق العصرية بأربعة عشر قرنا . وعلى سبيل المثال حق الحياة قد اعتبرته المواثيق الحديثة أصلا تتفرع عنه باقى حقوق الانسان ، ولكن القرآن قد اعتبر هذا الحق حقا للانسانية كلها ، فمن قتل انسانا فهو لا يقتل فردا ، بل يقتل البشر جميعا . ((من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)) .

ولم تعرف البشرية مصلحا أو زعيما أو قائدا جاء يدعو لمذهب جديد أو دين جديد وسلوك جديد ثم ترك الناس أحرارا فى اتباع ما يدعو اليه عن طواعية ورضا لا عن اكراه وضغط « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » « افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

ويقرر القرآن حرية الانسان فى اختيار افعاله **« فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »** .

اذن لم تكن دعوة الاسلام دعوة نظرية بل هى دعوة تطبيقية عملية . ولذلك فقد عايش الاسلام النصرانية واليهودية والزرادشتية فى فارس ويصل هذا التعايش ذروته عندما نرى الاســلام يتيح للمسلم أن يتزوج بكتابية من غير دينه ، ويصبح لزاما عليه أن يصاحب زوجته الى الكنيسة كلما رغبت فى الذهاب اليها ، فاذا علمنا أن الدين كان هو حياة كل البشر أدركنا مدى ما وصل اليه الاسلام من احترام حرية الانسان ومعتقده واذا كان حق الحياة والحرية والتكافل الاجتماعى هى من حقوق الانسان ، فان هذه الحقوق لا يمكن أن تصان الا من خلال حكم صالح ، والحكم الصالح له أساس يقوم عليه ومنهاج يعمل من خلاله أما الأساس فهو العدل وأما المنهاج فهو الشورى ويأمر الله سيدنا محمدا أن يشاور أصحابه ليكون قدوتهم فى ذلك فيقول له : « فاعف عنهم واســتغفر لهم وشاورهم فى الأمر » ويضاعف من خطورة هذا التكليف لسيدنا محمد فى أن يشاور — أنه جاء بعد غزوة أحد التى انهزم فيها المسلمون نتيجة مخالفتهم لرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجــاء القرآن يطلب من الرسول أن يعفو عنهم ويستغفر لخطئهم ولا يكف عن استشارتهم ولا يكتفى بجعل التشاور منهاجا للحكم والحكام ، بل انه ليفرضه على الفرد العادى مع أسرته فى بعض الظــروف « فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما » .

واذا كان الاسلام يتضمن أقدس المبادىء الديموقراطية الحديثة ، فانه يتضمن كذلك أثمن ما فى النظم والنظريات الاقتصادية الحديثة التى تلقى التأييد لأنها تظهر حرصها على العمل الانسانى وشجب الرأسمالية . وقد كان للاسلام سبق أيضا فى هذا المجال . فالعمل

ـ عنده ـ وليس راس المال هو مصدر الانتاج ، ومن ثم حرص الاسلام على أن يحصل كل عامل على ثمرة كده ، وحارب فائدة راس المال التي تمتص ناتج العمل بغير حق . وقد استخدم القرآن أقسى التعبيرات في زجر راس المال والتنديد به .

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .

وقد قرر القرآن مبدأ لم تعرفه البشرية من قبل وهو اعتبار الفقراء شركاء للأغنياء في بعض أموالكم بما يضمن لهم تحقيق الحد الأدنى اللازم للحياة وذلك من خلال تشريع الزكاة الذى هو احد أركان الاسلام الخمسة ، ويخطىء من يتصور أن الزكاة نوع من فهى حق لمستحقيها يقول القرآن الكريم « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » كما وضع القرآن الكريم وسنة الرسول اسس العلاقات من المجتمعات مما نطلق عليه في العصر الحديث اسم القانون الدولى فلكل دولة أو جماعة بشرية حق البقاء في سلم وامان ، ومن هنا يحذر القرآن من الاعتداء على الآخرين بقوله : « ولا تعتدوا أن الله لا يحب المعتدين » .

ونجد دعوة الاسلام الى السلام باعتباره الاصل في علاقة المجتمعات ببعضها **« وان جنحوا للسلم فاجنح لها »** كما نجد في كتاب الله الموحى به الى رسوله الكريم آخر ما انتهى اليه الفكر البشرى فى فض المنازعات الدولية عن طريق التحكيم والمصالحة والقضاء بموجب الحق والقانون والاتفاقات الدولية ، فان أبى احد الطرفين الا أن يمضي فى اعتدائه لأخذ ما ليس من حقه فقد أصبح على الأسرة الدولية أن تتدخل لردع العدوان ، فاذا تم ردع المعتدى فقد وجب الفصل في النزاع على أساس من الحق والعدل . يقول القرآن الكريم « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين » .

على أن أثر سيدنا محمد لم يقف عند حد كونه حكيما أو مصلحا أو مشرعا لجمـاعة من الناس أو دولة من الدول بل انه كـان ـ بالفعل ـ مؤسس دولة وخالق حضارة انسانية كان مقدرا لها أن تكون المشعل الوضاء للعالم خلال ستة أو سبعة قرون على الأقل . وما الحضارة الأوربية الحديثة التى نعيش فى ظلها من الناحية العلمية الا امتداد لهذه الحضارة الاسلامية . فقد كانت هى الباعثة عليها والمحركة لها والأسس التى قامت عليها .

والاجماع منعقد على أن أوربا بدأت نهضتها بالاصلاح الدينى وقد تم هذا الاصلاح تحت وهج الاسلام وانتصار الاسلام فى الحروب الصليبية وأن النهضة العلمية والكشفية تمت بما انتقل الى الأوربيين من علوم العرب والمسلمين خلال احتكاكهم بالشرق الاسلامى فى الحروب الصليبية ومن خلال أضواء الاسلام المشعة فى الأندلس . وفى جزيرة صقلية .

يقول ادوارد ج. خيرجى : اذا كانت الأبعاد الأربعة الواسعة للاسلام من زمان ومكان وأجناس ولغة تعنى شيئا فان هذا المعنى يتلخص فى أن دين الله قد لعب دورا انسانيا فى حياة شعوب العالم وهكذا استطاع الاسلام على أوسع رقعة من الأرض وفى أقاليم جد متباعدة ، وفى مواجهة مختلف الظروف ان يستولى على خيال البشر ونجح فى أن يغرس نفسه فى البيئة ، غير متأثر بما يجرى على المجتمعات من مد وجزر ، واستطاع الاسلام ان يشيد فى هـذه المجتمعات مؤسسات مادية ومعنوية استطاعت أن تتغلب على ظروف الزمن ».

السراج المنير

كان خلقه القرآن

الدكتور عبد الفتاح عاشور

كتاب الله : نور يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام : ((ياأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا)) ، ((وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم)) .. ولم لا يكون كتاب الله نورا ومنزله ((الله نور السموات والأرض)) وقد التقى هذا النور كله بانسان تعهده ربه منذ ان كان فى أصلاب الأبرياء والأجداد الى ان ولد ودرج طفلا ومشى شابا واختلى فى كهف بالجبل يطلب النجاة ويتنسم طريق الهداية .. ذلك هو محمد بن عبد الله عليه السلام الذى تجسد



فيه نور القــرآن ونور الإله العظيم
فكان كما قال الحق تبارك وتعالى :
« ياأيها النبى انا أرسلناك شــاهدا
ومبشرا ونذيرا . وداعيــا الى الله
باذنه وسراجا منيرا » .

تنظر فى القرآن وتنظر لرسول الله عليه السلام فيبهرك الضياء من كل جانب .. فقد كان — صلوات الله وسلامه عليه — آية من آيات الله وطاقة هائلة عجيبة دفعت برسالة القرآن عبر الأجيال والقرون الى أن يلقى الناس ربهم .. لقد كان قرآنا نابضا حيا متحركا ، وكان — كما تقول السيدة عائشة رضى الله عنها وقد سئلت عن خلقه فقالت : « كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه » فكنت تراه فى كل شىء وكأنه متخصص فيه متفرغ اليه : ان نظرت الى عبادته وجدته رجل عبادة لا يطاوله فيها أحد يسهر الليل مناجيا ربه ناصبا قدميه الى أن تفطرتا وحين تقول له السيدة عائشة : يا رسول الله : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول : يا عائشة أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا .. وانه ليتزود بهذا الزاد الروحى ليكون عدته فى تبليغ رسالته : **« يا أيها المزمل . قم الليل الا قليلا .. نصفه أو انقص منه قليلا .. أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا .. انا سنلقى عليك قولا ثقيلا .. »** .

واذا جاهد وحمل السلاح قلت انه رجل حرب وجلاد تكفى قيادته للجنود الغازية فى سبيل الله أن تشغل عشرات القواد ، يخوض المعارك فى سبيل الله بقوة وبسالة لا يدانيه فيها أحد : عن على رضى الله عنه قال : انا كنا اذا حمى البأس واشتد واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ، ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو ، وكان من أشد الناس بأسا » .

وسأل رجل البراء قال : أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر . لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان — يقصد أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب — آخذ بلجامها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ..
وفى حياته الزوجية مسئوليات أسرة ضخمة تشغل عددا من

الرجال : تسع نسوة فى بيته يعدل بينهن ويعاملهن أكرم معاملة عرفتها البشرية .. فعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويرقع دلوه ويحلب شاته ويخدم نفسه ويقيم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق ..

وفى مودته لاخوانه وأصحابه لا يبارى يعود مرضاهم ويواسى محتاجهم ويداعب صبيانهم ويعطف على بائسهم وكأنه متفرغ لهذه الحياة الاجتماعية ليس له من شاغل سواها : « جاءت امرأة يقال لها أم أيمن فقالت : يا رسول الله ان زوجى يدعوك .. قال : ومن هو ؟ أهو الذى بعينه بياض ؟ فقالت : لا .. والله فقال صلى الله عليه وسلم : ما من أحد الا بعينه بياض » وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم دخل على اعرابى يعوده ، وكان اذا دخل على من يعوده قال : لا بأس طهور ان شاء الله .. » .

الا أن هذا النور الساطع بشر كسائر البشر : يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق .. لم يصل الى هذه المنازل العالية ليبقى صورة أسطورية خيالية لا تتحقق فى واقع الناس ولا يتمكن أحد أن يقتدى بها وانما هو البحر الزاخر يأخذ كل منه بقدر طاقته **« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »** .

ولننظر كيف شع هذا النور فى القلوب فأحبته وتعلقت به وضحت بما تملك فداء لرسالته :

هذا سعد بن معاذ يقول قبيل « بدر » لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه وعن الأنصار : « صل من شئت واقطع حبل من شئت وخذ من أموالنا ما شئت واعطنا ما شئت وما أخذت منا كان احب الينا مما تركته وما أمرت فيه من أمرنا فأمرنا تبع لأمرك ، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك ، والله لئن استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك .. » .

وهذه أم حبيبة ابنة أبى سفيان بن حرب وقد جاء والدها الى المدينة وهو على الكفر ودخل عليها فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله طوته عنه فقال : يا بنية ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به

عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت رجل مشرك نجس » .

بل ان هذا الحب الذى استولى على القلوب دفعها أن تبذل فوق طاقتها حين رأت من رسولها المثل الأعلى لانسانية الانسان : هذا عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج وله أربعة بنون شباب يغزون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا ، يأبى الا أن يشهد غزوة احد فيقول له بنوه : ان الله قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع الله عنك الجهاد .. فيذهب عمرو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو اليه أمر ابنائه ويقول : ان بنى هؤلاء يمنعوننى أن أخرج معك ووالله انى لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتى هذه فى الجنة فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما انت فقد وضع الله عنك الجهاد ، وقال لبنيه : وما عليكم أن تدعوه لعل الله عزوجل أن يرزقه الشهادة ، فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل يوم أحد شهيدا . والأمثلة فى ذلك مشهورة معروفة تذخر بها كتب السير والتراجم وكلها شاهدة بما أحدثه هذا التيار النورانى الالهى الذى انبعث من البشير النذير والسراج المنير فى أمة كادت أن تموت فأحياها رسول الله بروح القرآن فاذا هي تبعث من جديد تنفض غبار الزمن وتواصل مسيرة الحياة لتنقذ الانسانية من الضياع والهلاك وصدق قول الله فى رسوله الحبيب : **« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين »** . ولقد زكاهم هذا الرسول وطهر أخلاقهم وسلوكهم وعقائدهم ورفعهم من الوهدة الهابطة والضياع القاتل الى القمة العالية فاذا بالأمة الأمية رائدة وقائدة تفيض حكمة نابعة من الكتاب الخالد الذي بعث من نفسها فأحياها وقد كانوا من قبل فى ضلال مبين ..

ونحن اذ نحتفل بذكرى ميلاد هذا الرسول العظيم يجب أن نتذكر جيدا أن الاحتفال به لا يكون بكلمة تقال ولا برفع الأعلام والشارات ولا باقامة السرادقات ودق الطبول وتوزيع الهدايا وتناول الوان معينة من المطعومات والمشروبات لكن الاحتفال به حقا انما يكون فى الاقتداء به والسير على منواله فهذا علامة حب الله وحب رسوله: **« قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لايحب الكافرين »** ..

يقول السيد سليمان الندوى فى كتابه الرسالة المحمدية : « اذا كنت غنيا مثريا فاقتد برسول الله صلى الله عليه وسلم عندما كان تاجرا يسير بسلعته بين الحجاز والشام وحين ملك خزائن البحرين، واذا كنت فقيرا معدما فلتكن اسوة به وهو محصور فى شعب أبى طالب ، وحين قدم الى المدينة مهاجرا اليها من وطنه وهو لا يحمل من حطام الدنيا شيئا .. واذا كنت ملكا فاقتد بسنته وأعماله حين ملك أمر العرب وغلب على آفاقهم ودان لطاعته عظماؤهم وذوو أحلامهم ، وان كنت رعية ضعيفا فلك فى رسول الله أسوة حسنة أيام كان محكوما بمكة ، وان كنت فاتحا غالبا فلك من حياته نصيب أيام ظفر بعدوه فى بدر وحنين ومكة وان كنت منهزما — لا قدر الله — فاعتبر به فى يوم أحد وهو بين اصحابه القتلى ورفاقه المثخنين بالجراح . وان كنت معلما فانظر اليه وهو يعلم أصحابه فى صفة المسجد ، وان كنت تلميذا متعلما فتصور مقعده بين يدى الروح الأمين مسترشدا ، وان كنت واعظا ناصحا ومرشدا أمينا فاستمع اليه وهو يعظ الناس على أعواد المسجد النبوى .. وان كنت قاضيا أو حكما فانظر الى الحكم الذى قصد مكة قبل بزوغ الشمس ليضع الحجر الأسود فى محله وقد كان رؤساء مكة يقتتلون . ثم ارجع البصر اليه مرة أخرى وهو فى فناء مسجد المدينة يقضى بين الناس بالعدل يستوى عنده منهم الفقير المعدم والغنى المثرى ، وان كنت زوجا فاقرأ السيرة الطاهرة والحياة النزيهة لزوج خديجة وعائشة ، وان كنت أبا لأولاد فتعلم ما كان عليه والد فاطمة الزهراء وجد الحسن والحسين .. وأيا ما كنت وفى أى شأن كان شأنك فانك مهما أصبحت أو أمسيت، وعلى اية حال بت أو أضحيت فلك فى حياة محمد صلى الله عليه وسلم هداية حسنة وقدوة صالحة تضىء لك بنورها دياجى الحياة ويتجلى لك بضوئها ظلام العيش .

هذا هو السراج المنير من كان خلقه القرآن وذلك هو واجب الاحتفال به احتفاء بموضع القدوة وامتثالا لما بلغ عن ربه ، وتنفيذا للقرآن الذى تخلق به . .وهذا سبيلنا للعزة والكرامة وطريقنا لاكتساب حبه وارضائه . وهو قبل هذا وبعده واجب الأمة التى عرفت عند الرسول من أجل انقاذ المستقبل الانسانى من الفناء والدمار « فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون » ..

الرسول

عليه السلام

المثل الأعلى فى الصدق والوفاء

فضيلة الشيخ عبد الحكيم سرور

أكثر المؤرخين لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم على أنه ولد عام الفيل سنة (٥٧٠م) فى شهر ربيع الأول وكانت ولادته بمكة المكرمة فى دار جده (عبد المطلب بن هاشم) الذى أقبل يهرول من الكعبة لرؤية حفيده حين أخبر بمولده السعيد والبشر يملأ جوانح نفسه وقلبه مفعم بالغبطة لخليفة ولده (عبد الله) الذى لا تغيب عن باله ذكراه ولقد حدث الرواة الثقات أنه لما ولد عليه الصلاة والسلام خرج معه نور أضاء ما بين المشرق والمغرب فاضاءت له قصور الشام وبصرى وأسواقها .



وقد ذكر العباس عم النبى هذا النور وأشاد به بعد أكثر من نصف قرن وقال فى ذلك مخاطبا الرسول :

وأنت لما ولدت أشرقت الأ رض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النو ر سبيل الرشاد نستبق

وكان للعرب في جاهليتها ولوع خاص بتسمية ابنائها بالأسماء التي تنبيء عن الشجاعة والبسالة والكرم كأسد وعدي وغيرهما بيد أن الجد خالف المألوف رغم الأنوف وسمى حفيده (محمدا) ولما سئل في ذلك كيف سميته باسم ليس من أسماء آبائك واجدادك قال : ((**اني أردت بهذا الاسم أن يكون محمودا في السماء وفي الأرض**)) وذكر أن السبب في اختياره هذا الاسم لحفيده يرجع الى رؤيا قديمة كان قد رآها في منامه قبل مولد النبي وقد حكاها ابن هشام في سيرته عن القيرواني في البستان قال : (كان عبد المطلب قد راى في منامه كأن سلسلة من فضة قد خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كأنها شجرة .. على كل ورقة منها نور واذا اهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها ، فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السموات والأرض لذلك سماه محمدا ..

وقد بلغ من شدة حرص عبد المطلب على حفيده وحبه له كما ذكروا انه دخل على الكعبة وعوذه ودعا له وقال :

الحمد لله الذي أعطاني هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان أعيذه بالبيت ذي الأركان
حتى يكون سيد الفتيان حتى أراه يافع البنيان
أعيذه من كل ذي شنآن من حاسد مضطرب العينان
ذي همسة ليس له عينان حتى أراه رائع اللسان

وكان من عادة العرب في الحضر أن يبعثوا بالأطفال في سن الرضاعة الى البادية لاعتدال هوائها وصفاء جوها وخلوها من الأوبئة المتفشية في الحاضرة المتكاثفة بالسكان هذا الى ان بالبادية ما يعين الأطفال على تقويم اللسان وسلامة التعبير ودقة التصوير للمعاني وجهارة الصوت الى غير ذلك من تقوية أجسامهم واشتداد أعصابهم كما ينشأوا أقوياء أصحاء ..

من أجل ذلك كله القت آمنة بنت وهب أم النبى زمام ارضاع وليدها ووحيدها وفلذة كبدها وقرة عينها وأملها المرجى وعزائها عن بعلها النت به الى حليمة بنت ذؤيب السعدية فأقام مسترضعا عندها قريبا من اربع سنوات ردته بعدها حليمة الى امه بمكة وكم تمنت أن يطول مقامه فى دارها وبين احضانها لما رأته على عينيه من خير اصابها ونزل بها فقد حدثت أنها وجدت فيه منذ أخذته من أمه بركه حيث سمنت غنمها وزاد لبنها وبارك الله لهـا فى كل ما حولها وكان محمد صلوات الله وسلامه عليه يرعى الغنم فى حداثة سنه فى مكه وفى أيام سكناه بالبادية كما ذكره البخارى فى صحيحه . وفى رعاية الغنم تدريب عملى للنفس على القيادة الحكيمة وعلى تحمل اعباء الحياة ومواجهة المسئوليات فيها . وفيها ترويض للانسان على الصبر وسعة الصدر والحلم وصقل القلب وطبعه بطابع الرحمة والشفقة وقد تحدث الرسول عن أيام رعايته الغنم بعد الرسالة فأخبر أن رعى الغنم كان من شئون الأنبياء قبله : « ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم » وتلك حال معظم الأنبياء من قبل لا يشغلون بما شغل بــه أهل الدنيــا وارباب الترف والعاطلين بالوراثة من مباهج الحياة وزخارفها الصارفة عن تحقيق الأهداف الرفيعة الكريمة التى يجب أن يعيشوا لها ويحيوا من أجلها حتى يكونوا مضرب الأمثال وحتى تتحقق بهم الأسوة الطيبة من نصرة الضعيف واغاثة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج بدافع من الاحساس والشـعور بالقصور .

وعندما شب الرسول عليه الصلاة والسلام وبلغ مبلغ الرجال وجه عنايته للعمل فى التجارة لمـا توفر فيه من مقومات التـاجر الناجح ولما عرف عنه من صفات الصدق والامانة وقبل أن يتزوج السيدة خديجة رضى الله عنها تاجر فى مالها فكان بسلوكه الطيب موضع التقدير والاعجاب عند خديجة التى اختارته لنفسها بعلا وآثرته وقدمته على غيره من طلاب يدها ، أما أخلاقه عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه فحدث عنها ما شئت أن تحدثه فلقد نشـأ مع يتمه وفقره المادى غنى النفس عفيف اليد واللسان مثال النزاهة والقناعة بعيدا عن الصغائر التى يتعلق بها من كان فى مثل سنه عادة . قالت حاضنته أم أيمن (**كان اذا قدم اليه الطعام وتسابق اليه الأطفال رزينا عفيفا قنع بما تيسر**) ، وفى دور الشباب نما

على الفضائل وكريم الخصال وحميـد الآداب بعيدا عن أعمال الجاهيلة وعاداتها والتى نفر منها بفطرته السليمة المطبوعة على الخير والسمو .. فلم يشرب الخمر فى حياته قط مع شيوعها ونفر من عبادة الاصنام والاوثان ولم يشهد ما كان يقام لها من اعياد واحتفـــال ..

وقد حدثنا صلوات الله وسلامه عليه عن ذلك فقال :

« لمـــا نشأت بغضت الى الأوثان وبغض الى الشعر ولم أهم بشىء مما كانت الجاهلية تفعـــله الا مرتين . كل ذلك يحول الله بينى وبين ما أريـــد من ذلك ثم ما هممت بســـوء حتى أكرمنى الله برســـــالته » ..

هذا الى ما اشتهر به بين قومه وعشيرته من رجاحة العقل وأصالة الرأى والحزم والترفع عن الأهواء والعصبة المقيتة المردية مما جعله موضع الثقة لدى قبائل مكة حيث تنازعت فيما بينها على وضع الحجر الأسود وهو فى الخامسة والثلاثين من عمره وماكان من أمر تحكيمه ، وهكذا درج محمد عليه السلام فى معارج الخلق الكامل من يوم مولده ، حتى فارق الدنيا الى ربه ومؤدبه تعالى الذى أنزل فى ختام ما انزل : **« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »** .

مولد الهادى
رحمة للعالمين

الدكتور عبد الحميد أبو المكارم إسماعيل



ما يكاد هـلال ربيع الأول يبزغ ضوؤه فى كبد السـماء حتى تتطلع اليه النفوس وتشرق معه القلوب اذ أنه علامة ودلالة على ميلاد جـديد لهذه الدنيا تتجدد ذكراه بمطلع ذلك الهلال العظيم وما يكاد هذا الهلال يقبل حتى تستروح النفس بنوره لما ترى فى مقدمه من بشر يسـير فى أعطافه التى يسـبقها عرف المسك ونشر القرنفل الممزوج بشـذى الأزهار وأروع الأعطـار وما يكاد هذا الهلال العظيم يقبل حتى يشرق صبحه باسما فى اختيال ويبدو الكون جميلا فى أرق جمال وترسل الأطيار تغاريد الهوى وهى تستقبل ضـوء الميلاد الجديد والنور الجديد سابحة فى ومضاته باسمات الثغر ساحرات

فانثنات الألحان متجاوبة مع الطبيعة التى تقول للروض أشرق وللـــورد أزهر والماء العذب تفجر بالحيـــاة وعش بين ربوع تلك الجزيرة لتملأ شـــطآن الوادى بخضرتهـــا النضرة وجمالك الخلاب وزهرك العسجدى الجميل شعاب مكة وشغاف جبالها احتفاء بمولده واحتفالا بمقدمه .. واذا بالطبيعـــة تلبس أبهى حللهـــا وأزهاها وأجودها وأرفعها وأحسنها وأبهاها مستجلبة معانى الجمال فى قدها وخدها وقد نظمت من الرياض عقـــودها ومن الأزهار ثيابهـــا ومن رضاب النحل عبيرها .

ومن جميل الثمار ما تتحلى به فى ليلها ونهارها وهى رقصة شادية بأعذب الألحان غاضة الطرف فى بهاء وجلال من نور محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ولا عجب فمولده فى الربيع الذى فيه تحيا موات الحياة وتبعث فيه الروض من جديد ويفيض الخير فى كل مكان . فاذا به ربيع للربيع واذا به نور للنور واذا به جمال للجمال . فربيعنا يحيى موات الشجر ومحمد يحيى موات القلوب وهل هناك أعظم من احياء القلوب وربيعنا ينضر الزهر . ومحمد منضر للوجوه المؤمنة التى عكفت على هديه وهدايته . وربيعنا مشرق الشموس وباعثا على الدفء ومحمد مشرق للقلوب وباعثا على الأمن والأمان . وربيعنا مغرد للطيور . ومحمد صلى الله عليه وسلم مغرد بهديه كل مؤمن صادق معلنا كلمة التوحيد فى وجه الحياة بكل قوة وعظمة لا خوف ولا وجل ولا ذلة ولا استعباد الا لله مالك الملك وخالق القوى والقدر . وربيعنا يجعل الطير تشدو بأعظم الألحان ومحمد صلى الله عليه وسلم ـــ يجعل أمته تشدو بالقرآن الذى فيه حياتهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة وربيعنا يعطينا من وافر الخير ومحمد صلى الله عليه وسلم يعطينا أعظم الخير وأوفره يعطينا الفلاح والنجاح فى حياتنا أن خشعنا فى صلاتنا لربنا . وربيعنا يعطى الغارس ثماره . ومحمد صلى الله عليه وسلم . يعطى المستغفرين

بوعدٍ من الله تعالى رزقا وفيرا وخيرا كثيرا ونفعا عميقـــا .
وربيعنا ينقضي بانقضـــاء ايامه وهداية محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ باقية الى ان يرث الله الأرض ومن عليها . فهو الضياء للحياة والبشر فيها والخير وهو البر حين طغت المادية فأفقدت من البر معناه ومن الاحســـان مغزاه ومن التعاطف مغزاه وهو المعين والنصير حين قل النصير وهو الرحمة المهـــداة حين طغت قلوب القساة وهو العدل الفياض حين ظلم الطغاة وهو الهـــادى الى الخير حين عم الشر واستفحل شراه . وهو الفيىء الظليل حين يشتد قيظ الحياة اذ يلهم النفس بهداها فيطفىء ظمأ الغيظ من النفوس حين يقول ربه فى كتابه ((**فمن عفـــا وأصلح فأجره على الله**)) . وهو المعشوق الذى تهيم المهج فيه والأرواح وفى دوحات خمائله الوارفات بالهـــدى يطيب التأمل وتغلب النجوى ويسير البشر . وهنا يسرح الفكر الى أبعاد بعيدة وتنتظم التأملات بعضها يشد بعضا وتكثر الفكر وتطرح الأسئلة نفسها ماذا يكون الحال والمال ماذا يكون الحال والمال لو لم يشأ الرحمن الرحيم جل وعلا أن يضفى على الانسانية من لآلاء نوره نورا تضاء به أو لم يهبها من عليين علاه علوا وارتقاء به تسمو وتعلو ؟ لابد وأن نكون هذه الانسانية بدون ـــ سابغ فضل الله وبره فى ارساله محمدا وجعله الاسلام دنيا ـــ ((**ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها**)) وليست الظلمات ظلمات المكابر ولكنها ظلمات القلوب والنفوس والقلوب واغلاق العقول التى تجعـــل الحياة جحيما لا يطاق وأملا لا يرتجى ورغبة لا تراد ولا تؤمل . .
لكن الحياة به مبعث خير ودافع بر وأملا يرتجى ورغبة تراد وتؤمل فهو ربيع للحياة وللنفوس . وكفى به فخرا لأمة انجبته ولأرض أنبتته ولأسرة ضمته فى أعطافها الودية حتى شب عوده وصلبت قناته مع أن ربه عز وجل كان بالهدى يرعاه وبلبان المكارم يغذيه . فلم يتركه يهيم كما هام اقرانه واترابه أو أهله وعشيرته . بل صنعه على عينه واختاره لدينه وحفظه من كل سوء فلم ينغمس فى لهو اللاهين ولا عبث العابثين بل كان يستروح النفس فى الخير ويريح القلب فى التأمل والتفكر والتدبر ويريض العقل بالنظـــر فى ملكوت الله فكان سوى العقل سوى النفس سوى الخلق . بل كان كما قال ربه ((**وانك لعلى خلق عظيم**)) . فـــكان خلقه كل ثروته مع ثراء من حوله من المال وكان كل من حوله اباه مع ان

أباه قد مات وهولا يزال فى بطن أمه وكان تدبره فى حياته هداه وكان غناه فى قلبه وبهذا يذكره القرآن الكريم اذ يقول ((**ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى**)) وهو بهذا قد نال الزعامة الاجتماعية بين أهله وذويه وبين عشيرته بل بين سكان مكة جمعاء حتى وصفوه بالصادق الأمين . فكانت تلك الصفات العظيمة والأخلاق الرتيبة التى ساعدت على نشر رسالته فيما بعد . تلك الرسالة التى شقت وسط الأشواك . وحفرت مقامها بأسنة الابر بين أخاديد الصخر وقممه العالية فى زمن استشرى فيه أسود الظلم وأعوان الطغيان أو كما قال العلامة النووى كان العالم آنذاك . أشبه ببناء ضربه زلزال فقلب أوضاعه .. اذ الشعوب قطعان ليس لها راع والسياسة كجمل هائج منطلق والحكام كسيف فى يد سكران . أو كما يقول العقاد : (كان عالما متداعيا شارف النهاية .. خلاصة ما يقال فيه انه عالم فقد العقيدة كما فقد النظام . أى انه فقد الطمأنينة فى الباطن والظاهر . طمأنينة الباطن التى تنشأ من الركون الى القوة فى الغيب تبسط العدل وتحمى الضعيف . وتجزى الظلم وتختار الأصلح الأكمل من جميع الأمور . وطمأنينة الظاهر التى تنشأ من الركون الى دولة تقضى بالشريعة وتفصل بين البغاة والأبرياء وتحرس الطريق وتخيف العائثين بالفساد) ونظرة الى مخطط الحياة آنذاك من أقصى الصين الى تخوم الأطلسى تبرز لنا هذه الحقيقة فى أجلى بيان فقد انهارت دولة الفرس والروم وهما يشبهان رأسا الحربتين اذ انطلقت فيهما الغرائز البهيمية حتى أصبح الحق ضائعا بين أهله كما لا يعترف به لغير القوة . قوة السلاح وقوة المال ، وقوة العصبية . فالدولة الرومية أداة لترقية الطبقة الحاكمة على حساب شقاء الجماهير . كما كان حكم اليونان قبلها بأقل قسوة وتحيزا وهو الذى أغلق ديار الشام بالنزاع والشقاق والدماء طوال سبعة قرون ، ولم تكن الدولة الكسروية بأقل من سابقتها . حيث استطال الطغيان فى كل شىء حتى سخر المجوس من دين المجوس وكمنت حول عرشها كوامن الغيلة وبواعث الفتن ونوازع الشهوات . بل فرض على عامل الأرض أن يكون شيئا من متاعها فلا يستطيع أن يملك لنفسه أو يملك نفسه بل كان وما ملكت يداه لسيده مع كونه حرا .. واذا صرفنا النظر الى الهند وجدنا الطبقية أساس المجتمع هناك

فالنعيم المترف حظ البراهمة والطبقات العليا ، وأما نصيب الآخرين فالشقاء والحبور لهم ولم يكن سكان الجزيرة العربية بأوفر حظ ممن جاورهم من الأمم مع انهم كانوا أقرب الخلق الى سلامة الفطرة اذ كانت حياة الناس فيها لونا من الوان الشقاء والهوان ونوعا من انواع الاضطراب الاجتماعى الذى أصاب جيرانهم . بل تعدى ذلك الشقاء من الأفراد والجماعات الى الأرض التى كانوا يعيشون عليها . اذ طمع فيهم جيرانهم فهرقل الرومى يرسل الى مكة من من يحكمهـــا وابرهة الحبشى يزحف الى مـــكة بمن يهـــدم كعبتها ويستبدل بها كعبة غيرها . وفارس تطغى على شرق البلاد وجنوبها أضف الى ذلك قسوة البادية وضنك العيش . وضغط النظـــام القبلى . مما تولد عنه قتل الأبرياء دون ما ذنب اقترفوه أو جرم ارتكبوه . وقد اناخ الشقاء على الجميع : بكلكله حيث لا منفـــذ ولا أمل ولا شعاع هداية الا لمعا هزيلا مثل أضواء الحباحب يرسلها بعض الشعراء أو الخطباء أو الحنفاء وبعض القسس الذين لم ينخرطوا فى طغيان الحيـــاة وبعض الصالحين الذين عكفوا على دراسات الديانات آنذاك فكانوا يبشرون ويخبرون بمقدم رســـول بشر به الأنبياء السابقون ليكون ضياء للمدلجين ورحمة للعالمين وشوقا الى هذا النبى العظيم .

وتاقوا اليه زحف الحبر الاسرائيلى الصالح بن الهيان وهو شيخ هرم يجرى شيخوخته الى قريظة والنضير وقينقاع يثير تطلعاتهم الى السعادة التى أوشكت أن تطل عليهم وتظلهم بأجنحتها الملائكية حتى لا يسبقهم الى هذا الشرف أحد . كما تطلع الهنود الى هذا البشير الذى أخبرت به كتبهم . فقد ورد فى كتابهم المقدس (بهو شيان بران) فى وصف محمد صلى الله عليه وسلم ، أن رجلا جاء فى المنام الى الملك بهوج . فقال له عليك أن تلحق بدين رجل ظهر فى الصحراء وهو مختون ، وله كلام يسمع . اصطفاه برهما .. تظهر على يديه معجزات كثيرة . وهو محفوظ من أعدائه اســـمه محامد : يعنى كثير الحمد ـــ وكما ذكرت اليهودية والهندية .. فى الكتب محمدا . فقد ركزت المسيحية على التبشير به تركيزا عظيما ليلفت المسيح أنظار الحواريين من اتباعه بهذا النبى العظيم .

فقد قال لهم فى المزامير : أن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وانا أطلب من الرب فيعطيكم (بار قليط) آخر ليثبت معكم الى الابد

وهو يعلمكم كل شيء . ويذكركم بكل ما قلته لكم .. واذا جاء روح الحق ذلك فهو يعلمكم جميع الحق . لأنه ليس يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بكل ما سيأتي .. فالمسيح هنا يبشر أصحابه وحواريه بمقدم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكما أخبر المسيح بمقدمه فقد أخبر داود عليه السلام به اذ قال لقومه مبشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ذاكرا أوصافه . اذ قال لقومه : غنوا لله . اعدوا طريقا للراكب في القفار باسمه أبو اليتامى ، وقاضي الأرامل ، يقضي لمساكين الشعب . يسحق الظالم . ينجي الفقير المستغيث والمسكين ويخلص انفس الفقراء من الظلم والخطف .

وهو بذلك ينبه أتباعه الى صفات محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والى هذه الثمرات المباركات يشير أشعياء أيضا اذ يقول في وصف اثر بعثته ـ صلى الله عليه وسلم ـ في عالم المظلومين والمعذبين (تفرح البرية والأرض اليابسة . ويبتهج القفر ويزهر النرجس . شددوا الأيدي المسترخية . هو ذا يأتي ليخلصكم . وحينئذ تتفتح عيون العمي واذان الصم يقفز الأعرج كالايل ويترنم لسان الأخرس لأنه قد انفجرت في البرية مياه وانهار في القفر) .

ومن هنا نجد انه لا نبي الا وقد بشر بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم وبمقدمه . مبهجا نفوس الأتباع والأشياع الذين يتبعونه . ولقد أخبرنا القرآن باخبار عيسى عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم بقوله : **واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد . فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين .**

كما يخبرنا القرآن الكريم عن العهد الذى أخذه الله تعالى على الأنبياء بقوله : **« واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين »** .. اذن فلم يكن مولده عبثا ولم تكن بعثته مصادفة أو لم تكن بعثته اشراقة كاشراقة آلهة البوذيين . وانما كان من عند الله تعالى بل لم يكن يتكلم من عند نفسه وانما كان كلامه من عند الله تعالى . وصدق الله العظيم اذ يقول :

« وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى»
ولقــد توعده الله ان قال عن الله شيء لم يوح اليه به بقوله :
« ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنـا منه الوتين » . ولذا كانت أقواله وأفعـاله ـ صلى الله عليه وسلم تشريعا للأمة ونبراسا سيضيء لهم مجاهل الحياة . ومن أجل سعادتهم فى الدنيا والآخرة وكيف لا . وهو الذى أخرج الانسانية من سقطتها ورفعها من وهدتها وأنقذها من غياهيب ظلمها وجهالاتها .. فلم تكن دعوته صلى الله عليه وسلم لأحد من أصحابه أو من الناس ليشيد بعظمة محمد أو بعبقريته وسياسته بل كانت الى عبادة الله تعالى وتوحيده ، ولم تكن دعوته وبعثته من أجل زعامة نبض دمها فى عروقه فلو طلبها لاستراح فؤاده حين جاءه عتبة ابن ربيعة يفاوضه من قبل قريش فعرض عليه المال والزعامة ، والملك والنساء على أن يترك آلهتهم وتسفيه أحلامهم ودعوتهم الى التوحيد فمـا كان منه ـ صلى الله عليه وسـلم ـ أن قال :
« ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم . ولكن الله بعثنى اليكم رسولا . وأنزل على كتابا . وأمرنى أن أكون بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم ، فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة . وان تردوه على الله أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم » . فهنـا يتضح أن الزعامة ليست فى دمه وانما كان مبعوثا من عنـد الله تعالى ولو كان زعيما أو يبغى الزعامة لما قال للآلاف الذين تجمعوا حوله يوم حجة الوداع : **« لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى مثل هذا الموقف أبدا »** اذن محمد لم يكن طالبا الزعامة ولا المال ولا الجاه . فلو كان طالبا الزعامة لما قال ولما ذكر ما أسلفنا ولو كان طالبا المال لسأل ربه المال فأعطاه ولما قال ما معناه اللهم أمتنى مسكينا وأحينى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين .
ولو كان طالبا ملكا لاستجاب لعتبة حين أبدى استعداده فى اعطائه صلى الله عليه وسلم الجاه والملك مقابل أن يتركهم وآلهتهم وأحلامهم اذن هو لم يكن كذلك . وانما كان رسول الله ومبعوثه الى الناس بل الى العالمين أجمع جاء والعالم مضطرب والقيم فيه متداعية والحضارات لم تكن مبنية على حب ووفاء . بل كانت مبنية على عصبية قاتلة طاحنة ومادية ضارية قاسية عاتية قوامها القوة . أيا كانت وأغصانها وثمارها السيطرة على الغير ظلما وعتوا بغير حق

وما كاد أن ينبت هذا الوَلد العظيم ويرسل بدعوته التى احدثت دويا هائلا فى مفاهيم المجتمع حتى أسس الحضارة العربية وقدم للعالم أجمع أسسا لحضارته ونبعا صافيا لبقائه وغذاء شـــهيا للعلاقات الانسانية التى ينبغى أن تسود بين أبناء المجتمع الواحد .
فقد دعى الانسان الى نبذ الانانية القاتلة ومظاهرها المختلفة من أجل بناء اجتماعى متكامل أساسه الروابط الإنســـانية فى ظل مناهج الاسلام الحنيف . تلك الروابط التى تجعل الانسان فى المستوى الرفيع هى التعاطف والتراحم والتوادد والتعاون واحترام الفرد وحقوقه وهذه المبادىء هى التى ميزت الانسان عن الحيوان ورفعت ذلك المخلوق الى قمة عالية تفوق جميع منازل المخلوقات وقد أشار القرآن الكريم اليها بقوله : ((**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**)) . ولقد ظهر تميز القرآن للانسان عن الحيوان فى هذه الآية الكريمة بعد أن أشار الى الجامع المشـــترك بينه وبين الحيوان بقوله : ((**فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفســـكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه**)) . اذ فضل الانسان عن الحيوان وفضل مجتمعه بتحديد هدف هذا المجتمع بقوله لتسكنوا اليها وجعل بينـــكم مودة ورحمة . فالسكن والاســـتقرار والأمن والاطمئنان والمودة والرحمة . هى علاقات بين الأفراد . وعندها تلتقى جميع القيم الأخرى التى لم تكن موجودة فى أى من المجتمعات التى ظهرت فيها الدعوات السابقة . ولذا كان استجابة الماديين للاسلام استجابة راسخة لأنهم آمنوا بهدفه الا وهو تحقيق القيم الانسانية فى علاقات الأفراد بعضهم مع بعض ولأنهم أيقنوا أن دعوة الاسلام هى دعوة الى تهذيب الوجدان ودعوة الى تنمية العمـــل الارادى وجعله فى خدمة السلوك القويم . ولذا فقد من الله تعالى على المؤمنين بقوله ((**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا . وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**)) .

ولقد تعهد الرسول صلى الله عليه وسلم هذه القيم وتلك المبادىء بالعناية والرعاية والصقل والتوجيه تثبيتا وغرسا لها فى نفوس أصحابه وأتباعه . وبدأ بنفسه صلى الله عليه وسلم ضاربا بالمثل

العليا لما يجب أن يكون عليه القائد والمعلم وصدق الله العظيم اذ يقول « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** » الأحـــزاب .

ضرب للناس أروع الأمثلة كما بذل من صفاته الرائقة أسناها حتى يقف الناس على معانى الرسالة التى بعث بها صلى الله عليه وسلم فقد كان خلقه القرآن . كما كانت سجاياه الرحمة . وكيف لا تكون سجاياه الرحمة وهو الرحمة المهداة الى العالمين وصدق الله العظيم اذ يقول « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » ولفظ العالمين يشمل الأنس والجن والحيوانات وجميع المخلوقات . ولم تكن رحمته نابعة من عقد يعانيها أو رد لفعل يتمه لا .. بل هى رحمـــة الأقوياء البازلين وكانت هذه الرحمة نبعا فياضا يستقى منهـــا الغائد والرائح حتى انها شملت الوليد فى مهده كما أصابته وهو فطيم يلعب على ردفيه وهو فى صلاته . فلم يزجره ولم ينهـــه وانما كان به شفوقا عطوفا فقد سمع ذات مرة بكاء طفل فأمر أمه بأن تهدهده وتمسح عنه بكاءه بيدها الحانية بقوله : الا تعـــلمين أن بكاءه يؤذينى .

ولقد روى أن أحد أبناء فاطمة قد علا منكبيه وهو ساجد فى صلاته فاطال سجوده حتى لا يشق على الطفل من طول اعتلائه المنكبين . ولقد امتدت رحمته من محيط أسرته ومن الصبيان الى غير أسرته من اتباعه وأحبابه . فقد لاحظ ذات يوم فى مجلس عائشة رضى الله عنها امرأة رثة ثيابها . وتعلو على قسمات وجههـــا الجميل كآبة . وهى كسيرة الرنوات زرية الهيئة . فيسأل عن أمرها . ولعله كان يعلم عنها أنها فى بحبوحة من العيش ورغادته فيخبر أن زوجها عبد الله بن عمرو بن العاص يصوم دائما ويقـــوم الليل كله : صارفا وقته للعبادة ولا شيء غيرها . فاذا برســـول الله صلى الله عليه وسلم . يتعهد عبد الله بالنصح والارشـــاد قائلا له بلغنى انك تصوم النهار وتقوم الليل . فلا تفعل فان لجسدك عليك حقا ولعينيك عليك حقا . ولزوجك عليك حقا . صم وأفطر .. ولا تلبث الزوجة تزور عائشة بعد أن نصح زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهى طليقة المحيا متعطرة . ترفل فى الجديد والنظيف مزدانة بالدين السمح مزدادة به تمسكا . ولم تكن رحمته صلى الله عليه وسلم قاصرة على المسلم وحده بل تعدته الى وقت

الحرب والقتال . فقد روى أن جاءه رجل يبايعه صلى الله عليه وسلم على القتال والجهاد فى سبيل الله وهو مغور الفرحة مغشى البشر فاذا بالرسول صلى الله عليه وسلم العليم بخفايا الأمور يسأل الرجل هل من والديك احد حى . قال الرجل نعم . كلاهما حى . قال الرسول فارجع الى والديك واحسن صحبتهما . فيرجع الرجل الى أبويه يعيد اليهما البسمة التى جفت من قلبيهما ويمسح الدمعة التى فاضت من عيونهما بفراق ولدهما لهما . هنا يبصر المرء مدى رحمة محمد صلى الله عليه وسلم — اذ لم يندفع نحو مصلحة الجهاد الذى بصدده يسير الجيش وانما استعمل الحكمة ليخبر الناس أن اكرام الأبوين جهاد وحج وعمرة . ولو شاء محمد أن يخرج الرجل الى الجهاد آخرجه ولكنه آثر سعادة الأبوين على رغبة المجاهد . ولم تقف رحمته عند حد أو لم تنته عند وصف بل تعدته الى الحيوانات العجم .

تحقيقا لقوله صلى الله عليه وسلم عن نفسه : **(انما أنا رحمة مهداة)** فقد أخبرنا عبد الله بن جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بستانا لرجل من الأنصار فاذا فيه جمل فما أن رأى الجمل النبى : حتى جن وذرفت عيناه . فأتاه رسول الله . فمسح ذفراه فسكت . وقال الرسول من رب هذا الجمل . فقال فتى من الأنصار هو لى يا رسول الله . فقال عليه السلام . الا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها . فانه شكى الى انك تجيعه وتدئبه . . . أجل انها رحمة الأنبياء ورحمة خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم القائل **((عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت لا هى أطعمتها وسقتها ولا هى تركتها حتى تأكل من خشاش الأرض))** اى رحمة وارفة ظلالها طيبة ثمارها نقية جميلة . انها رحمة محمد صلى الله عليه وسلم . هذا الرسول العظيم والنبى الكريم الذى اشرقت منه معانى الرحمة وكان بالناس رءوف رحيم . وهنا يرد سؤال . وهو اذا كان محمد صلى الله عليه وسلم صاحب رحمة ومؤسسا لحضارة قوامها التعاطف والتراحم فلما يقاتل محمد صلى الله عليه وسلم الكفار مع أن الرحمة تنافى القتال الذى نشرت الدعوة به .

هنا نقول . ان من الأمور المسلم بها قطعا أن الاسلام كان لازما للحياة وكان ضروريا لاصلاح المجتمع الذى بعث فيه آنذاك محمد

صلى الله عليه وسلم . خاصة وأن البشرية فى هذه الفترة كانت قد اكتملت وأضحت فى حاجة ماسة الى دين يستظلها والى عقيدة راسخة تمسك بها . ولذا فان الدعوة الاسلامية كانت مبنيــة على الاقناع والبرهان الذى اقتنع به الكثير ممن تطلعوا الى الهــدى فاستنشقوا عبيره فى هذه الرسالة . ولعل أكثرهم استجابة أو أسرعهم اليه الضعفاء الذين كانوا يحسون بالألم . كما كان كذلك القراء العارفين بالكتب السابقة والذين أبصروا بعين الواقع لمجتمعهم ولتفاهة عقول أهله وأحلامهم فى عبادتهم للاصنام وتقديسهم للاديان فكانوا بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم أكثر الناس استبشـــارا وحبورا . ثم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن طالبا لزعامة أو لسلطان . حتى يقال انه أراد القتال للانتصار على خصمه ولكى تعلو قدمه على قرنه ولكى تثبت قدمه فى حكمه . لا : بل كان داعية لله يدعو الناس الى ما فيه سعادتهم والى تخليصهم من براثن الهوى والشيطان . . ونقول أيضا أنه لو كان محمد يريد القتال ويدعو اليه لوجدنا معه الجنود المجندة فى أول دعوته ولكنه صـــلى الله عليه وسلم . لم يبعث ومعه أحد ينصره أو يحمل السيف معه . ولعل قصة ايمان عمر تعطينا مثلا واضحا على أن الدين لم ينتشر بالسيف وانما نشر بالاقناع . ومن هنا فانه يعاب على الاسلام أن يحارب بالسيف فكرة يمكن أن تحارب بالبرهان والاقناع . تحقيقا لقوله : **((لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى))** . الا أنه لا يعاب عليه أن يحارب سلطة تصد الناس عن دين الله وتقف فى طريق دعوته . وأهل مكة لم يكونوا أصحاب فكرة وانما كانوا أصحاب سلطة وسيادة ورثوها عن آبائهم كما ورثوا تقاليدهم ومعتقداتهم الأمر الذى كان يصعب معه الافســـاح من جانبهم لهذه الدعـــوة الجديدة . ثم ان الاسلام لم يشهر السيف اعتداء وانما أشهره دفاعا ولو كان دين اعتداء لتحطمت قلاعه الواحدة تلو الواحدة على مر الزمان والعصور . ولما خلد الى الان كتابه . لكن قلاعه ظلت باقية حصينة ولعل غزوة تبوك تعطينا صورة واضحة عن الغرض من القتال وعن روح الاسلام . فقد سرى الى النبى صلى الله عليه وسلم نبأ يقول أن الروم يستعدون لغزوه ويعبئون الجيوش ضــده فأعد النبى صلى الله عليه وسلم جنده وسار بهم حتى وصلوا الى بلاد الروم ولـــا لم يجدوا جيشا وتيقنوا أن الروم قد انصرفوا عاد الجيش أدراجه مع أنه قد تكلف تكاليف باهظة وتحمل المسلمون فى

هذه الحرب متاعب ومشاق عظيمة ولو كان الاســـلام دينا ينشر بالسيف لمـــا رجع الجيش بل كان عليه أن يحرز انتصارا وقتالا وجهادا ونصرا وسلبا للغنائم وللأموال التى تعوض النفقات الباهظة لكنه لم يفعل بل رجع المسلمون والنبى على رأسهم بعد ان تأكد لهم أن الروم عن القتال أقلعوا وانهم عن الاعتداء على النبى صلى الله عليه وسلم قد عدلوا . كما يعطينا هذا أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يسير الجيش الا بعد أن علم أن هناك اعتداء . فجمع الجيش المسلم ليرد به على الاعتداء وليدافع عن دين الله تعالى ثم ان قتال محمد لهؤلاء المعاندين المجحفين لم يكن من وحى من نفسه وانما كان من عند الله وقد اعلنها النبى صلى الله عليه وسلم ، بقوله . أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله .

ثم ان الشريعة الاسلامية لم تكن كبقية الشرائع الاخرى . فهى شريعة عالمية ذات طابع عالمى واما الشرائع الأخرى فانها كانت شرائع محلية تنتهى بانتهاء انبيائها ولو لم تكن شرائع محدودة الزمن والعمر . لمـــا جعل الله عز وجل الاسلام آخر الديانات ولما جعل محمدا خاتم الأنبياء ولكنه كان خاتم الأنبياء وشريعته آخر الشرائع . وما دامت هذه الشريعة هكذا فانه كان من الزم اللوازم أن يحمل اتباعها تبعة هذه الرسالة وان يبلغوها للناس فى مشارق الأرض ومغاربها كما علمهم اياها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبليغ والدعوة يحتاجان الى سيف يحمى الحق . فالسيف لم يكن يعتدى وانما كان يدافع .

ثم ان القوانين الملموسة والمعهودة أن المعلم يبدأ فى تبليغ علمه وفكره بهوادة واقناع فاذا وجد انصرافا من تلاميذه أرشدهم وصبر عليهم فاذا لم يستجيبوا كان آخر علاجهم الضرب حتى يتعلموا ومحمد صلى الله عليه وسلم كان منقذا للبشرية فهو يدعو ويبشر وينذر ويحذر فاذا وجد الصد كان عليه أن يقاتل الصـــادين حتى تمضى الدعوة فى طريقها وتبلغ الهداية شأنها .

سيدى يا رسول الله . هذا يوم مولدك . يوم يطل على الخلائق وعلى العالم أجمع وهم ينظرون الى امتك التى وحدت هدفها وجمعت

شتاتها ووحدت بين صفوفها والفت بين قلوبها . جمعتهم يا رسول الله على الحق . وعلمتهم بما تنطبع عليه نفوسهم وبما تقبله طبائعهم فشريعتك الغراء شريعة السماحة والنقاء والطهر والصـفاء . وشريعتك يا رسول الله نور وهدى تهدى الحيارى وسط خضم الحياة وهى شريعة من عند الله تعـالى فلم تكن رايا لأن الراى صور واشكال والعقيدة والشريعة حقيقة وجوهر يلمسه المؤمن فى صباحه ومسائه فى غدوه ورواحه فى يقظته ومنامه . ولم تكن عقيدتك وشريعتك يا رسول الله جثة هامدة . بل كانت حياة وحركة يجددان للحياة شبابها . ولم تكن هذه العقيدة وتلك الشريعة الفاظا وكلمات يترنم بها بل كانتا عملا وتنفيـذا يملآن القلوب بالايمـان ويشعلانها بالرضى ويرضيان القلب بالأمان .

سيدى يا رسول الله . سلام عليك فى يوم مولدك وقد تعطرت الدنيا بأريج عطرك .

وسلام عليك يوم أن دعا ربنا بالصلاة عليك مكرمة لك منه وفضلا بقوله : « **أن الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** » .

وسلام عليك يوم ان خاطبك ربك بقوله : « **يا أيهـا النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا** » .

وسلام عليك يوم أن اقسم ربك عز وجل بالبلد الأمين . بلدك يا رسول الله تكريما لك وتكريما له اذ قال : « **لا اقسم بهـذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد** » .

وسلام عليك يوم أن ولدت يا رسول الله فاتممت المكرمات وكنت فخرا لهذه الانسانية جمعاء اذ خصك ربك عز وجل بالخطاب بقوله وانك لعلى خلق عظيم .

وسلام عليك يوم أن عشت بين احبابك واتباعك والمؤمنين بك تعلمهم وترشدهم .

وسلام عليك يوم أن تجمعت عليك قوى الطغيان والبهتان كى يردوك عن دين الله فقلت قولك الحق معلنا مبداك : لعمك الذى رجاك أن تتركهم وشأنهم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى لن أترك هذا حتى يظهره الله أو اهلك دونه .

وسلام عليك فى الخالدين .

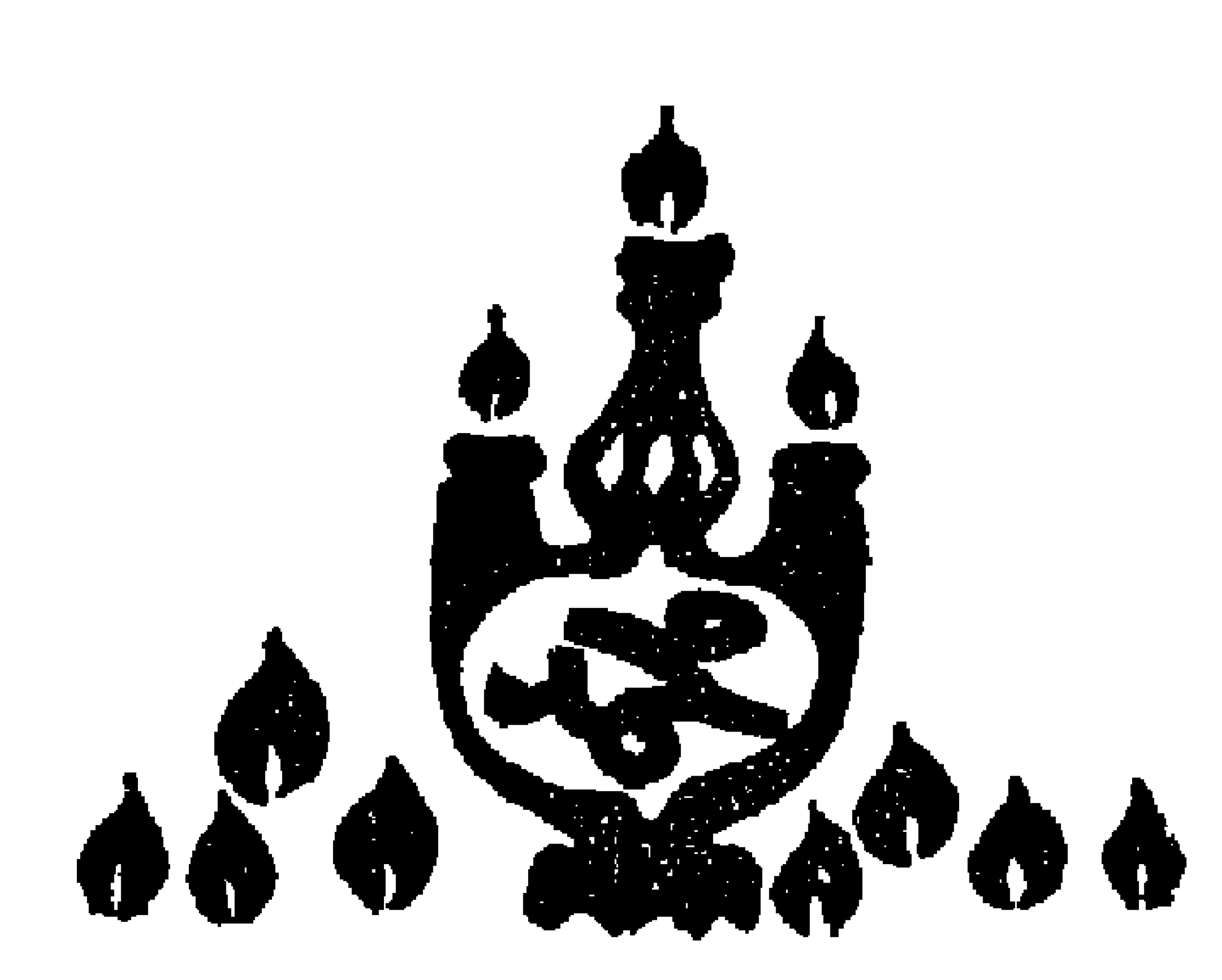
وسلام عليك يوم أن تبعث حيـــا .

سيدى يا رسول الله هذه ذكرى مولدك تاتى والقدس تئن أنينا حزينا ترجو الخلاص من يد الطغمة الباغية فسل ربك عز وجل أن ينصرنا على عدونا وان يعز امتنا وان يعز دينه وأن يزيح هـــذا الكابوس عن أرض العرب والمسلمين فى ظل رجل حكيم وعهد مجيد وقائد مؤمن هو الرئيس محمد أنور السادات .

المولد
نورٌ متجدد

الاستاذ عبد الحكيم النجار

فى اوائـــل شهر ربيع الأول ..
ما بـــين التاسع منـــه والثانى عشر
تحيـــا الأمة الاسلامية بل العـــالم
اجمع .. فى جو روحى رائع يتالق
بنور الهـــدى والنور .. ويتوهـــج
بجلال الخشوع لخالق الدنيا وواهب
الحياة .. وفى فيض من سنا الشهر
المبارك اجد نفسى ووجدانى وحياتى
امام هذا الجلال والجمال والكمال.
بل أمام الحياة نفسها .. بعـــد أن
تشرفت بحضرته ووقفت امام روضته
حبيس الحب الذى ملأ جوانب نفسى
وحسى .. بعد أن تنفست ذلك الحب
الممزوج بالحب الالهى ..



.. نعم لقد جاء الرسول العظيم استجابة لدعوة أبيه ابراهيم..
وتحقيقا لرؤيا أمه آمنة حين رأت وهى حاملة به أن نورا خرج منها
أضاءت له قصور الشام .. وتألق الأمل فى نفوس الملايين.

تامل ومعـــاناة ..

وقـد اعتاد المسلمون فى شتى بقـاع الدنيا ان يحتفلوا بذكراه العطرة .. حيث تلقى الخطب وتهتز أعواد المنابر وتروى وتتـلى السيرة الزكية وتصور البطولات وتدبج المقالات وتظهر الأعـداد الخاصة من الصحف والمجـلات السيارة هنا وهنـاك .. حاملة رسالته الفذة التى كلفته بها السماء للارض الطيبة .. داعيـا الى الله تبارك وتعالى ..منافحا عن دينه لينقذ البشرية المعـذبة من شرور وآثام وما أدركهم وركبهم من وثنية عمياء وضلالة جهلاء .

وفى جلال الذكرى لا اريد أن استسلم الى هذا التامل والمعاناة واكرر الذكرى ونحن احق النـاس بذكره وشكره واجـدر الناس بالتذكير بـه .

.. فنحن المسلمين نعيش ونتعايش مع نور المصطفى فى صلواتنا ونوافلنا وتسابيحنا وتهليلنا .. واهل الصفة فينا يذكروه مع مطلع النور والسرور مع مطلع الفجر حتى نسمات الليل المضيئة باوراد وأذكار وهمهمات فى غدوهم ورواحهم .. فى المساجد وفوق المآذن ومع الخلوات والطرقات .. ولن اكرر ما يكتبه المعلقون والباحثون والمستشرقون .. بعد ..

.. ان الحضارة الاسلامية التى اظهر اصولها سـيد البشرية واستاذ الحيـاة هى أسلم الحضارات وانقاها واحكمها تشريفـا وتكريما .. وتعليما وتربية وسلوكا ..

ولن أسير فى خط « ديوارنت » فى قصة الحضارة واجتز مجـد الاسلام والمسلمين فى بغداد حيث يوجد أكثر من مائة بائع للكتب .. وأن الكتب التى كانت تحتوى مكتبة « الرى » العامة مجلة فى عشرة أجزاء .. من الفهارس .. وقد رفض أحد الاطباء دعوة سلطان بخارى للاقامة ببلاطه .. لانه يحتـاج الى اربعمائة بعير لنقل مكتبتـه ..

عوامل الضعف ...

المهم أن عوامل الضعف الداخلية وهى الابتعاد عن جوهر العقيدة الاسلامية تحالف مع الغزو الخارجى فى مسيرة الحضارة الاسلامية

سنة الله فى عباده ثم دار الزمن دورته .. وغابت شمس حضارته. واقبل الليل بعد نور حافل ساطع ..

ما من حضارة اقبلت على الدنيا والحياة كما اقبلت .. فلم تعرف زهد الزاهدين .. وعجز العاجزين .. ولا انحلال اليائسين .. صحيح أن لحظة الغروب طالت .. وأننا وشمسنا ننحدر الى المغيب قد انتزعنا أوربا .. ودقت سيوفنا اسوار فيينا .. وسددنا الطريق على الغزو الاستعمارى للشرق .. واجبرناهم على الالتفاف حولنا .. ولكنها كانت اغفاءه العملاق .. ثم انتقلت الحضارة الى الغرب المسيحى .. ونسجنا كفننا الحريرى بأيدينا نحن أصحاب هذه الحضارات الساحقة ..

لا اريد أيضا ان اقول هذا ولا ذاك .. فالحقيقة يعرفها أصحابها ولا تحتاج الى دليل .. وانما اريد أن اقول شيئا آخر .. !!

علينا أن نذكر قائدنا وزعيمنا ورائدنا ذكرا يختلف عن ذلك .

لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ..

من يطع الرسول فقد اطاع الله ..

قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله .

علينا — اذن — حين يردد اسمه المنور فى جنبات الأثير وعلى موجاته ومع موجاته ومع كل آذان وترنيمة صلاة أن نعى خلقه كقدوة حسنة وسلوك قويم .. وليس هناك أجمل ولا أعظم من وصف القرآن الكريم لرسولنا الكريم العظيم ..

وانك لعلى خلق عظيم

فبما رحمة من الله لنت لهم .. ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك .

اخلاقيات واخلاقيات

ان هذه الأخلاقيات وتلك المشاعر تحتاج منا جميعا الى ايقاظ واجراس .. وتنمية فى ضمير الأفراد والجماعات .. ولقد بدأ

المصطفى فى بناء المجتمع فى ضمائر النـــاس فى دنيـــا النـــاس .. ووجدانهم .. فقد غرس المحبة فى اعماق الروح وايقظ فى نفوسهم صلة المودة والقربى .. حتى اذا مارقت جوانحهم بتلك المشاعر النبيلة العظيمة كانوا اقرب الى الحب والايثار ولاخاء والرحمة .

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام : ان الله كان عليكم رقيبـــا ..

وتحت ظلال الحب والرحمة دعا الناس الى الايثار والى التضحية وبذل النفس فى سبيل اسعاد الآخرين .. فالمجتمع الاسلامى خليط من الموسرين والمحرومين .

فاذا لم يؤثر الموسرون على انفسهم .. واذا لم يضحوا بما يملكون انعدم التكامل واغمى التعاون .

لقد رسم القرآن الكريم صورة جميلة للأيثار فىالرحمة والتعاطف لآل البيت .

يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا .. ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا .. انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا .

حسبنا أن نذكر أن صاحب الرسالة وصاحب التشريع .. بعث رحمة للعالمين .. وكان هو فى نفسه وأهله وامته رحيما رؤوفا ..

كان الرسول الكريم يحافظ على شعور وكرامة السيدة صفية بنت حيى بن أخطب زوج رســـول الله ، فقد كانت من يهـــود بنى النضير وقد حدث خلاف بينها وبين السيدتين عائشة وحفصـــة زوجتا رسول الله فقالا لها .. نحن أكرم على رسول الله منك .. فشكت ذلك للحبيب المصطفى فقال لها : الا قلت لهما وكيف تكونان خيرا منى وزوجى محمد وأبى هارون وعمى موسى .. وما روى من أن السيدة زينب أم المؤمنين لقبتها مرة باليهودية فهجرها رسول الله شهرين كاملين عقوبة لها وتأنيبا .. وكان سراجا منيرا حتى فى خطرات اللســـان ..

ان الرجل ليقول الكلمة لا يلقى لها بالا : يهوى بها فى النار سبعين خريفا .. !!

فقد مس الحديث من أم المؤمنين عائشة غيرة فأثارها .. وقالت: وماذا يعجبك فيها ؟ ! انها قصيرة ! واذا بالرسول يرد عليها قائلا : ماذا يا عائشة .. لقد قلت ، كلمة مزجت بماء البحر لمزجته ..

وكان حرصه عليه السلام على اصحابه شديدا .. سأله واحد من أصحابه يوما . . أرايت ان كان فى اخى ما اقول ؟ فأجاب المصطفى صلى الله عليه وسلم . .

ان كان فيه ما تقول . . فقد اغتبته. .وان لم يكن فيه ماتقول.. فقـد بهتـه ..

هذه امثلة قليلة من ذكريات صاحب الذكرى .. وهى دليل واضح على أن « الذكرى » واجبة لأنها تنفع المؤمنين .

سـيدى يا رسـول ..

سلام عليك وسلام على الشهداء فى سبيل نصرك واعزاز دينك ما هذه الرحمة التى فقدتها الانسانية بعالمنا المعاصر اليـوم ..
ولن ننسى رحمتك يوم ان مررت فى يوم العيد .. عيد الفطر المبارك على أطفال يلعبون ويمرحون وراى طفلا منزويا باكيا فذهب اليه الرسول الكريم وقال : ما يبكيك أيها الغلام ؟

فقال الطفل : دعنى يا رجل فقد مات أبى فى الغزو مع رسول الله ولم اجد ابا يدخل السرور على نفسى فى يوم العيد فقال الرسول الأعظم اترضى أن اكون لك أبا وفاطمة لك أختا وعائشة لك أما فقال : عفوا يا رسول الله ثم اخذه الرسول الى منزله وأطعمه وكساه وأعطاه نقودا ثم قال له الرسول الكريم. .العبمع اخوانك. ولمـا رآه الأطفال مزهوا فخورا .. قال الأطفال : مالك أيها الطفل . . كنت منذ لحظات باكيا والآن نراك فرحا مسرورا فقال الطفل مجيبا : لقد رأيت أبا خيرا من أبى وأما أكرم من أمى ..

دعوة

خلصت البشرية من الخرافات والضياع

الأستاذ حمدى عبد القادر

فى وقت كانت رسالات الله قد انحرفت تعاليمها ، تحت سطوة أصحاب الشهوات والاهواء ، واحتدم الصراع بين الاتباع والاتباع : الى أن تطور الى حروب ابادة ، واندلعت النيران تحرق المخالفين فى العقيدة !! وقد فقد العالم قيمه الفاضلة ، وضاعت معالم الحقيقة فى بحار من الظلم الذى تفاقم واستشرى ، وعمت الفوضى ، وانتشر الفساد .



كان لابد لهذا العالم ، التائه فى الضلال والفوضى ، من منقذ ياخذ بيده الى معالم الطريق ، طريق الهداية والرشاد .

فى ذلك الحين ، كانت بوادر النبوة قد بدت عليه ، باستسلامة للصمت ، وركونه للعزلة ، والتزامه بالتفكير فى أمر قومه ، هؤلاء

الذين لا تلين قلوبهم الا للباطل ، ولا تستجيب نفوسهم الا للهوى ، ولا يثنيهم عن غيهم وضلالهم وفسادهم وطغيانهم اية قوة ، اختاره الله مبعوثا للعالمين ، مبشرا وموجها للخير وللسلام ، وخصه بصنوف الرعاية منذ كان فى ضمير الغيب : آواه فى يتمه ، ومنحه الهداية من ضلال الطريق ، وتوجه بتاج العز والفخار ، فما أرسله الله الا رحمة للعالمين .

« يا ايها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » .

* * *

أرسل الله رسوله المصطفى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ليبلغ رسالة الحق للبشر اجمعين باللغة العربية ، التى يتحدث بها آنذاك مئات الملايين من البشر ، بعد أن اندثرت وبادت اللغات القديمة ، وكان سنده العتيد فى دعوته ماتخلق به من أخلاق سامية ، وايمان مكين ، ونفس كاملة ، كان هذا هو سلاحه ، الذى واجه به غرور الجبابرة ، وصلف الطغاة من القبائل المعاندة ، ومؤامرات اليهود اللئيمة الخسيسة ، وطغيان قريش الهادر الباغى ، تغلب على كل هذه القوى الشرسة الباغية ، المتشكلة الألوان ، والمتعددة المرامى ، بالحجة والاقناع والحسنى ، من غير قوة مادية ، استجابة لقوله تعالى :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن » .

فماذا كان يملك الرسول الأعظم من قوة مادية أمام قيصر الروم وكسرى الفرس ، وأمام طغيان قريش ، والمؤامرات التى تحاك له من هنا وهناك .. لا شىء سوى الايمان وانكار الذات وايثار الحق ، وعرفان الواجب .

يقول « سالزار » أسقف مانيلا فى عام ١٩٥٠ كمؤرخ :

« ان الوعظ ، والبندقية فى يد الواعظ ، وسيلة سيئة للتبشير ، والوسيلة المثلى ما يتبعه الوعاظ المسلمون ، فقد جاءوا بغير سلاح ، مزودين برسالة السلام والايمان والوداعة والقدوة الحسنة ، فاستقبلت الشعوب الدين الاسلامى أحسن استقبال » .

ويقول المؤرخ الغربى «توماس كارليل» :

« ان اتهام محمد بأنه حمل الناس على الدخول فى الدين ، الذى جاء به بالقهر والقوة سخف ، لا يقبله عقل ، فكيف يمكن أن يتصور أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس ، أو ليستجيبوا لدعوته » .

أما « بودلى » مؤلف كتاب « الرسول حياة محمد » فيقول :

« كان القرشيون أنفسهم سببا من الأسباب التى دفعت محمدا الى الالتجاء الى القوة ، اذ استمر عداء أبى جهل لمحمد فى درجة الغليان ، فقد كان يغير على جماعات المسلمين ، المتحركة باستمرار ، ويقاتل أية جماعة منعزلة يكمن لها ، وقد أغار على ضواحى المدينة وأتلف الزرع والحدائق ، فأظهر لمحمد أن شعوره لم يتبدل ، وان هدفه لا يزال قتله ، فلم يكن هناك الا حل واحد ، من وجهة نظر الجانبين ، وهو القتال » .

* * *

ولم تكن الفتوحات الاسلامية العظيمة ، التى امتدت حتى شملت اغلب بقاع العالم قد حظت بالنصر بضخامة العتاد ولا بكثرة العدد ، اذ كان الألف من المسلمين ، المسلحين بالايمان ، يلاقون عشرات الألوف من المشركين ، المدربين تدريبا حديثا ، والتى لهم بطولات عريقة فى الحروب التى عاشوها قرابة الف عام .

لم تكن ابدا القوة المادية سندا لرسول الله صلوات الله وتسليماته عليه لتبليغ رسالته ، وانما منحه الله القدرة على تحمل المشاق وعظمة التبليغ ، والعمل الجاد الحكيم للوصول الى الغاية والهدف ، لم تشغل نفسه متع الحياة ، ولم يتسع قلبه لاهوائها الزائلة ، أوتى الايمان فى أعلى درجاته ، وقوة الروح أسمى معانيها ، ومنحه الله الصمود والكفاح ، الذى هو سر التقدم والنجاح ، والتحلى بالصبر أعظم نعم الله .

كانت كل هذه الصفات هى سلاحه ، فى بث دعوة الله ، فى أمة تقتلها الوثنية ، يقاسى فيها الضعيف والمظلوم شتى ألوان البؤس

والفاقة ، فكانت الفاقة أحب للرسول الأعظم من الغنى ، طالما هناك فى أمته من يعانيها ، ومن يكتوى بمشاقها ومتاعبها .

تقول السيدة عائشة رضى الله عنها :

« لم يمتلىء جوف النبى صلى الله عليه وسلم شبعا قط ، ولم يبث الشكوى لأحد » .

« انا كنا — آل محمد — لنمكث الشهر ما نستوقد نارا الا التمر والماء » .

« ما شبع رسول الله ثلاثة ايام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله ، وما ترك دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا : لقد مات صلى الله عليه وسلم وما فى بيته شيء يؤكل الا شطر من شعير » .

وسئلت السيدة عائشة رضى الله عنها : ماذا كان يعمل رسول يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويحلب شاته ، ويعمل ما يعمل يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويحلب شاته ، ويعمل ما يعمل الرجل فى بيته » .

اعداد ربانى ، منحه القدرة التى اذابت دولتا الفرس والروم ، بما كان لهما من سطوة وجبروت ، والتى احيت القلوب الميتة ، والعقول الجامحة ، فخلصت من ظلمات الجاهلية الى نور الاسلام مما ازدهرت فيها الحضارة ، يحمل قادتها مشاعل الهدى والنور ، تحريرا للانسان من جهل وعبودية ، والتى تضت قضاء مبرما على هؤلاء الذين يحسبون بأنهم سادة العالم ، وأنهم — وهم الغارقون فى الظلم والفساد — لا يقهرون .

كم حشد المكابرون المعاندون له من قوى باغية — غير محدودة — ليصدوه عن سبيل الله ، وكم تربص به السفهاء والطغاة ، حينما دعا الى تحطيم الأصنام ، والايمان بالله واحد ، وهو مالك السموات والأرض وصاحب الحول والطول وبحياة بشرية انسانية ، وهو

ثابت لا يلين ، يزداد ايمانه قوة لدرجة ان الرعب كان يملأ قلوبهم كلما رأوه يتعبد أو يصلى .

« ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى ارايت ان كان على الهدى ، او امر بالتقوى ارايت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب » .

* * *

وحينما اشتد تآمر المشركين عليه ، أمره الله بالهجرة الى المدينة ، ووقاه من تآمرهم وما أعدوه له واحكموا اعداده ، املا فى قتله ، ولكن الله خيب آمالهم ، وملأ قلوبهم بالرعب والخذلان .

ولقد كان حادث الهجرة درسا بليغا فى مقدار المشقة والكفاح والصبر والتحمل من أجل نشر العدالة وحماية الحرية فانتشرت رسالة الله وعمت كل الآفاق ، بعد أن تغلبت على كل العقبات والمعوقات ، تلك الرسالة التى بصرت بما هو مستقيم وبما هو حق ، وحمت الانسانية التى كم عانت من ظلم وطغيان ، وغرقت فى بحار مظلمة من الوهم والخرافة والضياع ، ووجهت الطاقات الوجهة الرشيدة فى ظل الهداية الربانية ، وأعانت على كسر القيد العائق لتقدم البشرية وازدهار حضارتها . وحولت الحياة من حيث المفاهيم والمقاييس التى ينبغى أن يقوم عليها وجود البشر ، والمعايير التى توزن بها اقدارهم ، واندفعت البشرية اندفاعا هادرا تعتنق دين الله وتؤمن به ، بعد أن انكسرت شوكة المشركين أمام قوة رسالة الله ، التى كان لها أبدا النصر والفوز المبين :

« اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون فى دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » .

ومما لا شك فيه أن العزة لا تهبط على البشر هكذا عفوا ، وانما تكون بالجد والمثابرة ، والتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى لكل الصفات

الحميدة ، فانتشرت دعوة الله ، دعوة الحق ، انشارا الى آن عمت الدنيا من اقصاها الى ادناها وانتشرت الوية السلام فى كل ربوع العـــالم :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شـعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ..

* * *

لنتخذ ــ اذن ــ من سيرة الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم الهداية والرشد ، فى وقت طغى فيه أعداء البشرية ــ فى غرور وصلف ــ وراحوا يعربدون هنا وهناك ، اغتصبوا الأوطان ، أو بدا لهم ذلك ، وشردوا أهلها ، وارتكبوا أبشع ما يرتكبه الآثمون والطغاة ، واغتصبوا ــ ضمن ما اغتصبوا ــ القدس ، المدينة التى تحوى اقدس مقدسات المسلمين والمسيحيين على السواء ، والوهم يتسلط عليهم بأنهم انتصروا وفازوا ، فراحوا ــ فى غرور المختال ــ يقتلون من ائتمنوا عليهم ، ويسفكون الدماء البريئة ، ويبصقون على المقدسات ، ويحرقون القرآن والانجيل ، ويهتكون الحرمات ، ويسحقون بدباباتهم ومصفحاتهم الأجسام البشرية ، ويدمرون ــ فى اكتساح شامل ووحشى ــ كل معالم الحياة .

ليكن لنا فى سيرة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام ما يبصرنا بالطريق السوى الذى فيه اسعاد البشرية وتقدمها ، وما ينير لنا طريق الحياة الرشيدة ، ونستمد منها القوة وكيف نحميها ونجعلها قادرة على حماية معتقداتنا وحرياتنا من كل غاصب ومغرور ، وعلى ردع كل من يحاول اغتصاب الأوطان الذى يضحى من أجلها بكل نفيس وغال .

وسوف ينصر الله الحق ، مهما تصدت له قوى العدوان والشر ، ومهما كان حجمها ، طالما كان الأيمان فى الجهاد سبيلنا .

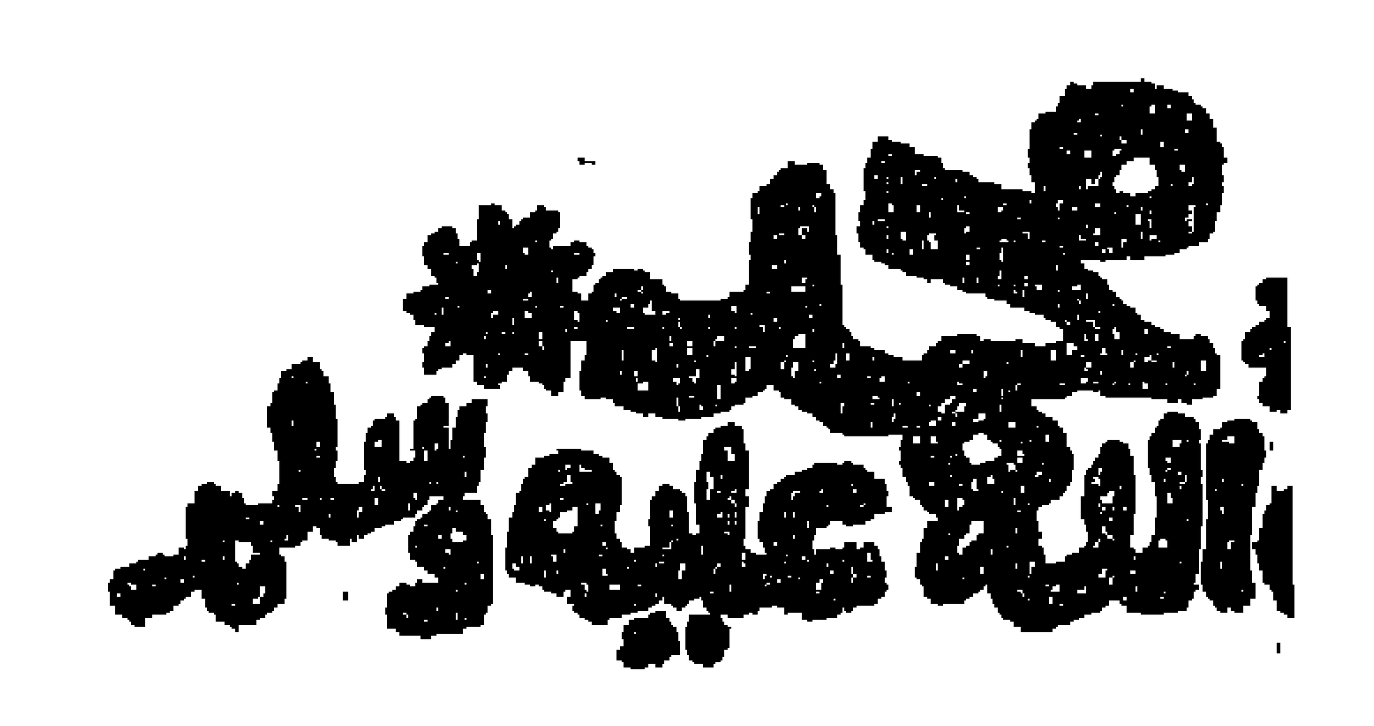
وصدق المجاهد العربى عبد الله بن رواحه حين قال :

« ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به » .

فصاحة النبى وبلاغته

المستشار اسماعيل الخطيب

امتاز النبى محمد صلى الله عليه وسلم بفصاحة القول ، وبلاغة العبارة ، وسداد الرأى ، وحكمة الموضوع ، وقدرة التأثير ، وسلاسة التعبير ، وحلاوة المنطق ، وعذوبة اللفظ ، وفرط الحكمة ، وشدة التريث ، وسهولة الأسلوب. لاينطق عن الهوى ((وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى)) كل أقواله الهام النبوة ، ونتاج الحكمة ، وغاية العقل ، ومتانة التسديد ، وبراعة الاجابة، وابداع القصد لاتحرجه المفاجاة ، ولا تزعجه المقاطعة ، ولا يضيق صدره ، قوى الحجة ، وهو نفسه الذى قال :



« اعطيت جوامع الكلم ، واختصر لى الكلام اختصارا » .

فصاحة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقد وصف كاتب العرب المعروف الجاحظ بلاغته عليه الصلاة والسلام . كلامه صلى الله عليه وسلم هو الكلام الذى قل عدد حروفه . وكثر عدد معانيه . وجل عن الصنعة . ونزه عن التكلف. وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد « وما أنا من المتكلفين» فكيف وقد عاب التشديق . وجانب أصحاب التقعير . واستعمل المبسوط . والمقصور فى موضع القصر . وهجر الغريب الوحشى . ورغب عن الهجين السوقى . فلم ينطق الا عن ميراث حكمة .. ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصـــمة . وشيد بالتأييد . ويسر بالتوفيق . وألقى الله عليه المحبة . وغشاه بالقبول . وجمع له بين المهابة والحلاوة . وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام . ومع استغنائه عن اعادته . وقلة حاجة السامع الى معاودته . لم تسقط له كلمة . ولا زلت به قدم . ولا بارت له حجة . ولم يقم له خصم . ولا افحمهخطيب . بل يبذ الخطب الطوال . بالكلام القصير . ولا يلتمس اسكات الخصم الا بما يعرفه الخصم . ولا يحتج الا بالصدق . ولا يطلب الفلج الا بالحق . ولا يستعين بالخلابة (الخداع) . ولا يستعمل المواربة (عدم الصراحة) . ولا يهمز ولا يلمز . ولا يبطىء ولا يعجل . ولا يسهب . ولا يسهب ولا يحصر . وما يسمع كلام قط أعم نفعا . ولا أصدق لفظا . ولا أعدل وزنا . ولا أجمل مذهبا . ولا اكرم مطلبا . ولا احسن موقعا . ولا أسهل مخرجا . ولا أفصح عن معناه . ولا ابين فى فحواه . من كلامه صلى الله عليه وسلم .

الأسلوب المحمدى واثره

منَ خلق الرسول ادب الحديث :

فلقد كان صلوات اللهوسلامه عليه صورة من القرآن المجيد الذى يقص قول الله تبارك وتعالى :

« وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم »

من خلق الرسول مخاطبة الناس على قدر عقولهم :

وكان صلوات الله وسلامه عليه يتابع احساس محدثه ويحافظ على شعوره . فيخاطبه على قدر عقله لا يضيق بسؤال ولا يستخف به . ولا يعبس في وجه محدثه وفي هذا تروى عائشة رضى الله عنها قولها . استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال — بئس أخوة العشيرة هو — فلما لقيه رسول الله انبسط اليه وألان له القول . فلما خرج الرجل قلت يا رسول الله حين سمعت صوت الرجل قلت كذا وكذا ثم انطلقت في وجهه وانبسطت اليه فقال الرسول يا عائشة « متى عهدتنى فاحشا . ان من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه » .

من أسلوب الرسول أنه كان يقتصد في حديثه :

كان يقتصد في حديثه ولا يتحدث الا اذا دعت الحاجة الى الحديث من توضيح حكم شرعي أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر وفي هذا يقول « **من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه** » .

القدوة الحسنة لحسن الاستماع :

كان المثل الأعلى الكامل والقدوة الحسنة لحسن الاستماع فكان صلوات الله عليه يقبل على محدثه ويصغى اليه بسعة صدر ولا يقطع حديثه حتى ينتهى منه وفي هذا يقول الرسول لأبى ذر الغفارى رضى الله عنه « **لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى** أخاك بوجه طلق » .

اختصار الكلام وقوة أثره :

كان عليه الصلاة والسلام يختصر الكلام . فكان الاقناع والأسلوب الجميل . والدعوة المحببة .

فقد كانت كل رسائله الى الملوك والرؤساء مستهلة بقوله صلى الله عليه وسلم « **اسلم تسلم** » عبارة تتألف من كلمتين اثنتين فقط نجد وراءها عالما من الاقناع أساسه أن السلام منوط بأن نسلم لله . وأن ليس بين الانسان وبين ان يحقق السلام بكل معانيه لنفسه وروحه وقومه الا أن يسلم . ويسلم لمن ؟ لله خالق الخلق جميعا .. وانها لدعوة محببة الى النفوس . ولهذا لم يرفضها

حتى الذين لم يدخلوا فى دين الله غوز سماعها . لكنهم قابلوها بالتقدير والتدبر والاحترام .

وقوله صلى الله عليه وسلم « الحرب خدعة » وفى هذه الكلمة المختصرة غاية ما وصل اليه الفكر الانسانى فى الاعلام الحربى وأسلوب النضال فى الحروب ووجوب المقاومة لخداع العدو .

لا يحتج الا بالصدق .. فى الجهاد والنصر :

ومن ذلك ان أعداء المسلمين حينما خدعوا المقاتلين منهم فى معركة حنين . بأن النبى قد أصيب خلال هذه المعركة فى مقتل . وحينما جازت هذه الخدعة على جنود محمد فتفرقوا حزنا ويأسا . واذا بمحمد يصعد فوق ربوة عالية ويصيح من فوقها « انا النبى لا كذب . انا ابن عبد المطلب » وما زال يردد هذه العبارة بصوت أخاذ حتى القى الرعب فى قلوب الأعداء . والقى الطمأنينة والحمية فى قلوب جنده . فاذا بهم يتجمعون من جديد . واذا بهم يشدون على صفوف الأعداء حتى تهاوت صفوفهم وانتصر جيش المسلمين بعد أن كاد ينهزم . وكان فضل الله فى هذا النصر مرتبطا بهذا الأسلوب المختصر المملوء بالصدق والشجاعة فى نفس محمد وهو يردد هذا النداء .

لا يفرق بين الناس فى حديثه وحسن استماعه :

روى أن سويد بن الصامت . وكان ذا مكانة رفيعة فى المدينة . ذهب الى مكة فدعاه الرسول الى الاسلام ووجهه لما يحبه ويباعد بينه وبين فساد العقيدة .

فقال سويد : لعل الذى معك مثل الذى معى .

فقال الرسول : وما الذى معك .

قال سعيد : حكمة لقمان .

فطلب منه الرسول أن يعرضها عليه فلما رآها قال (ان هذا الكلام حسن والذى افضل هو قرآن أنزله الله على هدى ونورا) وتلا عليه بعض آيات من القرآن فاستراح لما سمع وكان من

اثر أدب الرسول وحسن خلقه فى حديثه واستماعه أن استجاب لدعوة الرسول وحسن اسلامه .

اما البيان فأنت فى مضمـــاره	علم وفوق الســـابقين لـــواء
ينساب عذب القول منك كأنها	ينساب منك النور والايحـــاء
فاذا نطقت فأنت أبلـــغ ناطق	يعنـــو لـــه الـــكتاب والادباء
واذا خطبت ملأت أسماع الورى	أدبا يتيـــه لحســـنه الخطباء
والله خصـــك بالكرامة كلهـــا	وحباك مجدا ما عليـــه علاء
قد سجل القرآن أنك خير من	حملت به بين الورى حـــواء

حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

والحكمة هى وضع الشىء فى موضعه . وزمانه . ومكانه ومناسبته .

وهى فضيلة القوة العقلية تعين الذكاء ان وجد وتعوض ان لم يوجد . وهى بذاتها تجمع لصاحبها العلوم اليقينية ليصدق حكمه على الأشياء وتصح سياسته لقوى النفس فى الفرد والجماعة . وصدق الله العظيم اذ يقول **« ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الألباب »** .

وكان حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حكمة . وفعله حكمة . وسلوكه حكمة . واستطاع بحكمته صلى الله عليه وسلم أن يخلق من العرب امة واحدة سبقت غيرها من مضمار العلم والعمل والتعليم والتعلم .

وقد تناول جميع مجالات الحياة بحكمته . بأحاديث كلها البلاغة والفصاحة .

تناول بأحاديثه العقيدة والايمان بالله والحق ، الخلق . والضعف الانسانى . وأمراض النفس ، العلم والدعوة الى العلم والفقه ، الاقتصاد وقيمة المـــال وكسبه والحقوق الواجبة فى المـــال ، التماسك الاجتماعى والحرية ، العدالة والعدل فى الحكم والقضاء

وبين الزوجات والأولاد ، العمل ، التشريع ، الحكم .والجهاد ، الروابط الأدبية والاخاء والكرامة والوفاء والتعاون وضبط النفس واصلاح ذات البين .

من حكم النبى الغاليات
فى مجال العلم

١ — الفقه فى الدين فرض على كل مسلم الا فتعلموا أو علموا وتفقهوا ولا تموتوا جهالا .

٢ — ما عبد الله بشيء أفضل من فقه فى الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد .

٣ — ولكل شيء عماد . وعماد الدين الفقه .

٤ — لكل شيء فترة فمن كانت فترته الى العلم فقد نجا .

٥ — كونوا علماء صالحين فان لم تكونوا علماء صالحين فجالسوا العلماء واسمعوا علما يدلكم على الهدى ويردكم عن الردى .

٦ — تعلموا العلم قبل أن يرفع ورفعه ذهاب أهله فان أحدكم لا يدرى متى يحتاج اليه أو متى يحتاج الى ما عنده .

٧ — العلماء ورثة الأنبياء. لأن الانبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا وانما ورثوا العلم .

٨ — من ظن أن للعلم غاية فقد بخسه ووضعه فى غير منزلته التى وضعها الله بها ((**وما أوتيتم من العلم الا قليلا**)) .

٩ — ارحموا عالما بين جهال .

١٠ — من ازداد من العلم رشدا ولم يزدد فى الدنيا زهدا لم يزدد من الله الا بعدا .

١١ — مثل الذى يتعلم من صغره كالنقش على الحجر . والذى يتعلم فى كبره كالذى يكتب على الماء .

١٢ ـــ العلم خزائن مفتوحة ومفتاحه السؤال فاسألوا رحمكم الله فانما يؤجر فى العلم ثلاثة القائل . والمستمع . والآخذ .

١٣ ـــ من سئل وأفتى بغير علم فقد ضل واضل .

١٤ ـــ للانبياء على العلماء فضل درجتين وللعلماء على الشهداء فضل درجة .

١٥ ـــ لا تمنعوا العلم اهله فتظلموا . ولا تضعوه فى غير اهله فتأثموا .

١٦ ـــ اهلك امتى رجلان . عالم فاجر . وجاهل متعبد .

١٧ ـــ من كتم علما يحسنه ألجمه الله بلجام من نار .

١٨ ـــ تعلموا العلم وعلموا فان اجر العالم والمتعلم سواء .

١٩ و اضع العلم فى غير أهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ والجوهر والذهب .

٢٠ ـــ انا مدينة العلم « وعلى » بابها فمن اتى العلم فليأت الباب .

* * *

١ ـــ « واذا قلتم فاعدلوا » .

٢ ـــ من سئل فليدلى بالحق . ومن شهد فليشهد بالحق أفرايت الشمس على مثلها فاشهد .

٣ ـــ وان فناء فى الحق لهو عين البقاء .

٤ ـــ « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله . امام عادل . وشاب نشأ فى عبادة الله ... » .

٥ ـــ ثلاثة لا ترد دعوتهم . الصائم حتى يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب . وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين ..

٦ ــ أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا امام عادل وابعدهم منه مجلسا امام جائر .

٧ ــ عدل ساعة أفضل من عبادة ستين سنة قيام ليلها وصيام نهارها وجور ساعة . فى حكم اشد وأعظم عند الله عز وجل من معاصى ستين سنة .

٨ ــ من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب عن حاجتهم احتجب الله دون حاجته .

٩ ــ اذا حكم القاضى فأصاب فله حسنتان واذا أخطأ فله حسنة .

١٠ ــ ان الله مع القاضى اذا لم يزغ قلبه .

١١ ــ ادرأوا الحدود بالشبهات .

١٢ ــ على ان أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر .

١٣ ــ والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

١٤ ــ اذا تقاضى اليك رجلان فلا تقض لأحدهما حتى تسمع الآخر فسوف تدرى كيف تقضى .

١٥ ــ الظلم ظلمات يوم القيامة .

١٦ ــ من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل .

١٧ ــ اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم .

١٨ ــ ان هذا الأمر فى قريش . ما اذا استرحموا رحموا . واذا حكموا عدلوا . واذ اقسموا اقسطوا .

١٩ ــ المستشير معان والمستشار مؤتمن .

٢٠ ــ من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءتـــه وظهرت عدالته . ووجبت اخوته .

البلاغة الجامعة المانعة :

واليك هذا الحديث الجامع الذى امتاز بالفصاحة والبلاغة والحكمة .

انه الرؤيا التى رآها المصطفى صلى الله عليه وسلم فى منامه والتى يرويها عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه فيقول خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى صفة بالمدينة فقال: انى رايت البارحة عجبا .

١ ــ رايت رجلا من أمتى اتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه **بره بوالديه** فرد ملك الموت عنه .

٢ ــ ورايت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين فجاءه **ذكر الله** فطير الشياطين عنه .

٣ ــ ورايت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم .

٤ ــ ورايت رجلا من أمتى يلهث عطشا كلما دنا من حوض منع وطرد فجاءه **صيام شهر** رمضان فأسقاه وأرواه .

٥ ــ ورايت رجلا من أمتى والنبيون جلوس حلقا حلقا كلما دنا منهم طرد فجاءه غسله من الجنابة فأخذه بيده وأجلسه الى جنبى .

٦ ــ ورأيت رجلا من أمتى من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ويساره وفوقه ظلمة وهو متحير فجاءه **الحج والعمرة** فأخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور .

٧ ــ ورايت رجلا من أمتى يتقى وهج النار وشررها . فجاءته **صدقته** فصارت سترا بينه وبين النار وظلا على راسه .

٨ ــ ورايت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين ولا يكلمونه . فجاءته

صلته **لرحمه** فقالت يا معشر المؤمنين أنه وصولا لرحمه . فكلموه وصافحوه .

٩ — ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الزبانية فجاءه **أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر** فاستنقذه من أيديهم وأدخله فى ملائكة الرحمة .

١٠ — ورأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه **حسن خلقه** فأخذ بيده وأدخله على الله عز وجل .

١١ — ورأيت رجلا من أمتى قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه **خوفه من الله عز وجل** فأخذ صحيفته فوضعها فى يمينه .

١٢ — ورأيت رجلا من أمتى قد خف ميزانه . فجاءه **أفراطه** . أى الذين ماتوا قبله من الأولاد . فثقلوا ميزانه .

١٣ — ورأيت رجلا من أمتى قائما على شفير جهنم . فجاءه **رجاؤه فى الله عز وجل** فاستنقذه من ذلك ومضى .

١٤ — ورأيت رجلا من أمتى قد هوى فى النار . فجاءته **دمعته التى بكاها من خشية الله** عز وجل فاستنقذته من ذلك .

١٥ — ورأيت رجلا من أمتى قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة (أى الخوصة) فى يوم ريح عاصف فجاءه **حسن ظنه بالله عز وجل** فسكن .

١٦ — ورأيت رجلا من أمتى يزحف على الصراط يحبو احيانا ويتعلق أحيانا فجاءته صلاته على فأقامته على قدميه وانقذته .

١٧ — ورأيت رجلا من أمتى انتهى الى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته **شهادة الا اله الا الله فغتحت له الأبواب** وأدخلته الجنة .

هذا حديث صحيح قال عنه الحافظ وابو موسى المدينى انه حسن جدا وقال عنه شيخ الاسلام انه من احسن الأحاديث فصاحة وبلاغة وحكمة ...

يرينا بوضوح أنه ما من عمل صالح يتقرب به العبد الى ربه الا وكان سببا كبيرا فى نجاته « **يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون الا من رحم الله** » .

سيدى يا رسول الله . يا علم الجهاد النبيل . ويا رمز الكفاح البطولى الشريف ، فى سبيل ارساء دعائم أرفع الأهداف وتحقيق اسمى الغايات .

ذكراك تملأ الخواطر وتهز المشاعر . على مر الحقب والأزمان.

تملأ النفوس أمنا وايمانا . وسلاما .

وترسى قواعد الحق والخير والعدل فى نفوس البشر .

وأحاديثك . وحكمك مشاعل على الطريق ... تبدد كتائب الظلام . وتملأ القلوب علما ونورا .

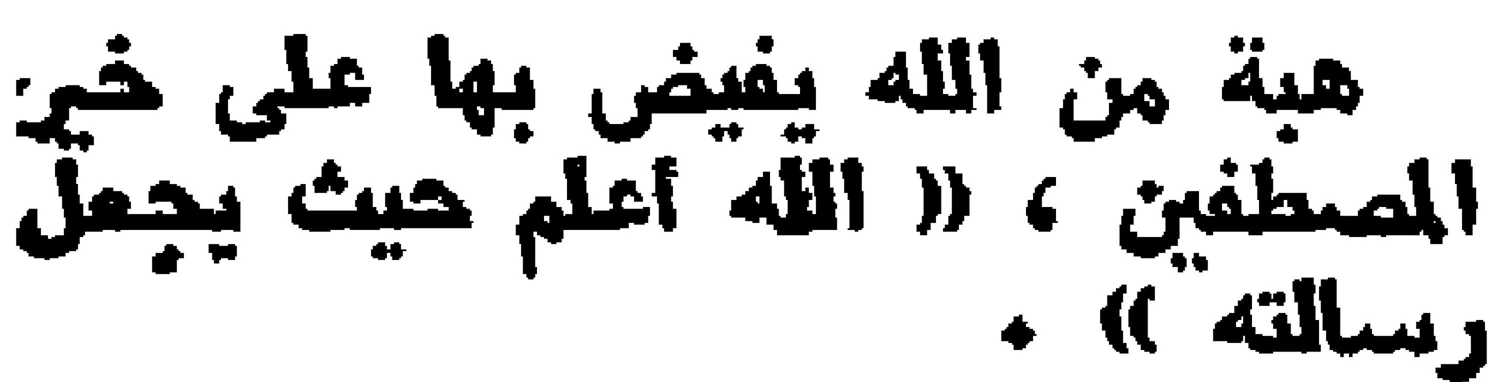
عليك صلوات الله الى يوم الدين .

من أدب النبوة وشمائل الرسالة

للأستاذ عبد المعطى اسماعيل عبارة



ان من أنعم النظر فى سيرة ((محمد)) صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ألفى مثلا رائعة للأدب الفطرى رعته العناية الربانية قبل البعثة وبعدها .



هبة من الله يفيض بها على خير المصطفين ، ((الله أعلم حيث يجعل رسالته)) .

يمتاز بنفس كبيرة ، وآيات فى الذروة من أكرم الخصال ، وأشرف المحامد اللائذة بمحمد ، الناطقة بسلطانه عليها ، فهو رائدها ، وقائدها . ومثلها الأعلى ، تشهد بذلك سيرته الحميدة ، وحياته المجيدة .

۱ — كان ملهما ، راجح العقل ، حقن دماء أهل « مكة » حين اختلفوا على وضع « الحجر الأسود » فى موضعه ، فقد تحاكموا الى

« محمد » العظيم ، فبسط رداءه ، ووضع « الحجر الأسود » فيه ، وامر كل قبيلة أن تأخذ بطرف من الرداء ، ووضع « الحجر » فى موضعه .

وقد حمدت له « مكة » هذا العقل الحكيم ، وعرفوا أن لصاحبه شأنا اى شأن .

٢ — ولقد أجمعوا على الثقة المطلقة به عندما اخبرهم بأمر الرسالة قائلا لهم : « أرايتم لو اخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ » ، قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذبا » .

هذه الاجابة خير برهان رسالة صادقة ، وادب الهى كريم ، « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

ويخاطبه ربه بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » .

فليس فى الوجود انسان رزق العقل والرشاد ، واوتى الحكمة والسداد يبغضه .

٣ — لقد برىء طبعه من « الرياء » ، لا يدعى ما ليس فيه ، ليس بالمتكبر ، ولكنه لم يكن الخانع الذليل .

يخاطب بقوله الحر المبين « اباطرة الروم » و « أكاسرة الفرس » وهو مرتد جلبابه المرقع كما انشأه ربه ، وكما اراد له .

٤ — يضع نفسه فى موضعها اللائق بها ، فلا يقسو حيث تستحب « الرحمة » ، ولا يرحم حيث تفيد « القسوة » ، ولم تخل حروبه المتعددة مع الأعراب من مظاهر « القسوة » ولكنها لم تخل من مشاهد « الرحمة » و « سعة الصدر » ، غير معتذر من الأولى ، ولا فخور بالثانية .

٥ — عرف بمضاء العزم ، فلقد نظر الى المسلمين نظرته النافذة الى قلوبهم وبين لهم ضعف موقفهم حين امتنعوا عن السير الى ساحات القتال فى غزوة « تبوك » ، فلم يسعهم الا الاذعان لرايه .

٦ — يعرف الطريق الى الله ، فالصدق اساسه ، واساس ما جاء به من فضل ومحمدة . والاخلاص الحر العميق أول خواصه ،

لأن الوجود يروعه ، ويهوله ، ويرى الكون مدهشا ، ومخيفا ، فلم تفارقه هذه الحقيقة منقوشة بحروف من « اللهب » ما عاش .

وان نظرته هذه الى الكون لأكبر برهان على صدق رسالته .

والآية الكبرى فى رأيه ذلك العالم : يستدل به على الخالق المبدع، فهو عنده آية الآيات ، ينظر اليـه على أنه سر من أسرار الله .

٧ ـ عطوف ، يود من عرفه ، ويخلص له الود دائبا عليه حياته، فلقد تعلق ـ وهو صبى ـ بعمه يوم سافر ، فلم يتركه ، وبـكى على قبر أمه بكاء الذاكر لها وهو شيخ قارب الستين .

وحنانه على « حليمة » مرضعه ، وحفاوته بها ، واكرامه اياها وقد جاوز الأربعين .

ولم ينس مودة « أم أيمن » حاضنته ، وسره أن تنعم بالحيـاة الزوجيـة .

بسط « عطفه » على الـكبير والصغير ، وعم كل ضعيف حتى الحيوان . وهو القائل : « من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حـق كبيرنا فليس منا » .

وكان « صافى القلب » يرى فى وجهه ما فى قلبه اذا كره ، واذا رضى يقول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله فى « العطف على الحيوان » :

« دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها ، فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض » .

صفات جعلته جديرا بأوفى حب وأكرمه .

فهذا « زيد بن حارثة » الذى خطف من أهله فى صـغره ، ثم لقيه أبوه ، وعرف كل منهما صـاحبه ـ شيقا اليه ـ بعد يأس طال أمده . قد آثر البقاء مع سيده « محمد » على العودة مع أبيه .

ويقول « بلال » ـ وقد أدركه الموت : « واطرباه : غدا ألقى الأحبة (محمدا) وصحبه » .

وكثيرا ما عطف على أعدائه ، فقد أحسن الى من أساء اليـه ، وعفا عن رجل هم بقتله وهو نائم .

وقد عامل « عبد الله بن أبى » راس النفاق معاملة كانت مثـلا للصفح الجميـل ، ولما مات أعطى ابنه قميصـه يكفن به أباه ، وصلى عليه ، ووقف على قبره حتى دفن .وحاول «عمر بن الخطاب» أن يثنى الرسول عن الصلاة عليه ، وذكره بالآية الكريمة : «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، ان تستغفر لهم سـبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، فقال الرسول : « لو أعلم أنى لو زدت على السبعين غفر له زدت » .

٨ ــ « وكان أشجع الناس » :

فعن « أنس بن مالك » : قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحسن » النـاس ، وكان « أجود » الناس ، وكان « أشجع » الناس ، ولقد فزع أهـل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليـه وسلم راجعا ــ وقد سبقهم الى الصوت ــ وهو على فرس لأبى طلحة ، فى عنقه السيف ، وهو يقول : « لم تراعوا ، لم تراعوا » .

٩ ــ وأجودهم :

فعن « ابن عباس » قال : « كان رسول الله صلى الله عليـه وسلم « أجود » الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون فى شـهر رمضان ، أن « جبريـل » عليه السلام كان يلقـاه فى كل سنة فى « رمضان » حتى ينسلخ ، ويعرض عليه صلى الله عليـه وسلم « القرآن » ، فاذا لقيه « جبريل » كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة .

١٠ ــ وأحسنهم خلقا :

فعن أنس بن مالك قال : « كان رسـول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعنه ــ رضى الله عنه ــ قال : « لمـا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة » اخذ « ابو طلحة » بيدى ، فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، فقال : يا رسول الله ، ان « انسا » غلام كيس فليخدمك ، قال : «فخدمته

فى السفر والحضر ، والله ما قال لى لشىء صنعته : « لم صنعت هذا هكذا ؟ ولا لشىء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا ؟ » .

١١ — وأسخاهم :

فعن « موسى بن أنس » عن أبيه قال : ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا الا أعطاه ، قال : « فجاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين ، فرجع الى قومه فقال :« يا قوم أسلموا ،فان «محمدا» صلى الله عليه وسلم يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة » .

١٢ — واكثرهم حيــاء :

فعن « أبى سعيد الخدرى » قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من « العذراء » فى خدرها ، وكان اذا كره شيئا عرفناه فى وجهه » .

١٣ — وما وقع اختياره من المباح الا على أسهله وايسره :

فعن « عائشة » زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنهــا قالت : « ما خير رسول الله صلى الله عليــه وسلم بين أمرين الا اخــذ أيسرهما ، ما لم يكن « اثما » ، فاذا كان « اثما » كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله عز وجل » .

١٤ — واشد الناس تواضعا :

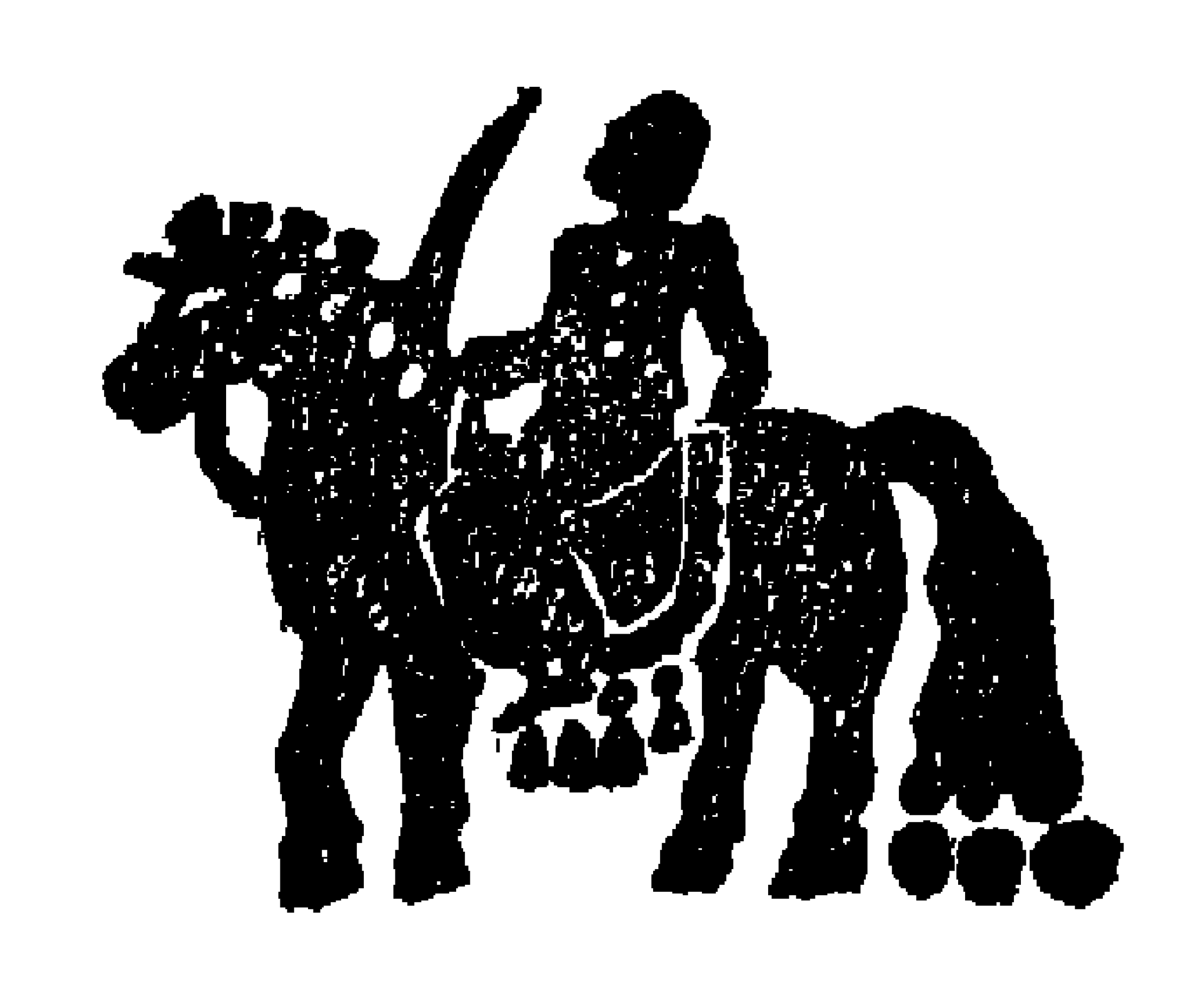
فعن « أنس » ، رضى الله عنه أن امرأة كان فى عقلها شىء ، فقالت : « يا رسول الله ، ان لى اليك حاجة » ، فقال : « يا أم فلان ، انظرى اى السكك شئت حتى أقضى لك حاجتك » ، فخــلا معها فى بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها » .

١٥ — وأعلم الناس بالله وأشدهم له خشية :

فعن « عائشة » قالت : « صنع رسول الله صلى الله عليــه وسلم أمرا ، فترخص فيه ، فبلغ ذلك ناسا من أصحابه ، فكأنهم كرهوه ، وتنزهوا عنه ، فبلغه ذلك ، فقام خطيبا ، فقال : « ما بال رجال بلغهم عنى أمر ترخصت فيه ، فكرهوه ، وتنزهوا عنــه ، فوالله لانا أعلمهم بالله ، وأشدهم له خشية » .

مرحلة الانطلاق بالدعوة

الأستاذ عبد المنعم حمادة



تفرغ النبى الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — بعد ان استقر به المقام فى يثرب ، لتنظيم امر المسلمين ، ووضع الخطة الكفيلة بانتشار دعوته وغرسها فى القلوب ، وقد شغله وملك عليه كل تفكيره اعداد نفسه واعداد اتباعه للحياة الجديدة .. لقد اهمته بعض المسائل العامة التى كان عليه ان يواجهها ، ولكنها لم تكن مسائل كثيرة العــدد ، وان كانت فى الوقت نفسه على جانب كبير من الاهمية .. ويمكن ان نحصر فيما يأتى المسائل التى شغله بحثها ، والتى شاور فيها قادة الرأى ، واصحاب الفكر الثاقب من الذين لبوا نداءه وباعوا جاه الدنيا وعروضها الزائلة فى سـبيل الحق تبارك وتعالى وحسن ثواب الآخرة .

أما المسألة الاولى فهى : التفكير فى الطريقة السليمة الصحيحة التى يمكن أن يسير عليها فى التبليغ عن ربه ، وفى نشر الدعوة الى عبادة الله وحده ، والايمان بما شرعه للناس ، ثم القيام على الوجه الاكمل بما كلف به للناس جميعا دون تفرقة بين ابيضهم واسودهم ، بين غنيهم وفقيرهم ، بين عالمهم وجاهلهم ، بين قويهم وضعيفهم .. فهم كلهم لآدم وآدم من تراب ، والدين الذى جاء به قد ارتضاه سبحانه وتعالى للناس كافة بدليل قوله عز من قائل فى سورة الشورى ، الآية ٧ : ((**وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه**)) .. وقوله فى سورة الاعراف ، الآية : ((**قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا اله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون**)) .

ان المهمة الاولى له — صلوات الله عليه وسلامه — هى نشر الدعوة الى العقيدة الجديدة التى صدمت العرب باشد ماعرفوا من الصدمات اما تلك العقيدة التى اعتبروها من اخطر ما تعرضوا له ، فهى عقيدة التوحيد والايمان باله واحد لاشريك له ، له مافى السماوات وما فى الارض ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، هى العقيدة التى يقوم على اساسها الاسلام والتى يجب أن يقوم الرسول — اول ما يقوم — بالدعوة لها ، وجمع القلوب حولها، وتقريبها الى افهام الناس على اختلاف طبقاتهم والوانهم .

لقد استمر رسول الله يدعو لهذه العقيدة سرا خوفا من أذى قريش وبطشهم ، ولذلك كان انتشارها فى أول الأمر بطيئا ، يمشى متعثرا ، ويزداد الراغبون فيها فى حذر وعلى استحياء ، وكان رسول الله يخشى أن تصطدم قريش بالمؤمنين فاعد دار الارقم ابن ابى الارقم ، وهو من سادة قريش السابقين الى الاسلام ، مكانا يجتمع فيه باصحابه ليفقههم فى أمور الدين ، وليعلمهم اصول الرسالة ، وليحفظهم ما يتنزل عليه من آيات الذكر الحكيم ، فلما أمر بعد ثلاث سنوات من الرسالة بان ينذر عشيرته الاقربين ، وانزل عليه فى ذلك قوله سبحانه وتعالى فى سورة الشعراء الآيات، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ :

« وانذر عشيرتك الاقربين : واخفض جناحك لمن اتبعـك من المؤمنين . فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون » .. لما تنزلت عليه هذه الآيات بالدعوة صريحة الى الدين الخالد بدأ يعلن أهل بيته وعشيرته ويغريهم بالدخول فى دينه ، والاستجابة لما كلف به ، غير ان بعض هذه العشيرة وكثير من الاقربين عادوه وتحزبوا ضده، وكان على رأسهم عمه ابو لهب وامراته حمالة الحطب اللذين اندفعا فى عداوته الى غير حد .. فلما امر بان يصدع بالامر ويعرض عن الجاهلين ، لم يبال بقريش ، وجابه الملأ يعلن من فوق الصفا باعلى صوته : ان الله امره بان ينذر عشيرته الاقربين ، وانه لا يملك لهم من الدنيا منفعة ولا من الاخرة نصيبا الا ان يقولوا لا اله الا الله، لينقذوا انفسهم من النار ، فانه لا يغنى عنهم من الله شيئا .

❋ ❋ ❋

واغلظت له قريش فى الرد عندما دعاهم ليعلـن لهم تكليفـه بالرسالة ، وان الله امره بان يدعوهم الى عبادته وحده دون شريك، والى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والمؤاخاة بين الناس ، ونشر العدل والمحبة .. اغلظوا له القول وجادلوه ، ووقفوا له بالمرصاد يحاولون صده عما هو ماض فيه .. حاربوه بشـتى الطرق والوسائل ليعجزوه عن السير قدما الى غايته ، وما علموا أن الله آخذ بناصره ، منجز وعده ، ولذلك انقذه سبحانه وتعالى بالهجرة الى المدينة ، ليحفظ عليه دينه ، ولينطلق به الى دنيا ارحب واوسع .

لقد آن الاوان لمحمد ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ وقد كتب له المولى عز وجل السلامة فى عقيدته ، وفى نفسه ، وفى اصحابه، بتلك الهجرة وبذلك الترحاب الذى قوبل به فى الموطن الجديد ، وذلك الفرح الذى غمر قلوب الأنصار الذين انتظروا قدومه اليهم بشوق ولهفه .. آن الآوان لمحمد ليبدأ مرحلة جديدة من مراحل الدعوة ، وصفحة ناصعة البياض خالدة من صفحات الانطلاق للجهاد والنضال فى سبيل العقيـدة واقرار الدين .. وكأنما كانت الهجرة موعدا للانطلاق بالدعوة المحمدية الى الانتشار فى جميع الآفاق ، والتمكين فى القلوب ، وايمان النفوس بها ايمانا لا حد له ..

لقد اصبح هذا الامر يشغل بال النبى ، وبات يحس ان لا راحة له ولا هدوء حتى يحقق ما امر به وكلف بأدائه ، والا فانه لم يفعل شيئا ، تحقيقا لقوله تعالى فى سورة المائدة : « يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لايهدى القوم الكافرين » .. والنبى حريص أشد الحرص على أن يصدع بالأمر ، وأن يبلغ الرسالة ، فما كانت ثروة يثرب ، وما كان جاهها اول ما يعنى محمدا وان كان بعض مايعنيه ، وانما كان همه الاول والاخر هذه الرسالة التى عهد الله اليه فى تبليغها والدعوة اليها والا نذار بها .. ولذلك سلك فى سبيل هذه الغاية عدة مسالك ، وقام بعدد من الخطوات التى رأى فى القيام بها ما يقربه من غايته ويحقق أمله .

وربما كانت اول خطوة من الخطوات التى لجأ اليها النبى للوصول الى ما يطمع فيه من نشر الدعوة واتمام نجاح مهمته ، هى بناء مسجده الذى اراد ان يجعل منه المكان الذى يلتقى فيه باصحابه ليصلى بهم فيؤدون بذلك واجب الشكر للمولى عز وجل ، والطاعة للواحد القهار ، الذى خلق السماوات والارض وسخر ما بينهما لعبادته وحده .. لقد اراد الرسول أن يجعل من المسجد مكانا طهورا يجتمع فيه المسلمون لاداء الصلاة واعلان الطاعة والشكر لمن بيده الامر كله ، والى جانب ذلك اراد أن يتخذ منه مكانا يلتقى فيه باحبابه الملبين لندائه ، المؤمنين برسالته ، الذاكرين ربهم ، ليخطبهم ، ويلقى اليهم توجيهاته وتعليماته التى فيها صلاح شئونهم ، وكذلك ليجعل منه المدرسة التى يعلمهم فيها اصول دينهم ، ويلقنهم فيها العمل بهذه الاصول .

وليس من شك فى أن الذين كانوا يجتمعون برسول الله ، ويحضرون الصلاة معه ، ويلتقون فى الجلسات التى يعقدها المعلم الأول ، والرسول الأمين ، ويتحلقون فيها حوله ، سواء كانوا من المهاجرين الذين باعوا الدنيا ليفوزوا بالآخرة ، أو من الأنصار الذين رحبوا بهجرته ، وآثروا الوقوف الى جانبه ، وتحدوا الظلم والقسوة والطغيان معه فى سبيل العقيدة السليمة .. ليس من شك فى أن هؤلاء جميعا كانوا يجتمعون برسول الله ، ويستمعون الى خطبه ودروسه ونفوسهم مشدودة الى هذه الاجتماعات ، وقلوبهم مفتحة

الى هذه الخطب والدروس ، وقد جاءوا بدافع من حبهم لها ، وبدافع من تطلعهم الى الهداية والرشاد ، لم تدفعهم الى ذلك قوة ، ولم تغرهم وسيلة من وسائل الاغراء الكثيرة .. ليس من شك بعد هذا كله ، ان هؤلاء الذين حضروا على رسول الله دروسه ، واستمعوا الى عظاته كانوا حريصين على أن ينشروا ما يسمعون وما يستوعبون ، يتحدثون به الى كل من يتوسمون فيه الخير ..

وليس من شك فى ان ذلك كان يساعد على أن ينتشر الاسلام ، وعلى أن تتسع دائرة المسلمين ..

وليس من شك بعد ذلك فى ان هذا العمل كان مما يساعد الرسول على أن يخطو خطوات عملية على الطريق نحو تحقيق الهدف .

* * *

ثم كانت هناك خطوة اخرى لجأ اليها الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — فى سبيل القيام بواجبه قياما يحقق له ما يريد من انتشار الدعوة ، أما هذه الخطوة فقد كانت العزم على أن يبعث برسله الى ملوك وأمراء البلاد التى تجاوره ، والممالك المعروفة له فى ذلك الوقت ، ولم يتردد محمد فى دعوة هؤلاء الملوك والأمراء الى الدين الحق .. يقول الدكتور حسين هيكل فى كتابه حياة محمد ، صفحة ٣٧١ :

لكن محمدا لم يتردد فى دعوة هؤلاء الملوك جميعا الى دين الحق ، فقد خرج يوما على أصحابه فقال : « أيها الناس ان الله قد بعثنى رحمة للناس كافة ، فلا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ، قال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله ؟ قال : دعاهم الى الذى دعوتكم اليه ، فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم ، وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل »، ثم ذكر انه مرسل الى هرقل وكسرى والمقوقس والحارث الغسانى ملك الحيرة ، والحارث الحميرى ملك اليمن ، والى نجاشى الحبشة يدعوهم الى الاسلام ، وأجابه أصحابه الى ما اراد ، وصنعوا له خاتما من فضة نقش عليه « محمد رسول الله » ، وبعث لهؤلاء الملوك

والأمراء الرسل يحمل كل منهم رسالة الى ملك أو أمير .. يقول في رسالته الى هرقل مانتقله مثلا لغيره من الرسائل : « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى ، اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام ، اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين ، فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين : اى العبيد والحشم « يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله.فان تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون» . .ومما يلفت النظر ويثير الدهشة أن البلاد التى بعث محمد رسله اليها لم يمض عليها أكثر من ثلاثين عاما حتى فتح المسلمون اغلبها ، ودان معظم أهلها بالاســـلام ..

* * *

هذه بعض الخطوات التى ترسمها الرسول الكريم وسار عليها فى تبليغ رسالته .. تلك الرسالة التى احتوت الجن والانس ، الأبيض والأسود ، الذكر والأنثى ، وجميع المخلوقات التى فى السموات والأرض : « وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » وبذلك اطمأن ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ الى أنه ماض فى تبليغ الرسالة ، عامل على اتساع رقعة العاملين بها ، المقبلين عليها ، **أما المسالة الهامة ، والتى تأتى فى المرتبة الثانية من المسائل الكبيرة التى شغلت تفكيره واستحوزت على حيز من اهتمامه ـــ صلوات الله وسلامه عليه ـــ بعد وصوله الى المدينة مباشرة ، فهى اقامة المجتمع الاسلامى وبناؤه على أسس وقواعد ثابتة لا تهزهـــا العواصف والأعاصير ، ولا تنال منها معاول الهدم وأيدى الطغاة الجبارين ..**

ولتحقيق قيام هذا المجتمع المترابط المتماسك اتبع الرســـول الكريم عدة خطوات راح يعدلها ويخطط لها بدقة ، وصبر ، وأناة تدل على حكمته ، وحسن تقديره ، وعظيم تفوقه فى التفكير والاهتداء الى الخطط السليمة .. فقد ترك الرسول الكريم فى مكة مجتمعا تسوده روابط القبيلة التى تقوم بين بطونها المعارك والحروب لأوهى الأسباب ، مجتمعا ترتسم فوقه شعارات الفوضى والفساد

والتقرب الى الأصنام واتخاذها من دون الله أربابا ، مجتمعا تمتلىء قلوب أهله بالحقد والضغينة ، مجتمعا ممزقا قد باعد بين افراده وافسد نفوسهم نظام الطبقات المتنافرة ، وزعزع كيانهم ما عرفوا به من تعصب للاهل والعشيرة تعصبا كان شعاره : أنصر أخاك ظالما أو مظلوما ، مجتمعا مفكك الأوصال بدليل أن الغرباء والدخلاء الذين كانوا يفدون على مكة ، لم تكن تشدهم اليها الى جانب العبادة فى البيت الحرام وتقديم القرابين للآلهة ، غير حاجتهم الملحة الى التحالف مع بعض سادة قريش حتى تطيب لهم الاقامة ، وحتى يطمأنون الى الحماية ..

يقول الأستاذ أمين دويدار فى كتابه صور من حياة الرسول صفحة ١٣٢ :

« كان المجتمع المكى ثلاث طبقات متميزة ، يختلف بعضها عن بعض فى المكانة والمنزلة ، ويختلف تبعا لذلك ما تتركه كل طبقة منها من أثر فى ذلك المجتمع : طبقة السادة من الأغنياء والزعماء ، وطبقة الرقيق من العبيد والاماء ومن فى حكمهم من الدهماء والعامة ، وطبقة الأحلاف من العرب وغير العرب ممن كانوا يعيشون فى مكة وليسوا من اهلها ، ولكن تربطهم بالسادة من أغنيائها وزعمائها روابط الحلف والجوار ، وذلك أن العرب كان فى طبيعتهم نزعة التعصب للجار والحليف وحمايته من كل ما يسوء ، كما يتعصبون فى ذلك لأهلهم وعشيرتهم ، فكان الغرباء والدخلاء — ممن يفدون على مكة من العرب والعجم ويريدون أن يقيموا بها — يتحلفون مع سادتها على أن يعيشوا فى حمايتهم ، فيأمن الحليف بذلك من كل اعتداء عليه ، ويصبح كواحد من أسرة السيد الذى حالفه ، يحارب من حاربهم ويسالم من سالمهم ، وله فيما عدا ذلك ان يكون حرا فى شئونه الخاصة ، وأن يتخذ من أسباب الرزق ما يكفل له ولأهله العيش السعيد » .

ترك محمد مكة بما يسودها من فساد وفوضى ، وما يعشش فى عقول افرادها من ضلال العقيدة وزيفها .. ترك محمد مكة التى تحجرت قلوب أهلها الى المدينة التى حبتها الطبيعة بأكثر مما حابت أختها مكة ، فقد هيأت أرضها للزراعة وجعلتها من أكثر بلاد الانتاج

الزراعى فى الحجاز ، وخاصة انتاج النخيل ، كما جعلتها على طريق القوافل التى تربط بلاد اليمن بالشام ، فكانت بذلك محطة عظيمة للتجار يجدون فيها ما يحتاجون اليه من راحة ومؤنة .. كان هناك أوجه كثيرة للاختلاف بين المجتمع المكى والمجتمع المدنى .. وكان على الرسول الكريم — وقد عزم على الاقامة فى المدينة ، وعلى اتخاذها مقرا لدعوته أن يبدأ فى تنظيم الحياة المستقرة له — صلوات الله وسلامه عليه — ولاتباعه الذين آثروه فزاملوه فى هجرته .. وكان عليه أن يفكر فى وضع الأسس التى تقوم عليها هذه الحياة ، والتى يضمن بها للمجتمع الذى يقيمه اضطراد النمو والتقدم .

وكان أول ما فعله الرسول لقيام هذا المجتمع المتماسك الذى كان يعمل جاهدا على أن يزيل من طريقه جميع المعوقات ليسير فى ثبات وعزم .. **كان أول ما فعله — صلوات الله وسلامه عليه — هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وتأليف قلوبهم على الخير والطاعة ، وتوحيد صفوفهم ليزدادوا تماسكا وقوة .. وكان مجرد اتجاه الرسول الكريم هذه الوجهة فى تنظيم صفوف المسلمين واتحاد كلمتهم بأخـوة تجرى مجرى الدم .. كان مجرد هـذا التفكير برهانا ساطعا على عبقريته ، وعلى بعد نظره ، وكان من وراء هذا الاتجاه دليل قوى على سمو تفكيره ، وعمق نظرته فى الأمور التى تعرض له** .. يقول الدكتور حسنين هيكل فى كتابه حياة محمد ، صفحة ٢١٨ :

« هنا يبدأ طور جديد من أطوار حياة محمد لم يسبقه اليه أحد من الأنبياء والرسل ، هنا يبدأ الطور السياسى الذى أبدى محمد فيه من المهارة والمقدرة والحنكة ما يجعل الانسان يقف دهشا ثم يطأطىء الرأس اجلالا واكبارا .. كان أكبر همه أن يصل يثرب ، موطنه الجديد ، الى وحدة سياسية ونظامية لم تكن معروفة من قبل فى سائر أنحاء الحجاز ، وأن كانت قد عرفت الى ما قبل ذلك بكثير ببلاد اليمن ، فتشاور هو ووزيراه أبو بكر وعمر ، فكذلك كان يسميهما ، وقد كان ما انصرف اليه تفكيره بطبيعة الحال تنظيم صفوف المسلمين ، وتوكيد وحدتهم ، للقضاء على كل شبهة فى

أن تثور العداوة القديمة بينهم ، ولتحقيق هذه الغاية دعا المسلمين ليتآخوا فى الله أخوين أخوين ..

« وتآخى كذلك كل واحد من المهاجرين الذين كثر عددهم بيثرب، بعد أن تلاحق اليها سائر من كان منهم بمكة فى أعقاب هجرة الرسول اياها ، مع واحد من الأنصار اخاء جعل له الرسول حكم اخاء الدم والنسب ، وبهذه المؤاخاة ازدادت وحدة المسلمين توكيدا » .

وكانت الخطوة الثانية لاقامة المجتمع الجديد فى المدينة ، هى توفير الأمن والهدوء والاستقرار ، ليتفرغ المسلمون لاستكمال مقومات هذا المجتمع من الناحية الثقافية باعتبار أن العلم من المسائل التى عنى بها الاسلام بدليل نزول أول آية من القرآن العظيم داعية الى القراءة والعلم فى قوله عزوجل فى بداية سورة العلق : ((اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم. الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم)) .

ومن الناحية الاقتصادية باعتبار أن الاقتصاد عصب الحياة ، وعلى أساس أن المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ، وتركوا وراءهم كل ما يملكون ، كانوا فى حاجة الى تنظيم حياتهم المعيشية والمادية ، وفى حاجة الى شىء من الانتعاش المادى يعوضهم بعض ما فقدوه فى مكة ، ومن الناحية الاجتماعية التى تظهر المهاجرين والأنصار فى مظهر الجماعة المتعاونة المتكافلة المتضامنة ، وفى مظهر المجتمع الذى قضى فيه على روح الفردية ، وتغلبت فيه روح الجماعة ، وسمت فيه المحبة على البغضاء والتنافس ، وكذلك قرب بين المسلم واليهودى والنصرانى ، بأن كفل لهم جميعا حرية العقيدة ، وحرية الرأى ، وحرية الدعوة ، فالحرية وحدها هى الكفيلة بانتصار الحق، وبتقدم العالم نحو الكمال .

وقد توصل محمد الى وضع نظام سياسى محكم بالاتفاق مع اليهود على أساس متين من الحرية والتحالف ، كما انه ربط بينه وبينهم برابطة المودة باعتبار انهم أهل كتاب موحدين . ولقد كان هذا الاتفاق من جانبه — عليه الصلاة والسلام — مع علمه بطبيعة اليهود وغدرهم ، أكبر دليل على انه سياسى محنك ، وقائد أمة

عظيم ، وربان سفينة ماهر ، وكذلك سار الرسول الكريم فى الناس وبين القبائل سيرة شعارها التواضع ، والعطف الجميل ، والوفاء الحسن ، والبر بالفقير والبائس والمحروم .. وقد أورثه كل ذلك من قوة السلطان على أهل يثرب ما جعل الأمر يصل بينه وبين اليهود الى عقد معاهدة صداقة وتحالف وتقرير لحرية الاعتقاد .. معاهدة ، هى فى اعتقادنا ــ كما يقول الدكتور هيكل ــ من الوثائق السياسية الجديرة بالاعجاب على ممر التاريخ .

* * *

وأما المرحلة الثالثة من مراحل تفكير الرسول ــ صلوت الله وسلامه عليه ــ **القيام بأعباء الرسالة وانطلاقها الى عالم النور ،** والقوة ، مع ضمان العمل على تدعيمها وحمايتها من الأعــداء المتربصين ، فهى التفكير فى أمر قريش التى تناصبه العداء ، والتى ترصد كل حركاته وسكناته لتجد الثغرة التى تهاجمه منها ، والتفكير فى أمر المنافقين الذين يظهرون غير ما يبطنون ، ويحيكون المؤامرات فى الخفاء ، وكذلك التفكير فى أمر اليهود أهل النفاق ونقض العهود، والذين تشتعل قلوبهم بالضغينة والحقد .

ان الرسول يريد أن يؤمن الدعوة التى هاجر من أجلهــا وفى سبيلها ، ويريد أن يحافظ على عقيدته وعقيدة أتباعه من اعتداءات قريش وحلفائها الذين لن يستريح لهم بال حتى يوقفوا تيار هذه الدعوة الذى يأخذ فى الازدياد يوما بعد يوم ، ويحولوا بينه وبين الوصول الى المريدين ، والذين لن تنطفىء نار العداوة والحقد فى قلوبهم حتى ينتهى أمر محمد فتخلص لهم أمور عبادتهم ، وتعود لهم هيبتهم ..

وكان عليه أن يؤدب المنافقين حتى لا يتمادوا فى غشهم وخداعهم، وكان عليه أن يصد تيار العداء الذى يخطط له اليهود ويحاولون أن يثيروا به العرب جميعا حتى يجد محمد نفسه أمام كتلة هائلة لا يستطيع الوقوف فى وجهها والتصدى لها .

وكان أول ما فعله النبى الكريم فى شأن هذه الحماية التى ارادها

لدعوته ، ولنفسه ، وللؤمنين من حوله هذه السرايا التى بعث بها الى كثير من الجهات ، تلك السرايا التى لم يقصد بها النبى ، فى أول الأمر ، الى حرب قريش أو غزو قوافلها ، فلم يكن تعداد أفراد السرية يزيد ، فى أغلب المرات ، على عشرات قليلة ، بل ان بعضها كان عدد أفراده يقل عن عشرة ، بينما كان الموكلين بحماية قوافل قريش أضعاف هذه الأعداد ، الى جانب ما كان يحملونه من عدة وسلاح ، فى الوقت الذى كان المسلمون يفتقرون فيه الى هــذه العدة وهذا السلاح .

وادرك محمد أن قريشا لم تكن هى وحدها العدو ، وان كانت أول من ناوأوا المسلمين بالعداوة ، فقد كان هناك اليهود من أهل المدينة ، وكان هناك المنافقون من أهل هذه المدينة وما حولها ، وكان هناك المنافقون من العرب جميعا ، وكان هؤلاء جميعا يعادونها لأسباب كثيرة منها : الحرص على المكانة ، ومنها العصبية ، ومنها الوقوع تحت التأثير والتحريض ، ومنها الحسد والبغى ، ومنها التزييف وتشويه أصول الرسالة دون الوقوف على حقيقتها .. **لهذا كله كان محمد يفكر فى أمر القوة التى يحمى بها هذه الدعوة ، والتى ينصر بها أتباعه الذين أخرجوا من بلادهم بغير حق ، والذين أجبروا على التخلى عن ديارهم وما يملكونه ظلما وعدوانا ، كان النبى يفكر فى كيفية الثأر لأولئك المهاجرين الذين باعوا زخرف الدنيا والجاه والغنى فى سبيل مرضاة الله ورفع راية الاسلام ، واعلاء كلمة الحق تبارك وتعالى ..**

ولـــا لم يكن الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد أمر بالقتال بعد وأذن له بذلك فقد لجأ أول ما نزل بالمدينة ، الى التقرب لليهود من سكانها ومن سكان ما حولها ، ومصابرتهم ، والتودد لهم ، والتغاضى عن كثير من سيئاتهم وتأمينهم على حريتهم ، ودينهم ، ودمائهم ، وأموالهم ، كما قلنا من قبل ، وكان يجادلهم باللين والحسنى ، وكان يخاطبهم ــ كما جاء فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ((**يا أهل الكتا بتعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله**)) . . ويعاتبهم فى هوادة أيضا قائلا : ((**يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شـــهيد على ما تعملون**)) . فعل الرسول الكريم

كل هذا واكثر منه مع اليهود لشيء واحد هو ان يأمن شرهم ، ويوقف تحديهم له ، والانضمام الى المشركين .. ولكن متى كان لهذه الفئة الضالة المضللة التي تنكرت لوحدانية الله وقدسيته ، وعادت الأنبياء المرسلين ، وتهكمت على الاسلام ورسوله ، متى كان لهذه الفئة التى حقت عليها اللعنة ان ترعوى وتعود الى الحق ، ويستقيم تفكيرها مع المنطق السليم .. لقد ازدادت نيران الحقد غليانا فى قلوب اليهود ، وازداد تهجمهم على الرسالة والرسول ، مما جعل الرسول يفكر بعمق فى أمرهم .. **وكان الله أرحم وأشفق على نبيه من نفسه فلم يدعه طويلا فى تفكيره العميق ، ولم يتركه لقلقه وحيرته ، ولكنه جل جلاله اذن له بالقتال والجهاد لا حبا فى الدنيا ، أو طمعا فى جاه ، أو رغبة فى سيادة ، ولكنه جلت قدرته شرعه للحيلولة دون الظلم ، ولدفع الأذى والعدوان ، والله سبحانه وتعالى يقول : ((وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين))** .. وفى قوله : **((واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم))** . وقوله : **((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله))** .

لهذا كله اتجه رسول الله الى وسيلة اخرى للتمكين لرسالته ، فقد سير الجيوش وقام بغزواته التى بلغت ٢٧ غزوة بخلاف السرايا التى بعث بها شمالا وجنوبا ، وشرقا وغربا ، خلال عشر سنوات قضاها فى المدينة ، قاتل فيها اعداءه ، وجاهد فى سبيل دعوته قتالا وجهادا هانت فى سبيله أموال المسلمين وأرواحهم وكل ما يملكون ، قتالا وجهادا كان يستقبله المسلمون بنفوس راضية مطمئنة ، بل وكانوا يستعجلون خلاله الشهادة ليفوزوا بما وعدهم به ربهم من نعيم الدنيا والآخرة تحقيقا لقوله فى سورة آل عمران الايات ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ : **((ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله منفضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين))** .

لقد خاض المسلمون غمار معارك ضارية فى غزوات متعددة بذلوا خلالها دماءهم ، وباعوا أرواحهم فى سبيل العقيدة وحمايتها من الأعداء ، وفى سبيل اعلاء شأن الاسلام والاحتفاظ به حيا يشع نوره

فى الصدور ، وفى سبيل رفع الراية الاسلامية عالية خفاقة ترفرف فى كل مكان ، ومن أجل تنقية الحياة نفسها من الفساد والظلم ، ونشر العدل والاخاء ..

بهذه الخطوات التى رسم لها الرسول وخطط منذ وصوله الى المدينة ، وبهذه السياسة الحكيمة التى فكر فيها الرسول ، ثم وضعها موضع التنفيذ ، وضع عليه الصلاة والسلام أســاس الانطلاق بالدعوة المحمدية الى الآفاق الرحبة الفسيحة ، ووضع الخطة العملية للسير بها قدما نحو الانطلاقة الواسعة لتعم جميع الممالك والأمصار فى الشرق والغرب فى سنوات قصيرة لم تنهض فى مثلها ولا فى مدة تفوقها أضعافا ، رسالة من الرسالات السماوية أو دعوة من الدعوات التى نادى بها البشر ، وهو أمر يضع الرسول الكريم — صلوات الله وسلامه عليه — على رأس قائمة العظماء والساسة الذين وضعوا على طريق البشرية مصابيح ساطعة تهدى الى سبل الرشاد ، وان كانت عظمة الرسول وحكمته البالغة لا تقاس بها عظمة من سواه وحكمته مهما بلغت من العلو والمكانة ، فكل عظمة وحكمة تقصر دون عظمة الرسول وحكمته .

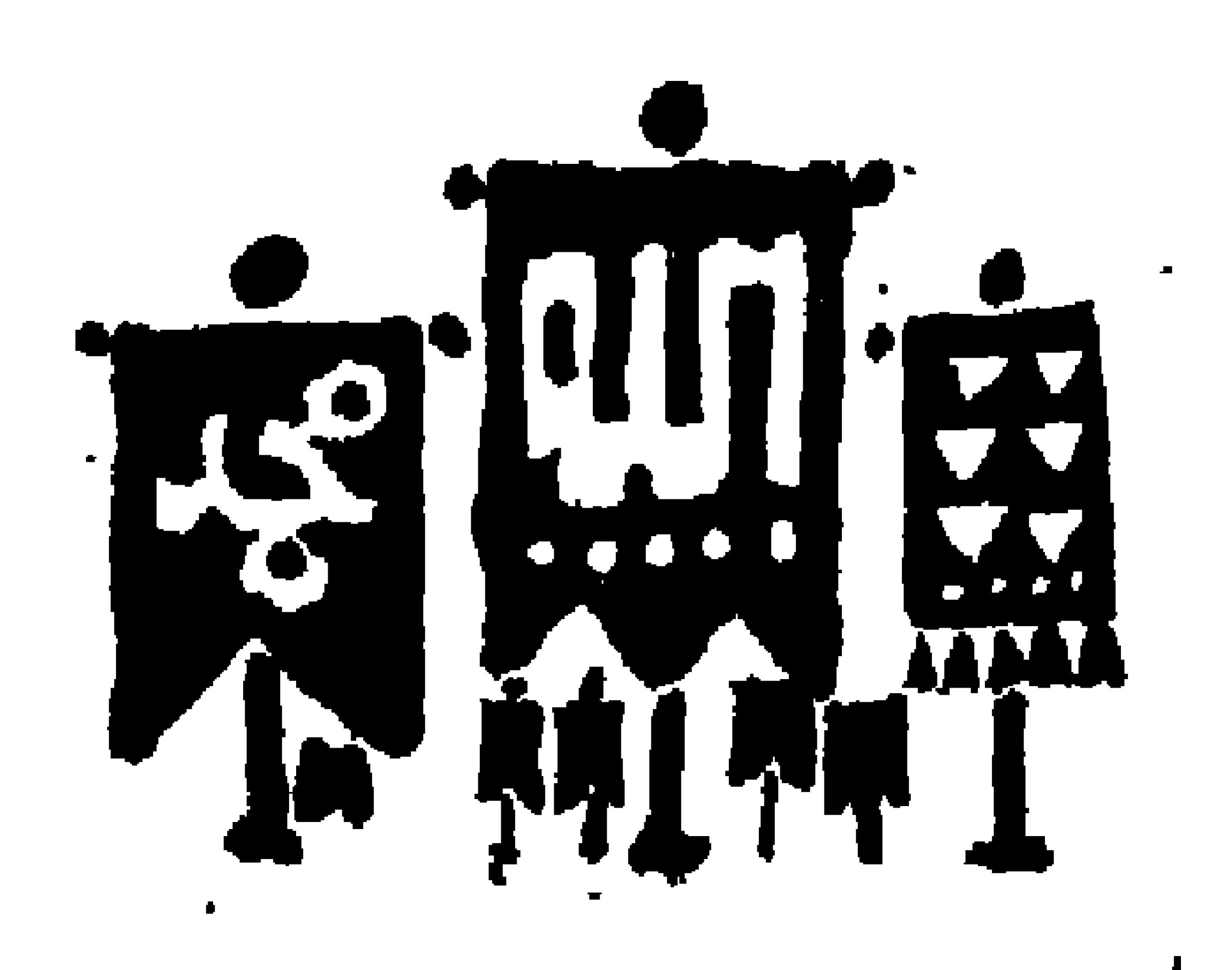
فبهذه السياسة التى وضعها الرسول ، وهذه الحكمة التى قاد بها أمة الاسلام ، وربى المسلمين عليها ، وضع — عليه الصلاة والسلام — قواعد انطلاق الدعوة الى كل الآفاق ، ووضع أسس المجتمع الاسلامى الذى قام قويا عزيزا منذ أربعة عشر قرنا .. وسوف يستمر قويا عزيزا مهيب الجانب الى ما شاء الله .

والله الموفق الى ما فيه الخير ..

مولد الهدى

الأستاذ أحمد وافى

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ربيع الأول ، ولم يكن قد مضى شهران على حادث الفيل الذى ارخوا بـه عام الميلاد الشريف ، وموجز خبر الفيل هذا ، ان ابرهة صاحب اليمن كان قد اقام فى صنعاء بيتا للعبادة ، ورأى ان يحول اليه الحج ، تعظيما له ولبلده ، ولكى يحقق هدفه هذا ، جهز جيشا موفور العدد والعدة ، جعل طليعته ((فيلا)) ضخما لا عهد للعرب بمثله وقاد بنفسه هذا الجيش ، وانطلق به الى مكة يريد هدم الكعبة وتخريب البيت الحرام ، ولم يستطع العرب صده فبلغ مكة فى شهر المحرم ، وركبت اهلها الفزع والخوف ، فعاذوا بالهضاب والجبال،ووقف عبدالمطلب



ابن هاشم جدّ رسول الله على باب الكعبة ــ وهو رئيس قريش وسيدها ــ يناجي ربه ويدعوه أن يمنع بيته ويحميه ، ففوجئوا بعد قليل ، بالأمر العجيب ، الذى لم يخطر لأحد منهم على بال ، وماكانوا يتخيلون وقوعه على أى حال ، ذلك أن الجيش الكبير ــ وكانوا منه بمرصد ــ قد اصطف متأهبا بكامل معدات القتال وآلات التدمير ، وضربت له الطبول ايذانا بالهجوم ، ولكنه لا يتقدم خطوة ، وانما يرونه يتزايل وينفك بعضه عن بعضه ، ثم تتساقط جموعه صرعى ، وقد أصابتهم فى مقاتلهم ذرات صغيرة تقذفها عليهم قذفا دراكا مسددا ، جماعات من الطير حلقت فوق رؤوسهم ، قبل أن يهجموا هجومهم المدبر ، (قالوا : كان كل طائر يحمل فى منقاره حجرا وفى كل من رجليه حجرا أكبر من العدسة ، وأصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على الرجل منهم فيصعقه) ، وقضى الله بذلك على ابرهة وجيشه وفيله ، وهم فى مكانهم دون قتال ، ونجا بيت الله الحرام ، ونجا أهله معه .

فكانت هذه آية من آيات الله ، خليقة أن تنبه العقول الغافلة ، وتهدى الضالين الذين انحرفوا عن سبيله ، وقد حكاها القرآن الكريم ، فى مساق التنبيه والاعتبار ، : « **ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل : ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول** » .

هذا الحادث كان معجزة واضحة ، بين يدى ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تتوهج من خلالها رحمة الله ، وقدرته الغالبة ، الى ما فيها من لمحات التغيير والتبشير بمقدم الوليد المبارك .

ولكن النـاس فى جملتهم لم يفطنوا لسر المعجزة ودلالتها ، ولعلهم ، لجهالتهم التى رانت على عقولهم وقلوبهم ، قد نسبوها الى أصنامهم التى صنعوها بأيديهم من الحجارة وأقاموها بساحة الكعبة ، (وكانت ، ثلاثمائة وستين صنما) واتخذوها آلهة يعبدونها من دون الله عز وجل فى بيته الأول ، بيت التوحيد .

وعشرات ومئات ولدوا فى مكة يوم مولد رسول الله ، ولكن أحدا خارج بيوتهم لم يذكر منهم احدا ، أما مولده صلى الله عليه وسلم ، فقد انتشر خبره وذاع وتحدثت به قريش فى انديتها ، لأن جده عبد المطلب كان قد استعلن به مبتهجا ، وطاف به حول الكعبة شاكرا الله أن منحه اياه ليملأ من قلبه مكان أبيه الحبيب ، وقد أقام الولائم للناس احتفالا بهذا الحادث السعيد وقال ان له لشأنا ، وروى لهم ما قد استشفه فيه ، وما قد رأت أمه فى حمله من علامات واشارات ، تنبىء بذلك ، ولكن النـاس حضروا الولائم ، وطعموا الطعام ، دون أن يلقوا بالا ، الى مقالاته المبشرة ، كل ما كان من امرهم فى هذه المناسبة انهم ذكروا الحادث الذى وقع قبل حادث الفيل ببضع شهور ، متصلا بالمولود وأبيه وجده ، وكان له وقتذاك رنين وحديث طويل ، ذلك أن عبد المطلب كان قد نذر اذا ما رزقه الله عشرة أبناء ، وبلغوا منه مبلغ الرجال الذين يشتد بهم أزره ، فسيقدم أحدهم قربانا على مذبح الكعبة وتحققت أمنيته ورزق الأبناء العشرة وبلغوا المبلغ الذى يريده ، فجمعهم وذكر لهم نذره ، وانه قد اعتزم الوفاء به ، فوافقوا طائعين وأبدى كل منهم استعداده أن يكون هو الذبيح المنذور ، فقال : بل نحتكم فيكم الى القداح ، وذهب بهم الى الكعبة ، وضربت القداح ، فخرجت على ابنه عبد الله أصغر ابنائه ، وأزهرهم شبابا ، وأحبهم الى قلبه ، فوقع ذلك من نفسه أسوأ وقع ، ولكنه حكم الرب الذى نذر له ، فلا مناص من انفاذه ، فأخرج السكين وشحذها ، وأخذ بولده عبد الله وأركبه ليذبحه

بيده ، وكان الخبر قد استطار وشاع فتبادر الناس من قريش ، وحالوا بين الرجل وابنه ، واستنكروا أن يفعل ذلك وبعد مشاورة ومراجعة استقر الرأى على أن يقدموا مع الولد عشرة من الابل يضرب عليه وعليها بالقداح ، فما زالت القدح تخرج عليه حتى بلغت الابل المائة ، فخرجت عليها وتم بها فداء عبدالله ، وتكررت بذلك قصة أبويهما ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، فكان عبد الله الذبيح الثانى المفدى ، وذبح عبد المطلب المائة ناقة وتركها للناس والطير والحيوان طعاما مباحا ، وهو سعيد بهذا الفداء الذى رد اليه ولده ، وفى نفس اليوم ذهب به الى بيت آمنة بنت وهب بن عبد مناف أجمل بنات قريش ، وأعزهن شرفا ونسبا ، فخطبها من أبيها لولده ، وبعد أيام قليلة كان عبد الله وآمنة أسعد زوجين ، ولكن القضاء عاجلهما بالفراق ، حيث خرج عبد الله فى تجارة الى الشام ، فأصابته علة فى الطريق ، فمات على مشارف المدينة ، وفيها أخوال أبيه ، فدفن هناك ، ولم يعد الى زوجته « العروس » حيا أو ميتا ، وكانت قد حملت منه فى محمد ، فعاشت أشهر الحمل ، حزينة ، لا تجد العزاء الا فى هذا الجنين الذى تحمله ، وقد كانت تغمرها خلال حمله وولادته مشاعر ورؤى تبعث فيها أمالا تخفف من آلامها ، غير انها ما ابثت أن نزل بها قضاء الله ، ففارقت الحياة أيضا ، ومحمد فى السادسة من عمره ، فأصبح بين جده وأعمامه يتيما من أبيه وأمه معا .

ومن ولادته الى مبعثه خالط الناس ، فما عرفوا فيه قط منقصة من النقائص التى تفشو فى مجتمعهم ، رعى الغنم ، وتاجر مع عمه ، أبى طالب صبيا ، وعمل فى تجارة السيدة خديجة بنت خويلد شابا ، قبل أن يتزوجها وبعد أن تزوجها ، فكان فى كل أعماله وتصرفاته : الأمين العف الطاهر الصادق ، ينكر من قومه عبادتهم للأصنام ، وانغماسهم فى الآثام ، ولهذا كان يعتزلهم ، ويقضى أكثر وقته بغار حراء متحنثا ، متأملا فى ملكوت الله الواسع وكونه البديع الرائع ، دالا على وجوده ، وقدرته ، ووحدانيته ، ويعجب كيف عميت عن هذه الحقيقة الساطعة أنظار قومه وبصائرهم .

ولم يزل على هذا الاعتزال والتأمل مفتوح القلب والعقل ،

بمنأى من الحياة ، التى يضطرب المشركون فى آثامها ، حتى بلغ أعلى مراتب الصفاء فكرا وروحا ، فتنزل عليه وحى السماء قرآنا عربيا مبينا ، مأمورا من الله جل شأنه أن ينهض برسالته الى الناس ، يدعوهم الى الحق والنور ، ويخرجهم من ضلال الشرك والكفر الى هدى التوحيد والايمان ، فأصابه من ذلك الأمر الجليل أول ما جاءه ، روع شديد ولكن الله ، أضفى عليه اليقين ، وقوة الايمان ، ويسره لأمره ، بالرعاية والتأييد ، فخرج الى قومه يدعوهم الى الله ، الها واحدا لا شريك له ، ويتلو عليهم من كتابه الكريم : (**كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور** باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد) و « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ، ولكن جعلناه **نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم** » و « **يا أيها النبى أنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا** » ويمضى فيهم ، متابعا الدعوة ، والتبليغ ، تاليا عليهم ما يتنزل عليه من آيات القرآن المجيد ، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، وقاصا عليهم قصص من ضل قبلهم من أمم ، وكيف صب الله عليهم غضبه وعذابه ، فباؤا بالخسران المبين فى الدنيا والآخرة ...

وافترق الناس تلقاء الدعوة المحمدية ، واختلفت مواقفهم منها ، فأكثرهم وأقواهم ، يرفضونها تمسكا بما وجدوا عليه آباءهم ، واستعلاء على ما تأمر به من المساواة بين السادة والعبيد ، والأغنياء والفقراء ، وتعلقا بما تنهاهم عنه من حياة اللهو والفساد ، ومنهم من كان يرى انها النبوة التى لاريب فيها ، ولكنه يرفضها أيضا ، ويعاديها ويجمع الناس على حربها حسدا وحقدا ، انسياقا مع العنصرية القبائلية المتعصبة التى ينكرها الاسلام ، ويحرر الناس من أغلالها ، فهؤلاء الرافضون ومن لف لفهم وخضع لسيطرتهم كانوا الفريق الأكبر والأقوى ، والأشد عداوة للدعوة والداعى ، أما غيرهم ، أو الفريق الآخر ، فكانوا أفرادا قلائل أراد الله بهم خيرا ، فكانوا السابقين الأولين ، الذين استمعوا الى الدعوة ، وفتحوا لها قلوبهم وعقولهم ، فاستبانوا فيها حقائق لا يستطاع انكارها ، فهذا الذى جاءهم به محمد وما يتلوه عليهم وما يحدثهم به ، يعلو على قدرة الانسان بيانا ، وأدبا ، وعلما ،

وقصصنا ، وهم يعلمون أن محمداً عاش حياته كلها ملء أعينهم وبين ظهرانى هذه الجبال ، أميا لم يقرأ ولم يكتب ولم يرتحل قط فى طلب علم ، فمن أين له علم ذلك كله ، الا أن يكون وحيا ، يوحى اليه من السماء ، والوحى من خواص النبوة وبرهانها .

وقال هؤلاء الذين اراد الله بهم خيرا : وان محمدا — كما قد عرفناه — لأهل لهذه النبوة ، وما كانت الأحداث التى وقعت قبيل مولده الا اشعاعات من هذا النور القادم ، وقد غام علينا سرها وقتذاك ولكن ها هو ينكشف ويتضح ، ذلك الى أن محمدا كأنسان فى هذا المجتمع الذى يمور بالرزائل والمناكر ، قد عرفناه عفيفا طاهرا ، كذلك عرفناه من صباه الى مبعثه ، أمينا نستودعه ودائعنا فيحفظها ويؤديها ، وعرفناه عاقلا حكيما ، نحتكم اليه على حداثة سنه ، فى معضلات أمورنا ، ومشاكلنا ، فيقضى فيها عادلا منصفا ، ونتقبل حكمه راضين ، وعرفناه ، صادقا ، أصدق ما يكون الصدق ، فلا ينطق عن هوى ، ولا يقول الا حقا ، وعرفناه لا يلوى أبدا على وثن ، ولا يقارب صنما ، ولا يشارك مطلقا فى ايما شعيرة من شعائر هذه الأحجار والتماثيل ، قد كان محمد بيننا بهذا الموضع الاسمى ، من محاسن الأخلاق ، وجلائل الصفات فنصدقه ، وهو فى صباه ومستهل شبابه ، فالاخلق بنا أن نصدقه اليوم وقد وخط الشيب فوديه ، وما نرى الا انه جاءنا بالحق ، فما حياتنا التى نحياها الا الضلال والانحلال ، والجاهلية العمياء ، والكفر بالله صاحب هذا البيت المعظم الذى اختصنا بشرف الانتساب اليه .

أصحاب هذا الرأى كانوا كما قلنا أفرادا قلائل استجابوا للدعوة ، وآمنوا بها وتابعوا الرسول فى خفاء أولا ثم جهارا بعد ذلك ، وأخذوا يتزايدون يوما بعد يوم ، فأثاروا بذلك نقمة المشركين فبغوا عليهم وأصلوهم نارا من الايذاء والتعذيب ولكنهم صبروا واحتملوا ، كما صبر رسول الله واحتمل ، وكانت ملحمة ضارية بين الحق والباطل ، والنور والظلام ، امتدت ثلاثة عشر عاما ، بمكة ، وعشرا بعدها بالمدينة وكان النصر فيها أخيرا للحق والنور ، حيث أظل الاسلام ، كل أنحاء الجزيرة العربية وتجاوزها الى خارج حدودها ، ودخل الناس فيه أفواجا حتى من كانوا من أعدى

أعدائه ، فقد تجلت آياته مشرقة فبددت الظلام وطهرت النفوس والأرواح من شوائب الجاهلية وادرانها وتحطمت الأصنام وانمحت آثارها بأيدى من كانوا يعبدونها ، وعاد بيت الله الحرام كما قد كان بيت التوحيد والحنيفية السمحاء ، طهورا مقدسا ، وأصبح المشركون بعد أن هدوا وآمنوا ابطـال جهـاد فى سـبيل الله ، ومنهم كان ائمة الاسـلام ودعاته وأعلامه ، وفقهاء شريعتـه ، فى مختلف الأقطار .

ومما لا شك فيه أن هذه المرحلة من مبعث الرسول ، والجهر بالدعوة ، الى وفاته ، كانت حاشدة بأخطر الأحداث ، ولم يكن متصورا ، بغير معجزة خارقة ، أن يستطيع رجل واحد ، فى مثل هذا الزمن القصير ، أن يبلغ ما بلغ ، ليس فقط من انتصار على الأعداء فى معركة او أخرى ، بل أيضا فى اقتلاع جـذور ضـاربة فى أعماق الزمان البعيد ، من عبادات وثنية وتقاليد عصبية متمكنـة عاشت عليها تلك الأمة قرونا بعد قرون وأجيالا بعد أجيال .

فهنا معجزة الاسلام الكبرى ، قرآنا ورسولا ، معجزة الرسول داعيا وحده الى الله وحده ، متخلقا بأخلاقه ، ومتأدبا بآدابه ، وهو صلى الله عليه وسلم يقول : «أدبنى ربى فأحسن تأديبى» ويقول الله عز وجل مثنيا عليه : « وانك لعلى خلق عظيم » فهذا التأديب الذى تعهد الله به رسوله الكريم من ولادته الى بعثه الى وفاته ، قد صانه وطهره ورفعه الى مرتبة التلقى الاسمى ، فكان بهـذا الفضل العظيم أصدق الناس ، وأعدل الناس ، وأشجع الناس ، وأعف الناس ، وأسخى الناس ، وأعلم الناس والى مالا آخر له من فضائله التى حببته الى الناس وفتحت له قلوبهم ، فاقبلوا عليه واستجابوا لدعوته ، واحيوا موات نفوسهم بالقرآن الكريم ، ممثلا فيه قولا وعملا ، فقد كان فى كل أعماله وأحاديثه واقضيته ، تعبيرا وتعليما ، لآداب القرآن وأحكامه ، أصدق ما يكون التعبير والتعليم .

سئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن أخلاقه ، صلى الله عليه وسلم ، فقالت : « كان خلقه القرآن » والقرآن الكريم منهل عذب فياض للاخلاق والآداب الانسانية العالية ، فى مثل قول الله تبارك وتعالى : « خذ العفو وامر بالعـرف واعرض عن الجـاهلين »

و ((ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى)) و ((واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور)) و ((فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين)) و ((وليعفوا وليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم)) و ((ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)) و ((والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)) و ((اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا)) .. الى كثير فى هذه المعانى التأديبية السامية من آيات الله الكريمة خلال السور القرآنية المائة والأربعة عشر .

فهكذا كانت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم اقباسا نورانية من هدى القرآن الكريم : وهى مناهج اسلامية موجهة ومفروضة ، وواجب على المسلمين أن يلتزموها ويهتدوا بها ويتواصلوا عليها فانهم بها يكونون حقا (خير أمة أخرجت للناس) .

وحيا الله ذكرى مولد رسوله ومصطفاه ، ذكرى مولد الهدى والنور ، والحق والحب ، والسلام ، وصلوات الله وسلامه على المصطفى الأمين ، خاتم الأنبياء والمرسلين ..

من وحى ذكرى المصطفى

صلى الله عليه وسلم

الأستاذ محمود رجاء حنفى عبد المتجلى

فى فجر اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين قبل الهجرة ، الموافق للعاشر من شهر اغسطس سنة ٥٧٠ من الميلاد ، ولد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه بـ ((مكة)) عام الفيـل ، وهو من الأعوام الخالدة فى تاريخ العرب ، لأنه يقترن فى نفوسهم بذلك الحادث العجيب الذى نصرهم فيه المولى عز وجل على أعدائهم من الأحباش ، وتجلت حينئذ آية الله عز وجـل الكبرى ، والتى سجلها القـرآن الكريم فى سورة كاملة من سوره .



وكانت ((قريش)) تؤرخ بموت قصى بن كلاب لعلو شأنه ، وسمو منزلته ، فلما كان عام الفيـل ارخت به ، فكأن تاريخهم من مولد الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

وقد ذكرت بعض كتب السيرة النبوية أن ارهاصات بالبعثة قد وقعت عند الميلاد ، فقد زلزلت الأرض فى جهات شتى ، زلزالا شديدا ، سقطت به الأصنام التى كانت حول الكعبة أو فوقها من مواضعها ، وتهدمت كنائس وبيع ، وارتجس ايوان كسرى ، وسقطت أربع عشرة شرفة من شرفاته ، وخمدت النار التى كان يعبدها المجوس ، ولم تكن قد خمدت قبل ذلك بألف سنة ، وغاضت بحيرة « ساوة » ، وانهدمت الكنائس التى حولها ، وقد عبر البوصيرى عن ذلك فى قصيدته الشهيرة فقال :

ابان مولده عن طيب عنصره ... يا طيب مبتدأ به ومختتم
يوم تفرس فيه الفرس أنهم ... قد أنذروا بحلول البؤس والنقم
وبات ايوان كسرى وهو منصدع ... كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
والنار خامدة الأنفاس من أسف ... عليه والنهر ساهي العين من سدم
وساء ساوة أن غاضت بحيرتها ... ورد واردها بالغيظ حين ظمى

ووالد الرسول صلوات الله وسلامه عليه هو عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة ، وأمه السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ، ومعنى ذلك أن نسبه صلوات الله وسلامه من جهة أبيه ومن جهة أمه يلتقيان فى كلاب بن مرة ، وهو الجد الخامس من جهة الأب ، والرابع من جهة الأم .

ولقد تناسل الرسول عليه الصلاة والسلام من نكاح مشروع ، ولم يكن فى أجداده من تلوث بسفاح الجاهلية ، بل طهر المولى تبارك وتعالى أصوله تطهيرا ، وفى ذلك يروى الامام مسلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : **« ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم »** .

وعندما تم للسيدة آمنة من حملها شهران ، توفى عبد الله فى « المدينة » ، وهو فى ريعان شبابه عن خمس وعشرين عاما ، ودفن بها ، فصار صلوات الله وسلامه عليه يتيما قبل أن يولد .

يقول ابن سعد فى طبقاته نقلا عن مصادره : كنا نسمع أن آمنة بنت وهب لما حملت برسول الله كانت تقول : ما شعرت أنى حملت به ، ولا وجدت له ثقلا كما يجد النساء الا أنى أنكرت حيضتى ، وربما كانت ترفعنى ولا تعود ، وآتانى آت وأنا بين النائم واليقظان، فقال : **هل شعرت أنك حملت ؟ فكأنى أقول : ما أدرى . فقال : إنك حملت بسيد هذه الأمة ونبيها وذلك يوم الاثنين . فكان ذلك مما عين عندى الحمل ، ثم أمهلنى ، حتى اذا دنا موعد ولادتى ، أتانى ذلك الآتى ، فقال : قولى أعيذه بالواحد الصمد ، من حاسد اذا حسد. قالت : فكنت أقول ذلك لنسائى . فقلن لى : علقى حديدا فى عضديك وفى عنقك . قالت : ففعلت : فلم يكن يترك على الا أياما ثم لا ألبث أن أراه قطع ، فكنت لا أعلقه بعد ذلك .**

ومما روى عن السيدة آمنة ايضا — على ما جاء فى طبقات ابن سعد — أنها أمرت وهى حامل برسول الله أن تسميه « أحمد » .

ولما تم حمل السيدة آمنة وضعت وليدها ، تقول السيدة آمنة : لما أخذنى ما يأخذ النساء رأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادى فذهب عنى الرعب ، ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا كأنهم من بنات بنى عبد مناف يحدقن بى ، فلما اشتد بى الأمر اذا بديباج قد مد بين السماء والأرض ، ثم رأيت رجالا قد وقفوا فى الهواء بأيديهم أباريق من فضة ، فكشف الله عن بصرى ، فرأيت مشارق الأرض ومغاربها ، رأيت ثلاثة أعلام مضروبات : علما بالمشرق ، وعلما بالمغرب ، وعلما على ظهر الكعبة المشرفة ، فأخذنى المخاض، فوضعت محمدا — صلى الله عليه وسلم — فاذا هو ساجد لله .

وأرسلت السيدة آمنة جاريتها الى عبد المطلب ، تخبره بأن قد ولد له غلام ، فأتى مسرعا ، وعندما نظر اليه فرح فرحا شديدا ، ونزل من نفسه منزلة عظيمة ، واخذ يقول : **« ليكونن لابنى هذا شأن » ، ثم حمله بين ذراعيه وانطلق به الى الكعبة ، وقام يدعو ويشكر المولى تبارك وتعالى ويقول :**

الحمـــد لله الذى أعطـــانى هذا الغـــلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان أعيــذه بالبيت ذى الأركــان
حتى أراه بالــغ البنيـــــان أعيــذه من شر ذى شـــنان
من حاســد مضطرب العنان

وفى اليوم السابع من ولادته صلوات الله وسلامه عليه ، وهو يوم « العقيقة » عند العرب ذبح جزورا واطعم الفقراء والمساكين، ودعا رجالا من « قريش » فحضروا وطعمــوا ، وهنــأوا بالمولود السعيد ، وتمنوا له بركة العمر ورفعة الشأن ، وعندما انتهوا من تناول الطعام سألوا عبد المطلب : « يا عبد المطلب : ارأيت ابنك هذا الذى أكرمتنا على وجهه ، ماسميته ؟ » فجاوبهم بقوله : «سميته محمدا » ، فقالوا : « فما رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ » ، قال: « أردت أن يحمده الله فى السماء ، وأن يحمده خلقه فى الأرض » .

ويروى السهيلى فى كتابه « الروض الأنف » فى سبب التسمية أن عبد المطلب قد رأى فى نومه كأن سلسلة من فضة خرجت منظهره، لها طرف فى السماء وطرف فى الأرض ، وطرف فى الشرق وطرف الغرب ، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور ، واذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها ، فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغــرب ، ويحمــده أهل الأرض والسماء ، فلذلك سماه محمدا .

ومما هو جدير بالذكر ان أبا لهب عندما قالت له جاريته ثويبة : « اشعرت أن آمنة قد ولدت غلاما لاخيك عبد الله ؟ « فرح فرحا عظيما ، وقابل هذا النبأ العظيم بأمر عظيم لم يكن يخطر ببال ثويبة على الاطلاق ، اذ قال لها : « اذهبى ، فأنت حرة » .

وقد كانت ثويبة أول من أرضعت الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ومع أنها لم ترضعه سوى بضع أيام قلائل فقد ظل يحتفظ لها بهذا الجميل ، ومازال يكرمها ويبرها حتى ماتت وهو بـ «المدينة»، فلما ماتت سأل عن ابنها مسروح الذى كان اخا له فى الرضـــاعة ليصله مكانها ، فعرف أنه قد مات قبلها .

واسم « محمد » لم يكن معروفا عند العرب فى الجاهلية ، لأنه لم يكن من الأسماء الشائعة ، ولم يتسم بهذا الأسم قبل ولادة الرسول صلوات الله وسلامه عليه الا ثلاثة ، وفد آباؤهم على بعض الأفراد ممن عندهم علم من الكتاب الأول ، وعرفوا منه أن نبيا سيبعث فى بلاد « الحجاز » قد حان أوانه وقرب زمانه ، واسمه « محمد » ، وكانت زوجة كل واحد من هؤلاء الثلاثة حاملا ، فنذر كل واحد ان اعطى ولدا ذكرا ليسمينه محمدا ، طمعا فى ان ينال ابن أى فرد منهم شرف النبوة والبعثة ، وهؤلاء المحمدون هم : محمد بن سفيان التميمى ، ومحمد بن بلال بن احيحة الأوسى ، ومحمد بن حمران الجعفى .

واخذ تبشير الكهنة بمقدم النبى العربى الذى قرب زمانه وحان اوانه ، ويسمى « محمداً » ينتشر ويقوى انتشاره بين الناس ، فسمى الكثير أبناءهم بـ « محمد » للغرض نفسه .

وقد ورد اسم « أحمد » كاسم للرسول صلوات الله وسلامه عليه فى القرآن الكريم مرة واحدة ، فى سورة « الصف » على لسان سيدنا عيسى عليه السلام اذ يقول :

« واذ قال عيسى بن مريم . يا بنى اسرائيل : انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد . فلما جاءهم بالبينات قالوا : هذا سحر مبين » .
أما اسم « محمد » فقد جاء فى القرآن الكريم أربع مرات ، الأولى فى سورة « آل عمران » فى قوله تعالى : **« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل »** ، والثانية فى سورة « الأحزاب » فى قوله تبارك وتعالى : **« ما كان محمدا أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله »** ، والثالثة فى سورة « الفتح » فى قوله جل شأنه : **« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم »** ، والرابعة فى قوله عز وجل : **« وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من** ربهم » .

ومولد الرسول صلوات الله وسلامه عليه جاء استجابة لدعوة سيدنا ابراهيم عليه السلام ، فقد طلب من الله عز وجل ومعه ابنه

اسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت أن يبارك فى ذريتهما ، وأن يجعل منهم أمة مسلمة ، وأن يبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آيات المولى تبارك وتعالى ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويطهرهم من الذنوب والآثام : **« واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم ، انك أنت العزيز الحكيم »** ، فالذرية المقصودة فى هذه الآيات ليست سوى ذرية سيدنا اسماعيل عليه السلام من العرب ، والامة المسلمة ليست سوى أمة المسلمين ، والرسول ليس الا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

وجاء مولده الشريف تحقيقا لبشارة سيدنا موسى عليه السلام ، فقد جاء فى سفر « التثنية » : « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته ، فقال : جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس ، وعن يمينه شريعة لهم » ، فـ « سيناء » نسبة الى نبى الله موسى عليه السلام ، و « سعير » هى الأرض المباركة التى ولد فيها المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، و « فاران » هى بلاد « الحجاز » التى هاجر اليها أبو الانبياء سيدنا ابراهيم عليه السلام ، ومعه هاجر وولدها منه اسماعيل الذبيح ، وفيها ولد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وذلك مصداقا لقول المولى تبارك وتعالى : **« والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين »** فـ **« التين والزيتون »** بلاد « الشام » نسبة الى سيدنا عيسى عليه السلام ، و **« طور سينين »** هو طور « سيناء » الذى كلم عليه موسى عليه السلام ربه عز وجل ، و **« البلد الأمين »** هى **« الجزيرة** العربية » ، مولد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .

وجاء مولده صلى الله عليه وسلم تحقيقا لبشارة أخيه سيدنا عيسى عليه السلام ، فقد جاء فى كتاب « قصص الأنبياء » ، للمرحوم الأستاذ المحقق عبد الوهاب النجار ، فى صفحة ٤٧٢ وما بعدها ما يلى :

« من الأغراض السامية التى جاء المسيح لتقريرها ، واذاعتها بين اليهود ، وغيرهم ، البشارة باقتراب ملكوت السموات .. والمراد بذلك الشريعة الالهية ، التى يرسل بها الله النبى الأمى ، المذكور فى الآية ١٥ وما بعدها من الاصحاح ١٨ سفر التثنية الذى وعد الله بنى اسرائيل ، على لسان موسى ، أن يرسله من بين اخوتهم ، ويجعل كلامه فى فمه ، ويخبرهم بكل الذى يوصيه به ».

ويقول : « وقد بشر اليهود به أنبياء كثيرون ، منهم : داود ، وأشعياء ، ودانيال ، وحبقوق ، وحجى وملاخى .. وهذا قليل من كثير مما فى تلك الكتب مع ما اعتورها من التحريف القصدى ، والغير قصدى » .

« جاء المسيح — عليه السلام — ليبشر بهذا النبى الكريم ، ولا غرو فان المسيح آخر الأنبياء فى بنى اسرائيل .. وكان المسيح يعبر عن المبشر بلفظ « مسيا » وبلفظ « فارقليط » ، وهو تعريب لفظ « بريكلتوس » اليونانية ، ومعناه « الذى له حمد كثير » ، كما عبرت عنه بعض الكتب بلفظ « ايلياء » ، واليهود يظنون إن « ايلياء » يأتى اليهم ، ولكنهم اذا عرفوا أن « ايلياء » جملها ٥٣ كجمل لفظ أحمد لزال الأشكال ، وتبين المراد » .

ومما لا جدال فيه أن لفظى « مسيا » و « ايليا ء » يشتركان مع لفظ « فارقليط » فى معناه السابق وهو « الذى له حمد كثير » ، فتكون كلمة « حمد » موافقة لاسم التفضيل وهو « أحمد » المشتق من حمد الفعل .

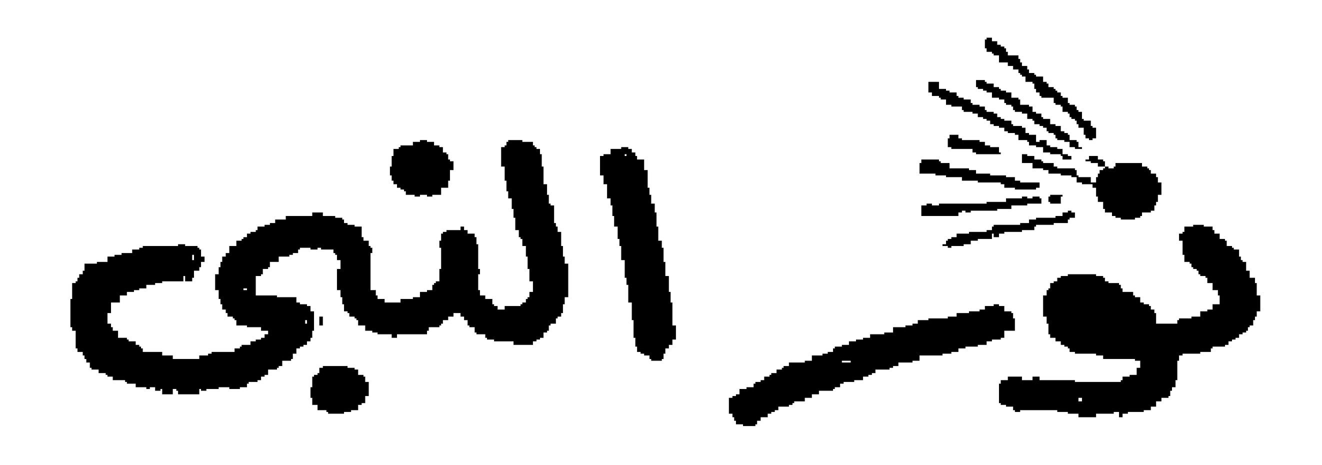
وهذا هو الوصف الذى وصف به الرسول صلوات الله وسلامه عليه النبى العربى المبعوث فى الأميين ، والذى بشر به سيدنا عيسى عليه السلام .

وجاء مولده صلوات الله وسلامه عليه تصديقا لرؤيا أمه السيدة آمنة بنت وهب ، اذ رأت فى احدى الليالى فيما يرى النائم كأن نوراً قد خرج منها فأضاء ما بين المشرق والمغرب ، حتى رأت على ضوئه وهى فى « مكة » قصور « بصرى » من أرض « الشام » ، وهذا

مصداق قول المولى تبارك وتعالى فى سورة « الاحزاب » : يا أيها النبى : انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » ، وقوله عز وجل فى سورة « المائدة » : **((قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)).**

وجاء النور ، وعم سناه ، وأضاء المشرق والمغرب ، وانطلق وضاء متلألئا ، يهدى الحائر ، ويرشده الى الطريق المستقيم ، وانبثق هذا النور من غار « حراء » كتابا حكيما ، وقرآنا كريما ، ختم به المولى تبارك وتعالى رسالات السماء ، وبعث به النبى الأمى سيد الأنبياء والرسل والخلق صلوات الله وسلامه عليه ، **((ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون . الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون)) .**

نسأل المولى تبارك وتعالى فى ذكرى سيد الخلق المصطفى صلوات الله عليه وسلامه أن يسدد خطى المسلمين على طريقه ، ويجمعهم على نور هداه ، اخوانا متحابين فى الله عز وجل ، متناصرين فى الشدائد رحماء بينهم ، وأن يجعلنا من الذين قالوا سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا واليك المصير .



صلى الله عليه وسلم

فضيلة الشيخ الصاوى شعلان

يا ضيفى (أبيت عند ربى)
في جنة لا ينام قلبى !
أنهيت طريق كل مجد
في قولك (لا نبى بعدى)



ان صور البطولة في الاسلام وفي تاريخ النهضات على امتداد العصور ، انما هي أشعة متلاحقة صادرة من منبع النور الأسمى الذى اصطفته ارادة العلى الأعلى (محمد رسول الله) ابن الذبيحين ، سليل النبيين ، مصباح هداية الثقلين ، منار سعادة الدارين ، المتخير من معدن الحسب ، الزاكى المنيع ، ومن دوحة النسب العالى الرفيع ، نسب قام بابراهيم بنيانه ، وارتفعت باسماعيل أركانه ، واستقرت بقريش أوطانه ، وتجلى في

**شيبة الحمد عنوانه ، أما مكة فمكانه
وأما الربيع فزمانه ، فأيقظوا أسماعكم
يا أمم العالمين . (قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين) .**

تفتحت فى ربيع مولده ازهار الفردوس الأعلى ، ورفت به أجنحة الملائكة الأطهار حول البيت المعمور مسبحة بحمد ربها ، وصفقت أوراق الأشجار مع صلوات الطيور المترنمة بحمد الله على منابر الغصون .! يا مرحبا باللؤلؤ اليتيم فى زاوية آمنة . والقمر المولود فى بيت عبد الله ، والكنز المطل من شعاب مكة تستقبله العناية الربانية بظلها الممدود فى حرم الله الذى أمن فيه الطير والحيوان حين ضاع الأمن بين بنى الانسان !..

يا مرحبا باليتيم الشريف ، والفقير العفيف !! ..

فقير . وكنوز المجد فى رسـالته ، يتيم واجيـال البشرية فى كفالته !! .. دعوة الخليل ورجاء اسـماعيل وبشرى صـاحب الانجيل !! شجرة من الصحراء اظلت الكون ، وقطرة من الوادى أروت ظمأ الانسانية واحيت الانسان !! فرد وكأنه كل العالم ! . ومصلح اعاد مفتاح الجنة الى ذرية آدم ! .. **قال الحفاظ : لقـد تصدعت عند مولده قواعد ايوان الظلم ! .. انذارا لعسف الإكاسرة وسطوة بيزنطة !! وزال أمام نور التوحيد غبار المجوسية المتلاشية فى بيت النـار !! . وغاضت أمواج الكفر الطاغية على دمـوع المظلومين ! .. ذلكم هو نبى الله الأعظم الذى هدم فى البيت العتيق أوثان الحجر ! .. واقام بلالا ليهدم بالتكبير أصنام البشر !! .. (فما ظنكم برب العالمين)** لقد صاغ الله فطرة نبيه من مجد العرب الأثيـل وفرعها الأصيل !! .

فى ذلك المهد الكريم ، الذى نسجت خيوطه وصنعت أعـواده من وفاء الخليل ، وفدائية الذبيح اسماعيل ، من حلم كنانة ورجاحة قصى ومن سماحة هاشم مكرم الغرباء ، ومكارم عبد المطلب مطعم طير السماء . من ذلك كله وفى ذلك كله . ولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذى ما طلب المجد ولكن المجد كان يطلبه وما سعى

الى الدنيا ، ولكن الدنيا سعت اليه ، فقبلها نعمة ورفضها فتنـــة .
صنع الخالق بطولته لينقذ المخلوقات ، ويلبس الأرض حللا من انوار السموات !! ويا عجبا لمجتمع لم تكن له المدرسة ولا الكتاب ولا المصنع ولا التشكيل الحكومى ولا الأنظمة والقوانين ثم يصنعه محمد صلى الله عليه وسلم على عين الله ونصر من لدنه ، فيحيل الجهالة عرفانا والوثنية توحيدا وايمانا ، يطلع المصابيح من الظلام ، ويخرج الثمار من الأكمام ، وينبت غرس الحياة فى واد غير ذى زرع ، ينشىء الأمة فى أعوام ، ويختصر التاريخ فى أيام ، يربى تلك الأمة العظيمة فيجعل من حداة الجمال رعاة للشعوب والأجيال !! يمضون فى سبيل الله حاملين مشاعل النور الى الجهات الأربع حول راية الرسول الأعظم ، الذى جمع فى شريعته شرائع الأنبياء ، وفى رسالته هدايات المرسلين ، الأنبياء قبله أبوابه ، والعارفون بعـــده نوابه ، والحق كتيبته والنصر كتابه ، ان علوم الدنيا ومعارفهـــا كبقية النعم الجارية فيها ، تحيلها العقارب سموما ، والســـباع فتكا وشراسة ، وتقدمها النحل شهدا ، ويهديها الغزال مسكا ، **ولقد كان غذاء الرسالة المحمدية فى قلوب أصحابه عطرا للتـــاريخ ونورا للأجيال وهدى للعالمين : أبيضهم وأسودهم على ســـواء ، فى شريعة من الله وفى كتاب (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) ذلك بأنهم آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجـــاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله** : لم يكد ينقضى ستون عاما على الهجـــرة النبوية حتى كان الاسلام قد مد ظلاله الوارفة من المدينـــة المنورة الى بحر الظلمات ، وقد زال الظلام وانجابت الغيوم وسعدت افريقيا كلها بجلاء جيش الروم !!

هذه ذكراك يا نبى الله : يا ضيفى (أبيت عند ربى)

فى جنـــة (لا ينـــام قلبى)

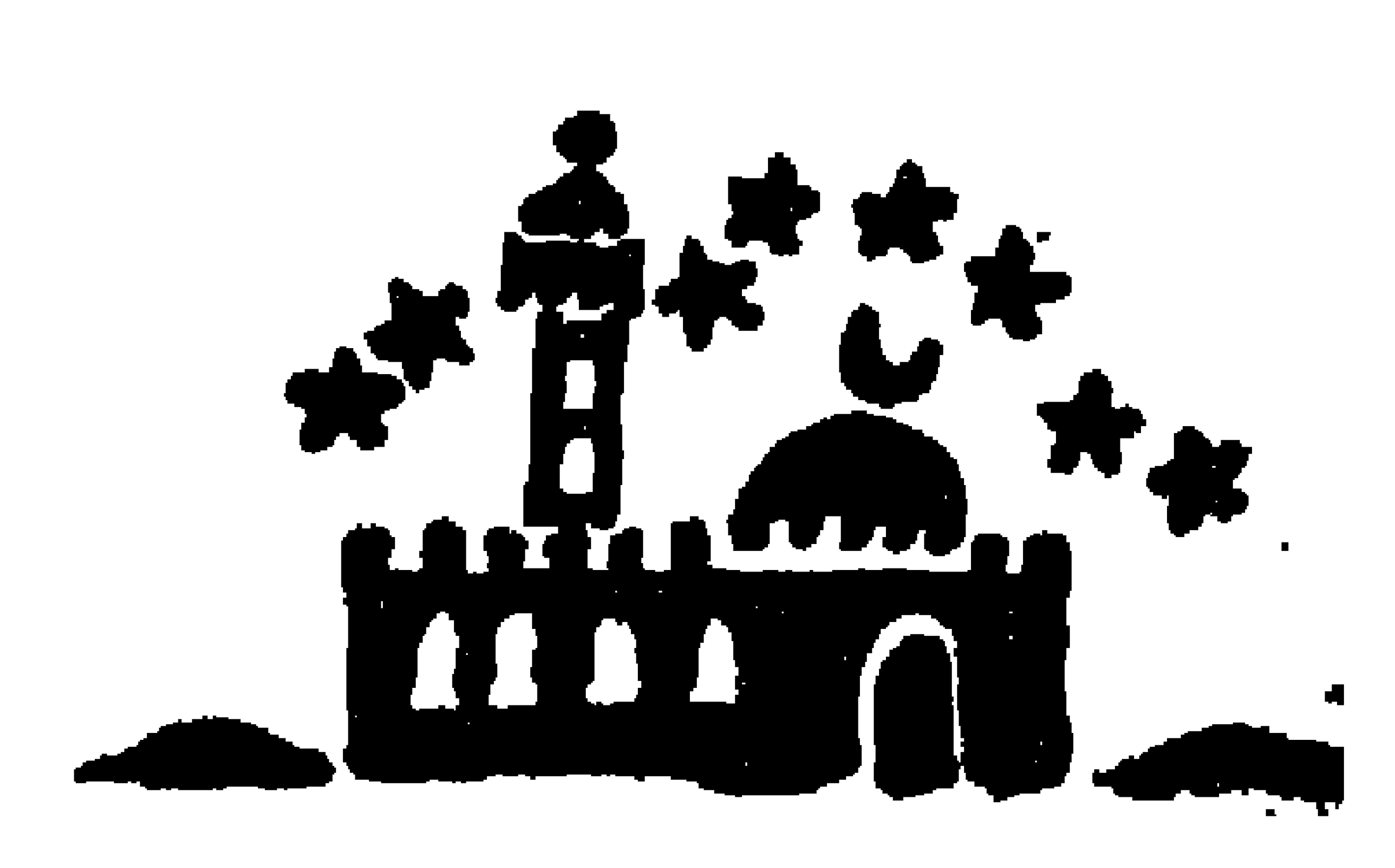
خلوا شـــعوب الأرض عنـــكم وارتقبـــوا
فجـــر الســـــلام يطـــل من عــــــدنان
موحى نبى الله ان الســـكون منتظــــر
وان الدهـــــــر فى اذعـــــــان !! ..
قـــــل يا نبى اللـــه آيات الهــــدى
والحق يســـمع صـــوتك المـــلوان !! ..

اقرأ على الدنيـــا كتـــاب وجـــودها
ما شئت من عـــدل ومن عمران !! ..
وانشر على الأخـرى سـجل خـلودها
ما شئت من روض ومن رضـــوان !! ..
ان الربيـــع لـــه أوان واحـــد
وربيعـــك البســـام كل أوان !! ..
والمعجـــزات لهـــا زمـــان ينقضى
فأراك معجـــزة لـــكل زمـــان !! ..
صـــلت عليـــك النـــيرات وســـلمت
يا رحمـــة بعثت من الرحمـــن !! ..
دنيـــا الورى فيـــك النجـــوم كثيرة
ما فيـــك يا دنيـــا محمد ثانى !! ..

مُحَمَّد
صلى الله عليه وسلم
وأمتـــه
فى الكتب السماوية

فضيلة الشيخ عبد الفتاح نصير

ان الله عز وجل قد اخبر فى كلامه المجيد عن وجود التبشير بنبوة محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وعن وقوع هذا التبشير فى التــوراة والانجيل حيث قال : (الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل . يامرهم بالمعروف ، وينهــاهم عن المنكر . ويحل لهم الطيبات . ويحرم عليهم الخبائث . ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه ، واتبعوا النور الذى انزل معه اولئــك هم المفلحون) .



قال الخازن فى تفسير قوله تعالى : « الذى يجـدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) يعنى يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم ، يعرفها علماؤهم واحبارهم ولكن اليهود كتموا

ذلك وبدلوه وغيروه حسداً منهم له . وخوفا على زوال رياستهم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد حصل ما كانوا يخافونه ، فقد زالت رياستهم ووقعوا فى الذل والهوان بعد بعثته صلى الله عليه وسلم . ومما يدل على ان الكتب السماوية بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ما كان من ورقة بن نوفل ابن عم السيدة خديجة ابنة خويلد رضى الله عنها ، حينما جاءت اليه بمعية زوجها محمد صلى الله عليه وسلم ، عند نزول أول وحى ، واخبره الرسول بما رأى ، وقال ورقة : هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى ياليتنى فيها جذعا ، ياليتنى اكون حيا اذ يخرجك قومك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجى هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا . ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى) وهذا يدل أيضا على أن ورقة كان مطلعا على تبشير الكتب السماوية لاسيما التوراة والانجيل بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جاء فى التوراة « الاصحاح الثامن » سفر التثنية — يخاطب الله نبيه موسى عليه السلام ، ويبشر ببعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول : (وسوف أقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم ، واجعل كلامى فى فمه ، ويكلمهم بكل شيء آمره به ، ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به فأنا الذى انتقم منه فأما النبى الذى يجترىء على بالكبرياء ويتكلم باسمى بما لم آمره به أو باسم آلهة أخرى فليقتل واذا اردت أن تميز بين النبى الصادق والكاذب فهذه علامتك : ان ما قاله النبى باسم الرب لم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ، ولذلك لاتخشاه) .

فقوله : سوف اقيم لهم نبيا من بين اخوتهم . أى قال الله لموسى، انه يرسل نبيا من بنى اسماعيل وهم اخوة بنى اسرائيل « حيث هم من بنى اسحاق اخى اسماعيل . وقوله « مثلك » اى بشريعة تشبه شريعتك . وفيها من المعاملات ما يلائم عصره والى الأبد ، ولم يأت بعد موسى نبى ما يشبهه فى شريعته من بنى اسحاق واسماعيل الا محمد صلى الله عليه وسلم . وقوله : (واجعل كلامى فى فمه) يعنى انه أمى ، لا يعلم الكتابة . ولا يعرف الحروف قراءة ويدعى اليهود أن هذا التبشير بشأن « يوشع بن نون » خليفة موسى ، ولقد ظهر بطلان هذا الادعاء لعدة أوجه :

الوجه الأول — ان اليهود كانوا ينتظرون فى عهد رسالة عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام نبيا آخر . وهذا يدل على أن التوراة كانت تبشر بنبى آخر بعد عيسى ، وهذا النبى هو محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ، فانه هو الذى بعثه الله بعده .

الوجه الثانى — ان التوراة تقول فى وصف النبى الذى سيبعث انه مثل موسى وقد نصت التوراة فى آخر سفر التثنية على أنه لم يقم فى بنى اسرائيل نبى مثل موسى ، فبقى ذلك تبشيرا بشأن نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثالث — لقد ورد فى نص هذا التبشير أن النبى الذى يجترىء على الله بأنه نبى (يعنى بالكذب) يقتل ، وهذا النص فى التوراة يتفق مع ما نزل من القرآن المجيد ، وهو قوله تعالى فى سورة الحاقة : **(ولو تقول علينا بعض الأقاويل،لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين)** وهذا يدل على أن هذا التبشير انما كان تبشيرا ببعثة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم قد مكث بين أعدائه من المشركين واليهود بمكة والمدينة ثلاثا وعشرين سنة وهو يقول انه نبى ورسول مبعوث من عند الله سبحانه ، ويدعوهم الى الله ، ولم يحدث له قتل ، بل عصمه الله وحفظه طول حياته ، حتى بلغ رسالته وأدى أمانته ، وأظهر الله دينه على الدين كله ، ثم لحق بالرفيق الأعلى راضيا مرضيا ، فكان الواقع كما أخبره فى كتابه ، مطمئنا له ((**والله يعصمك من الناس**)) وكما انزل الله عليه فى سورة الصف ((**هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**))

الوجه الرابع — لقد ورد فى هذا التبشير أن العلامة لتمييز كذب النبى من صدقه فيما قاله عن الرب سبحانه ، عدم وقوع ما أخبر به باسم الرب سبحانه ، وقد وقع كل ما أخبر به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم « وهذا يدل على أنه كان نبيا صادقا حقا لا يجوز انكاره مع أنه ينطبق عليه تبشير التوراة ومما يؤيد بطلان ادعاء اليهود ما روى عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه ، وهو الذى كان زعيما لليهود بالمدينة قبل اسلامه . ورواه الامام البغوى بسنده عن كعب الأحبار أنه قال : انى أجد فى التوراة مكتوبا

« محمد رسول الله لافظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسـواق ، ولا يجزى بالسيئة . ولكنه يعفو ويصفح : أمته الحمادون يحمدون الله فى كل منزلة ، ويكبرونه على كل مجد ، يأتزرون على أصـنافهم ، ويغضون أطرافهم ، صفهم فى الصلاة وصـفهم فى القتال سـواء ، مناديهم ينادى فى جو السماء ، لهم فى جوف الليل دوى كدوى النحل، مولده مكة ، ومهاجره مدينة وملكه بالشام » .

ومارواه القاضى عياض فى الشفاء (كما رواه البخارى) ان عطاء ابن يسار سأل عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه عن صفة رسول الله صـلى الله عليه وسـلم فقال أجل : والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفاته فى القرآن وهو « **يا أيها النبى انا أرسلناك شـاهدا ومبشرا ونذيرا » وحرزا للأميين ، أنت عبـدى** ورسـولى ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الأسواق ، ولا يدفع السـيئة بالسـيئة ولكن يعفو ويغفـر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا اله الا الله ، ويفتح به أعينا عميا وقلوبا غلفا » .

وكان اليهود قبل بعثة نبينا محمد بن عبد الله صـلى الله عليه وسلم يستفتحون على العرب بالمدينة برسول منتظر ويقولون : انه سيبعث ، فقد حدث عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال قومه قالوا: « انما دعانا للاسلام ــ مع رحمة الله تعالى لنا ــ ماكنا نسمع من أحبار اليهود ، انهم كانوا أهل الكتاب ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور . فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا : قد تقارب زمان نبى يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم . فكثيرا ماكنا نسمع منهم ذلك .

ثم ان الصادق المصدوق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد أخبر عن صفته وصفة أمته التى جاءت فى التوراة حيث قال الله تعالى : « عبـدى أحمد المختار ، مولـده مكة ، ومهاجره المـدينة ، وأمته الحمادون الله على كل حال » ولكن اليهود دأبوا على ادعائهم الباطل، وأصروا على انكار ما جاء فى التوراة من النصوص التى تنص على التبشير بنبوة خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسـلم ، بل حرفوه بوقاحة سجلها التاريخ الانسانى الا من هداه الله « **فمنهم من آمن ومنهم من كفر » . « أولئك الذين لعنهم الله . ومن يلعن**

الله فلن تجد له نصيرا » ومن أهم البشارات التى لا تقبل التأويل ما نجده فى الاصحاح الثالث والثلاثون من سفر التثنية فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ألف وثمانمائة وأربع وأربعين ، قوله : « جاء الرب من سيناء ، وأشرق لنا من ساعير — وتلألأ من جبل فاران ، ومعه ألوف الأطهار » فمجيء الرب من سيناء . انزاله التوراة على موسى ، واشراقه من ساعير — وهى قرية على بعد كيلو ونصف من بيت لحم — انزاله الانجيل على عيسى ، واستعلاؤه من جبل فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ... والدليل على أن فاران هى الأرض التى سكنها اسماعيل جدالرسول الأكبر ما جاء فى التوراة من أن هاجر كانت جارية لسارة ، ثم صارت زوجة لابراهيم عليه السلام لتنجب نسلا له ، وظنت سارة أن مهمة هاجر ان تنجب نسلا مع بقائها جارية تسخرها كيفما شاءت ، وأنجبت هاجر ابنا لابراهيم ، وكان هذا الابن قرة عينيها ، وبهجة قلبها ، ولكن سيدتها حاولت اذلالها ، فاستجارت بزوجها ابراهيم ، لكنه تركها لسيدتها ، فاشتدت بها ايلاما حتى هربت ترجو النجاة مما ألم بها ، فقابلها ملك الرب فى الطريق ، وقال لها : مالك يا هاجر ؟ شدى يدك به . لأنى سأجعله أمة عظيمة . وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت وملأت القربة وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام ، فكبر وسكن فى برية فاران .

يتضح من التوراة اذن أن الذى سكن فاران هو اسماعيل عليه السلام وتقول التوراة لابراهيم عليه السلام فى سفر التكوين — ٢١ ، ٢٣ — وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك . وسيكون له شعب كبير ، يشير الى محمد صلى الله عليه وسلم وتقول لهاجر على لسان الملك : وسأكثر نسلك فلا يعد من الكثرة .

وفى كلام اشعيا فى الاصحاح الواحد والعشرين يقول : « وحى من جهة بلاد العرب ، هاتوا الماء لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء » .

ولقد أورد الامام القسطلانى هذا المعنى فى قول الشاعر العربى :

تـوراة مـوسى أتت عنـه فصدقتهـا
انجيـل عيسى بحـق غـير منتحـل
اخبار أحبـار أهل الـكتب قد وردت
عمـا رأوا ورووا فى الأعصـر الأول

وحيث انه قد ثبت أن التوراة بشرت بمحمد صلى الله عليه وسلم، فقد ثبت أن الانجيل بشر بنبوته أيضا على لسان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وصدق الله اذ يقول فى محكم التنزيل (**واذ قـال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصـدقا لمـا بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد**) .

وروى الامام البخارى والامام مسلم بطريق الاتفاق عن جبير بن مطعم رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لى خمسة أسماء أنا محمد ، وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحوالله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى يوم القيامة، وأنا العاقب الذى ليس بعدى نبى**) **صلوات الله وسلامه عليه بكل أسـمائه .**

واذا كان التبشير بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فى الانجيـل بلفظ « الفار قليط » فهذا اللفظ يقرب معنـاه من معنى « محمـد وأحمد » .

روى الامام أبو داود فى سننه عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه انه قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتوا النجاشى وذكر الحديث وفيه قال : (سمعت النجاشى يقول : اشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسـول الله ، وأنه الذى بشر به عيسى ، ولولا ما أنا فيه من الملك . وما تحملت من أمر الناس لأتيته حتى أحمل نعليه) وقوله وذكر الحديث يريد حديث اجتماع المهاجرين مع النجاشى ملك الحبشة . وروى الامام علاء الدين على بن محمد ابن ابراهيم البغدادى المعروف بالخازن فى (لباب التأويل فى معنى التنزيل) فى تفسير الآية السابقة عن كعب الأحبار رضى الله عنه أنه قال : (ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام ، يا روح الله هل بعدنا من أمة ؟ قال نعم أمة أحمد ، حكماء علماء ، أبرار أتقياء،

كأنهم فى الفقه أنبياء ، يرضون من الله باليسير من الرزق ، ويرضى الله منهم باليسير من العمل) .

وقد وصف المسيح عيسى عليه السلام هذا « الفار قليط » وصفا لا ينطبق الا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد قال : (انه يوبخ العالم على خطيئته ، وانه يعلم الناس جميع الحق ، لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع من عند الله) وهذا ينطبق على ما جاء فى القرآن المجيد فى وصفه صلى الله عليه وسلم : **(وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى) .**

هذا ، مع ما ورد فى انجيل برنابــا الذى ظهر منذ عهد قريب ، اسم محمد الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد ترجم هذا الانجيل الى اللغة العربية وطبع بمطبعة « المنار » سنة الف وتســعمائة وسبع .

وكان أمية بن الصلت كثيرا ما يقول : (انى لأجد فى الكتب صفة نبى يبعث فى بلادنا) وكان أمية نصرانيا عربيا له علم من الكتب السماوية . وحدث سلمان الفارسى رضى الله عنه أنه صحب قسيسا وكان يقول له : (يا سلمان ان الله سوف يبعث رسولا اسمه أحمد ، يخرج من جبال تهامة ، علامته أنه يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة) .

ويقرب من هذا ما أخرجه أبو نعيم فى « دلائل النبوة » عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ان قس بن ساعدة كان يخطب قومه بسوق عكاظ . فقال فى خطبته (سيجيئكم حق من هذا الوجــه . وأشار بيده نحو مكة ، قالوا له : ما هذا الحق ؟ قال رجل من ولد لؤى بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص ، عيش الابد ونعيم لاينفذ ، فان دعاكم فأجيبوه ، ولو علمت أنى أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسبقكم اليه) والله أسأل أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه .

ورفعنا لك ذكرك

الدكتور زكي مشعان

باسمك اللهم نور السموات والأرض نستفتح سبيلنا . وباسمك اللهم نسألك أن تشرح صدورنا وتيسر أمورنا ، وتشد أزرنا ، وتضع عنا وزرنا . اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة سبحانك ما أعظمك وما أكرمك . اللهم حمداً وشكراً اللهم عفواً وعزيمة وتثبيتاً ونصراً . لقد شاء الحكيم العليم أن يفيض من أنواره القدسية على عباده فكان من رحمته أن اصطفى من هؤلاء المخلوقين من يبلغه عنه جل ثناؤه وحيه ورسالته ، وصدق الحق جلا وعلا حيث قال « الله أعلم حيث يجعل رسالته » وان من حكمة اللطيف الخبير أن جعل لكل قوم فى كل عصر من يبصرهم ويرشدهم ويزكى نفوسهم



ويوقظ فطـرتهم الى الميثـاق الالهى الربانى الأزلى ميثاق الشهادة بالتوحيد توحيد المعبود الواحد هو (أن لا اله الا الله) ذلك الميثاق المأخوذ على النفوس والأرواح حيث كانت من دون
اشباح ومن دون أجسام تحل فيها بل انها كانت تسبح فى بحار النور والكمال ، واذ ذاك تكرم وتفضل العلى الكبير على تلك النفوس كلها فأنطقها بقدرته . فكان أول ما نطقت هو ميثـاق الوحـدة والتوحيد ولم يشهد على هذا الميثاق القدسى الالهى الا الحق الخالق وحده ، ولكن العليم لطبائع النفوس وطبيعتها على أن ستحل تلك النفوس فى أجسام وأبدان ذات أهواء وغرائز مختلفة أشد ما يكون الاختلاف بينها تبعا لمـا سيكون من شئون الحياة وعلم أن أصحاب هذه الغرائز والأهواء المتحكمة فى النفوس لا يستطيع أصـحابها أن يهتدوا الى الخير والحق والفلاح والى الصراط المستقيم الا بعاصم قوى من ذات أنفسهم يحفظهم من الزيغ والانحراف عن طريق الحق الى الباطل فأفاض عليهم من نعمته سبحانه فيضـا آخر يميزهم به عما سواهم من الخلق الا أنه العقل الجامع لفيض الخالق على عبده فأودعه بحكمته مستقرا بين النفس الانسانية وبين غرائزها ليكبح جماح الغرائز والأهواء كى لا تضل فتشقى ويشقى بها الانسان كله غير ان هذه العقول وضعت بقدر معلوم فليست على درجـة واحدة بل هى درجات بعضها فوق بعض ، ولذا اختلف بنو آدم فمنهم المهتدى الصالح ، ومنهم الفاجر الطالح . ولمـا كان معيـار الخير وميزان العدل والحق لا يستطيع العقل الانسانى وحـده الوصول اليه أو تحقيقه على الوجه الصحيح بين نفسه وبين من يعيش معهم على الكوكب الأرضى فقد تفضل رب العزة على الخلق بأن يهديهم الى طريق رحمته ليقربوا من فضله ورضـوانه فاختار جل شأنه أزكى خلقه عقولا واصفاهم نفسـا وأطهرهم نسـبا وحسبا . فكانوا هم المرسلين من لدن العلى الحكيم ، وهـؤلاء الرسل لا يفعلون ولا يقولون الا صدقا وأمانة ، وحقا وعدلا ، والله سبحانه يمدهم من نوره بوحيه . وليس للغرائز والأهواء ولا لعقول أولئك الرسل أى سيطرة أو تحكم فيما يأتى من الوحى السماوى . بل انه سبحانه حفظ كل رسول ونبى من وسوسة الشياطين كلها ، وكل رسول جاء قومه كان أول عمل وقول يقوم به هو أن يذكر الناس

بميثاق التوحيد الذى يدعو الى عبادة اله واحد وترك الشرك وعبادة غـــيره .

ثم يبين لمن أرسل اليهم الصراط المستقيم الموصل الى سعادتهم فى الدنيا والآخرة وهو الايمان باليوم الاخر يوم الحساب والآية الكريمة المذكورة فى القرآن آية الميثاق الأول فى سورة الأعراف تقول ((**وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين**)) .

ومهما يكن من أمر فان رسل الله وأنبيائه صلوات الله عليهم كانوا خير عباد الله الى خلق الله . فلولا هؤلاء المصطفون الأخيار ما وصل فضل الله ورحمته التى تمثلت فى صحفه المنزلة عليهم وكتبه المقدسة التى أوحى الله بها الى من اصطفى لتكون حجة على الناس كى لا يقول ((**ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين**)) وقد علم الحق تعالى أن الناس مع ما اوتوا من الرسل والكتب سوف يجحدون نعمة الله وينكرونها وأكثرهم كافرون فشاءت حكمته العليا أن يكون فى الكون بين الخلق سجل خالد كتاب محفوظ يذكر ما حدث من وحى بين رسل الله ومن أرسلوا اليهم ذلك الكتاب الجامع الخالد هو القرآن المجيد العزيز الحكيم وهو آخر الـكتب السماوية المنزلة على سيدنا محمد عليه أزكى صلاة وتســليم . ففى هذا الكتاب كل ما وقع من أحداث ووقائع فى الأمم مع رسلها كما ان فى هذا الكتاب العظيم ميثاقا الهيا أخذه الله على أنبيــائه حيث جمعهم فى الملأ الأعلى أرواحا ونفوسا من دون خلقه جميعــا فتعهدهم عهدا شديدا بأن يصدقوا ويؤمنوا بآخر رسول وخــاتم نبى فيقرو بذلك ، والآية التى توضح هذا الميثاق الالهى مع أنبيــائه فى سورة آل عمران تقول ((**وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لمــا آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لمـا معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين**)) .

وقد تحقق هذا الميثاق الالهى الأزلى لدى كل رسول فى دعوته . بل ان بعض الرسل بشر فعلا وقولا بنبوة سيدنا محمد معلنا بذلك

ما أقر به فى الميثاق . والدعوات كلها التى توالت فى الرسـالات السماوية كانت تهيىء وتمهد السبيل للدعوة المحمدية التى أكملت ما تقدمها فتم بها دين الله وتمت كلمته على العباد **حيث أذن فجـر ربيع الأول الثانى عشر بقدوم أعظم انسان وخير رسول على هـذا الكوكب الأرضى كان ذلك فى العام السادس الميلادى سنة ٥٧١م على الصحيح فى يوم عشرين من شهر أبريل وقد ولد صلوات الله عليه من أبوين كريمين يتصل نسبهما بنبى الله اسماعيل وقد مات ابوه وهو فى بطن أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف .**

ولا ريب أن هذا الميلاد وهذا النسب النبوى الشريف معـلوم ثابت خالد بخلود الدعوة الاسلامية الممثلة فى القرآن العظيم . واذا فكل عام فى شهر ربيع الأول يستقبل المسلمون ذكرى محببـة الى نفوسهم ذكرى يجرى حبها فى قلوبهم وأعصابهم جريان الدم فى العروق وسريان الروح فى الجسد . ويذكرون بها الحد الفاصل بين الظلام الذى خيم على الانسانية والنور الذى كشف لها الطريق ورفع عنها الحجب وأنار لها الحياة كما يذكرون أيضـا الحد الفاصل بين ما سقطت فيه الانسانية من حمأة الجهل والاستعباد وكبح الحرية والخضوع لغير الله وبين ما ارتفعت اليه من سـماء العلم ومكانة الرشد والاستقلال مع حرية الرأى والخضوع لله الواحد القهار ، من أجل ذلك كله تتجه مشاعر المسلمين وتهفو قلوبهم الى منابت هذه الذكرى العطرة النضرة ومع هذه الذكرى ذكرى سيدنا محمـد الأمين تكون ذكرى مكة المكرمة التى نشأ وترعرع فيها ومن هـذا البلد الآمن تفجرت ينابيع الحكمة والهداية وارتوى من سلسبيلها الانسان فى كل زمان ومكان فشعر بعزته وشعر بمكانته فى الحياة .

ولـما بلغ صلى الله عليه وسلم أشده واستوى على سـن الأربعين آتاه الله العلم والحكمة وجعله نبيا وختم به رسـالاته واكمل به دينـه .

ان ذكرى رسولنا لمستقرة فى نفس كل مؤمن لا تنسى ولا يختص بها زمان دون زمان فقد قرن الله بينه وبين اسمه الكريم فى كلمـة التوحيد التى هى أعظم كلمة فى السماء والأرض والتى يكون بهـا المرء مسلما وهى لا اله الا الله محمد رسول الله . وقد جعـل

الآذان للصلاة يذكر فى كل يوم خمس مرات يذكر فيه أسم سيدنا محمد عاليا . بل ان ما يدل على سمو صاحب الرسالة وعلو ذكراه أن الصلاة التى فرضها الله على العباد تختم بتوحيد الله والشهادة بأن محمدا رسول الله ثم الصلاة على هذا النبى والسلام عليه كما هو معلوم أليس ذلك يدل على رفعة مقام ذلك النبى العربى ؟ بلى بل ان القرآن العظيم يثبت تعظيم رب العزة للمصطفى عليه السلام حين يناديه فى تشريف وتقدير فيقول ((**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك**)) ويقول ((**يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا**)) . وصدق الحق جل ثناؤه اذ قال ((**ورفعنا لك ذكرك**)) فهذا لعمرى هو الخلود الصحيح القائم على الحق والخير ما بقيت الانسانية وما بقى الدين ، ويجب أن يعلم أن الأولين فى السلف الصالح كان ايمانهم بهذه الذكرى ايمانا بالأفعال قبل الأقوال بالقلوب والأرواح قبل الصور والأشباح بكل لون من الوان التضحية والايثار والجهاد .

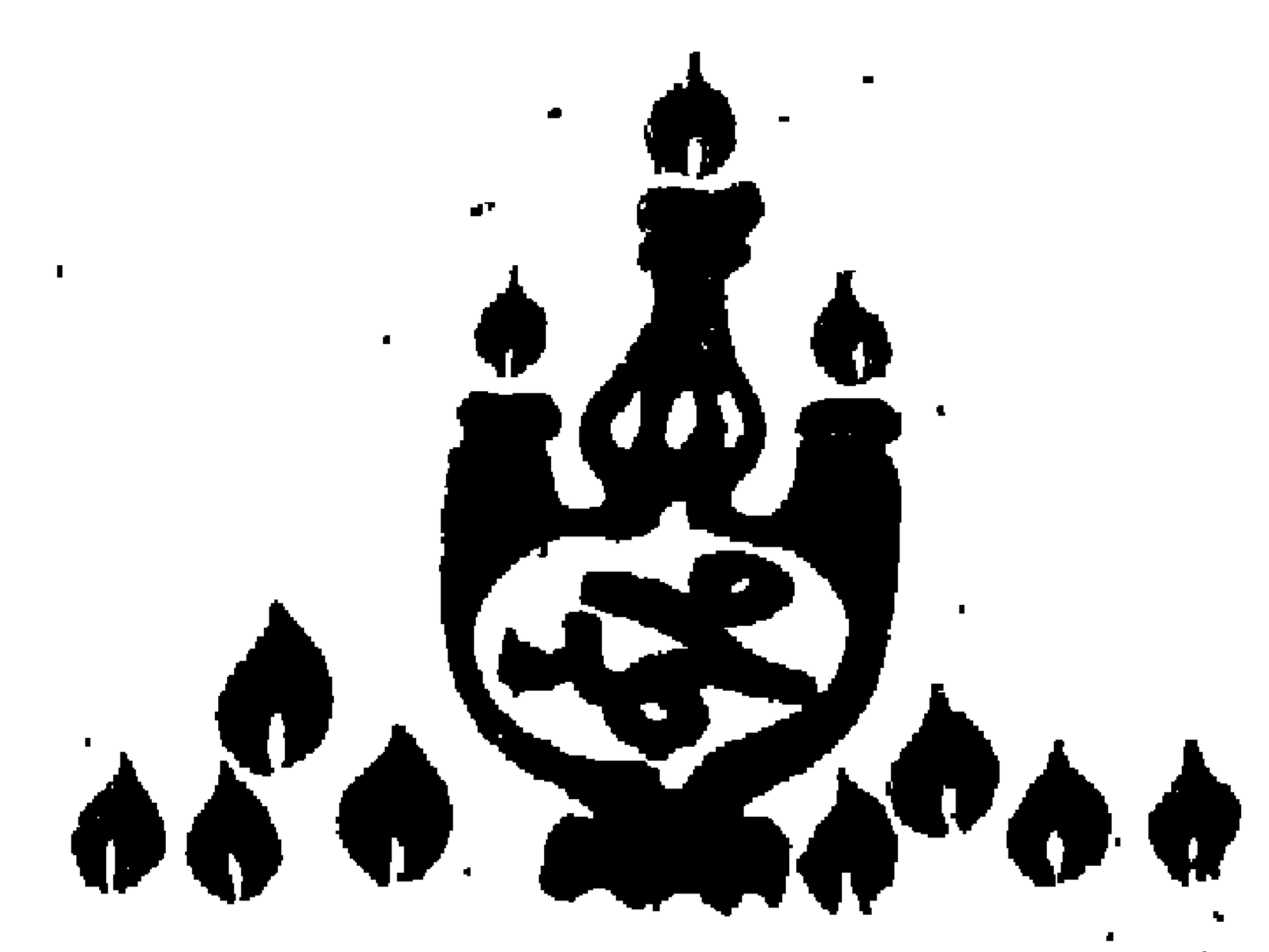
امنوا بنبيهم وذكراه عن طريق اتباعه واحياء سنته والتحلى بأخلاقه واقامة شرعه ودينه وأدركوا ان هذا هو آية المحبة الصادقة وللمحبة الصافية حقوق وواجبات وعليها تبعات فمن حقوق المحبة الصافية متابعة الحب لمحبوبه والرضا بما يرضيه والغضب لما يغضبه ومن تبعاتها تحمل المشاق والتضحية بأعز شيء فى سبيل الوصول الى رضاه ((**قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم**)) .

فكانت ذكرى ميلاد النبى ماثلة فى اقوالهم اذا نطقوا وفى افعالهم اذا فعلوا فى جميع شئونهم الدنيوية والأخروية أساس هذه الذكرى المتصلة فى دمائهم ونفوسهم الكتاب المبين الذى هو دستور الحياة ثم تحولت هذه الذكرى بمرور العصور الى اقوال تكتب فى الصحف وفى الكتب وتقام لها الحفلات يرجعون اليها كلما عودتهم الذكرى وتركوا الاقتداء والاهتداء الصحيح بالنبى الآمين ونسوا أن دينهم دين عمل أساسه الايمان واليقين . فاللهم أهدنا كما هديت السلف الصالح الى اتباع فضائل صاحب الذكرى المحمدية وانصرنا به وأعزنا انك حسبنا نعم المولى ونعم النصير .

النبي المجاهد

فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار

شرف الله الانسانية ببعث محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى اصطفاه لتحمل أعباء الدعوة الى الله : وأرسله شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا .. وأمره بأن يدعو الناس الى عبادة الله الواحد الأحد والى العمل من أجل ترقية الحياة وتقدمها ، وفى سبيل تحرير الانسان وتأكيد كرامته التى أكدها بقوله : (ولقد كرمنا بنى آدم ، وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) .. ورسم الاطار العام للدعوة ليكون فى نطاق قوله تعالى : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) ..



وانطلق الرســول العظيم بالدعوة ، وطريقه الســلام والأمن والموعظة الحسنة ، لكنه يقابل بأشد الوان التحدى من طواغيت قريش ، وهو يمضى فى طريقه ، داعيا الى ســبيل ربه بالكلمــة الطيبة والقدوة الصالحة ، وبلغ التحدى ذروته يوم الطائف ، حينما القيت عليه الأحجار من السفهاء — والحاقدين ، ويوجه ناظريه الى السماء ، داعيا ربه بهذا الدعاء الحنون ((**اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ، أم الى عــدو ملكته أمرى ، ان لــم يكن بك غضب على فلا أبالى : غير أن عافيتك أوسع لى ، اعوذ بنــور وجهك الذى أشرقت له الظلمـــات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك ، او يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك .**

***

وهاجر الى المدينة ، وانتقلت الدعوة من افق ضــيق الى افق أرحب ، ولم يزل المعاندون يقفون فى وجه الدعوة ، ويحاولون القضاء عليها وعلى قائدها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وهنا ينزل الوحى من السماء ينادى المســلمين بوجــوب الدفاع عن عقيدتهم ، وعن أرضــهم ، وعن حريتهم ، حيث يقــول القرآن الكريم : (**أذن الذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهــم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنــا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضــهم ببعض ، لهدمت صــوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، أن الله لقوى عزيز**) .

ودخل رسول الله معـــارك طاحنة ضــد قوى الشر والبغى والعدوان ، ولقد دخل سبعا وعشرين معركة بدأها فى سن الثالثة والخمسين من عمره ، أى انه حارب سبعا وعشرين معركة فى أقل من عشر سنوات ، فما كاد ينتهى من معركة الا وهو يعد لأخرى ، واستطاع أن يجلى اليهود عن المدينة وما حولها ، لقد اجلى يهود بنى قينقاع وبنى النضير وبنى قريظة حتى تطهرت المدينة من رجسهم ومكرهم وخداعهم ، واليهود أعداء الانسانية ، انهم لا يعيشون الا

على الوقيعة والكذب والطمع ، فهم الذين نشروا الربا فى الجزيرة العربية ليستولوا على أرزاق الناس ، وينهبوا ثرواتهم وخـيرات أرضهم ، ولقد حرم الاسلام الربا تحريما قاطعا فى قوله تعالى : **((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون))** ..

ولكى يقطع دابر الربا من الجزيرة العربية كان لابد من أن يقطع دابر اليهود الذين قالوا فى حق الله ما حكاه القرآن الكريم فى قوله **((لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق))** وفى قوله : **((وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء))** ..

ويذكر التاريخ عنهم انهم حينما رأوا المسلمين فى فرح وسرور لانتصارهم يوم بدر مع قلتهم ، على المشركين مـع كثرة عددهم وسلاحهم ، قالوا لرسول الله مهددين : لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة ، أما والله لئن حاربناك لتعلمن انا نحن النـاس .. الا أن الرسـول لم يهتز أمام حرب الأعصاب هذه التى يجيدون فنونها ، ولم يلق بالا لدعاياتهم الجوفاء بل انه ــ يسمعهم بقوة ردّ القرآن الكريم عليهم فى قوله تعالى : **((قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد ، قد كان لكم آية فى فئتين التقتا : فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين : والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار))** ..

***

ولقد كان رسول الله المثل الأعلى فى الشجاعة ، ولا سيما فى مواطن الشدة ، وساعات الحرج ، فها هو ذا يوم أحد يقف وسط الميدان يقود المعركة واستطاع الأعداء أن يصلوا قريبا منه ، فرماه أحدهم بحجر كسر أنفه ورباعيته وشجه فى وجهه حتى سالت منه الدماء ، وشاع وسط المعركة أن محمدا قد قتل ، فجزع كثير من المسلمين ، ويروى فى ذلك أن انس بن النضير مر بقوم من المسلمين

انكسرت نفوسهم والقوا سلاحهم ، فقال لهم : ما تنتظرون ؟
قالوا قتل رسول الله ، فقال : وما تصنعون بالحياة من بعده ؟
قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم استقبل المشركين ، فما زال يقاتلهم حتى استشهد .. ووسط هذه الشدة سمع صوت الرسول الجريح وهو ينادي أصحابه فى شجاعة نادرة **الى عباد الله ... الى عباد الله فاجتمع اليه نحو ثلاثين رجلا ، ومضى النبى يدعو المسلمين اليه واستطاع بالرجال القلائل الذين معه أن يعيدوا كفة المعركة الى صالحهم ، وأمرهم بأن ينزلوا قريشا من القمة التى احتلوها فى الجبل قائلا : ليس لهم أن يعلونا : فقاتلوهم حتى أجلوهم عنها ، وانسحبوا ولم يكسبوا من المعركة شيئا ، فالقائد موجود ولم ينقص منه الا قطرات من دمه الزكي : والعاصمة وهى المدينة سالمة ، والأرض لم يحتل منها شبر واحد ، وخرج المسلمون** بدروس مستفادة ، تفيدهم فى معاركهم المقبلة مع أعداء الحق واعداء الحياة وسجل القرآن الكريم بعض هذه الدروس فى قوله تعالى :
((وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين))
لقد نفت هذه الآية عن الجندى المسلم ثلاث صفات سلبية ؛ وهى **الوهن** والوهن يكون فى القلب ، **والضعف** وهو يكون فى الجسد **والاستكانة** للعدو ، وذلك بالرعب منه ، والوقوع فى حبائل دعايته وتأتى الآية التالية فتثبت لهم صفات ثلاث ايجابية ففى مقابل وهن القلب تكون طهارة القلب ويكون الاتصال بالله القوى الذى يؤيد عباده الصادقين بنصره ، ويمدهم بتأييده ، بعد أن يخلصوا نياتهم له ، وبعد أن يعدوا كل ما يستطيعون من عدة ثم لا يأخذهم الغرور بعددهم ولا بعتادهم ، قال تعالى : ((**وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا** » وفى مقابل ضعف الجسد يأتى قوله تعالى ((**وثبت أقدامنا**)) وفى مقابل الاستكانة للعدو يأتى قوله تعالى ((**وانصرنا على القوم الكافرين**))
اى املأ قلوبنا شجاعة وقوة واملا قلوبهم رعبا وضعفا وخوفا ، **واكتب لنا نصرا مؤزرا من عندك ،** فقد كتبت العزة لك ولرسولك وللمؤمنين وكتبت النصر لعبادك المؤمنين المجاهدين ((**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين**)) ..

***

وامام هذه الدروس المستفادة من المعركة تأتى النتيجة فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين ان هذه الدروس قد استفادوها من قائدهم محمد بن عبد الله الذى كان يستبق الصفوف فى وقت المعارك ، ولم يصدر أوامره ويبتعد عن الميدان ولكنه كان مع أصحابه يصيبه ما يصيبهم ويعيش معاناة المعارك وشدتها ، ولهذا فهو المثل الأعلى لأمته والاسوة الحسنة للمؤمنين فى جميع مراحل التاريخ ان المؤمن الحق هو الذى يرفض الضيم ، ويأبى الذل ، ولا يستسلم للهوان انه بحكم اسلامه مفروض عليه **أن يعيش حرا فلا يستعبده انسان ولايحنى جبهته الا لقيوم السموات والأرض القائم على كل نفس بما كسبت ومفروض منه أن يحمل السلاح دفاعا عن حقه فى الحياة ، وعن حقه فى الحرية والكرامة .. وحسبه أن يعيش حرا فى دنيا الناس وله أجر المجاهدين الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا شهيد على هؤلاء انه ما من جريح يجرح فى سبيل الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه، اللون لون دم والريح ريح مسك» ..**

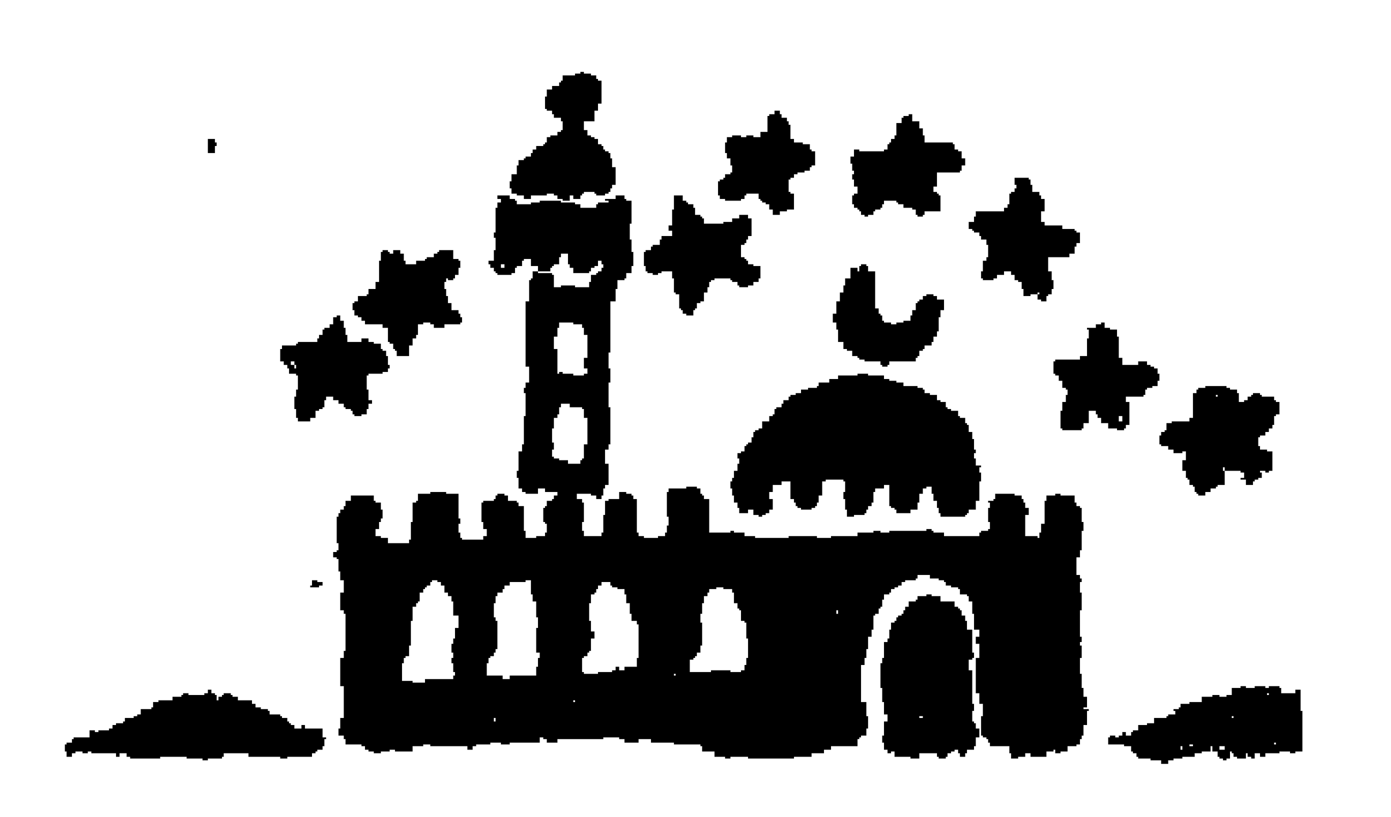
وصدق الله العظيم وهو يقول « انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم أن كنتم تعلمون » .

الرسول القائد
شجاعته وبطولته

فضيلة الشيخ عبد المنصف محمود عبد الفتاح

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ((كان رسول الله أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة : فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — راجعا وقد سبقهم الى الصوت ، وهو على فرس لأبى طلحة عرى ، فى عنقه السيف ، وهو يقول : لم تراعوا .. لم تراعوا .. قال : وجدناه بحرا أو انه لبحر .. قال : وكان فرسا يبطأ)) رواه مسلم فى صحيحه ..

الشجاعة : صفة من أجل الصفات الانسانية : التي يتحلى بها أصحاب النفوس الأبية ، والقلوب القوية ، والهمم العلية ، والعزائم الفتية .. وهى وسط بين رذيلتين : احداهما الجبن : وهى الخوف مما لا ينبغى أن نخاف منه ، والأخرى : التهور : وهو الاقدام على ما لا ينبغى الاقدام عليه .. ويقال لها : الجرأة : وهى غريزة تحمل صاحبها على مواجهة الأخطار والالام بثبات ورباطة جأش .. وهى



اما أدبية : وذلك بأن يقول الحق الذى يعتقــده وان كان مرا ، أو مادية : كمنازلة الأعداء فى ميادين القتال والحروب بعزيمة صــادقة وارادة صلبة ..

وقد ذكر فى الحديث ثلاثة أشياء من صفات النبى صلى الله عليه وسلم : تعتبر جماع الفضائل كلها وهى : **الأحسنية ، والأجودية ، والأشــجعية ..**

قال بعض الحكماء : « للانسان قوى ثلاث : العقلية والغضبية والشهوية .. وكمال القوة الغضبية : الشجاعة ، وكمال القــوة الشهوية : الجود ، وكمال القوة العقلية : الحكمة ، والأحسن : اشارة اليه ، لأن حسن الصورة : تابع لاعتدال المزاج ، واعتدال المزاج : تابع لصفاء النفس : الذى به جودة القريحة .. وهذه الثلاث هى أمهات الأخلاق » .

وللشجاعة : أثرها العظيم فى حياة الأفراد والجماعات ، والأمم والشعوب ، حيث يترتب عليها : صيانة أعراض الناس وحرماتهم ، وسلامة حياتهم وأموالهم ، والحفاظ على أمنهم وحرياتهم .. كما أنها تحمى الأمة من كل اعتداء داخلى أو خارجى ..

وليس أدل على شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم ، من أنه خرج فى ظلام الليل الدامس ، يتلمس سبب الفزع قبل أن يخرج الناس ، ويواجه الخطر بنفسه قبل أن يلقاه غيره .. وبعد أن استبرأ الخبر وحققه : رجع اليهم يهدىء روعهم ، ويطمئن نفوسهم ، قائلا لهم : لم تراعوا : أى لا تفزعوا ولا تخافوا ..

وقد تجلت شجاعته صلى الله عليه وسلم ، فى أوضح صورها فى حروبه وغزواته ، فكانت بحق مضرب الأمثال .. وهو الذى لم يتعلم الفنون الحربية ، ولا الهندسة العسكرية : فى معهد أو كلية ، وانما علمه ربك الذى أوحى اليه بقوله : ((**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما**)) النساء .

قال « جان يرو » الكاتب الفرنسى يصف خاتم النبيين والمرسلين : « وقد كان محمد نبيا ومشرعا ، وسياسيا وملكا عظيما ، وخطيبا

مفوها ، وقائدا خطـيرا محنكا .. وان كان لم يدخل جامعـة من جامعات الرومان ، ولا مدرسـة من مدارس فارس » .. وقال « لامارتين » المؤرخ الفرنسى : « كان محمد حكيما بليغا ، وفيلسوفا خطيبا ، ورسولا معلما ، ومجاربا شجاعا ، ومفكرا عظيما : مصيبا فى أفكاره وتعاليمه ، أسس امبراطورية روحية ، متحدة قوية ، واذا أردنا أن نبحث عن انسان عظيم : تتحقق فيه جميع الصفات العظيمة الانسانية ، فلن نجد أمامنا سوى محمد الكامل » .. وصدق كل منهما فيما قال ..

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : **المثل الأعلى فى الشجاعة النادرة : والبطولة الفائقة** .. وكان الصحابة رضوان الله عليهم ! يعرفون له هذه الشجاعة المنقطعة النظير . وكان الشجعان والأبطال : هم الذين يجدون من أنفسهم الجرأة على الوقوف بجانبه فى ساحة الحرب ، لمـا يشاهدونه من شدة بأسه ، وقوة صراعه .. فعن البراء بن عازب رضى الله عنه أنه قال : : « **كنا اذا أحمر البأس نتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم** وان الشجاع منا الذى يحاذى به » وعن على كرم الله وجهه أنه قال : « **كنا اذا اشتـد البأس ، وأحمرت الحدق ، ولقى القوم القوم : اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما يكون أحد أقرب الى العدو منه** » .

ولم يول رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره ولا مرة واحدة فرارا من أعدائه .. بل الثابت أنه ضرب أروع مثل فى الشجاعة عندما وقف فى غزوة أحد : يدعو الفارين من أصحابه قائلا : « الى عباد الله ، أنا رسول الله ، من يكر فله الجنة » .. وفى هذا يقول الله تعالى : « **اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى اخراكم** » آل عمران .. أى يدعوكم فى الجماعة المتأخرة الذين ثبتوا مكانهم ، وظلوا يدافعون عن النبى صلى الله عليه وسلم ..

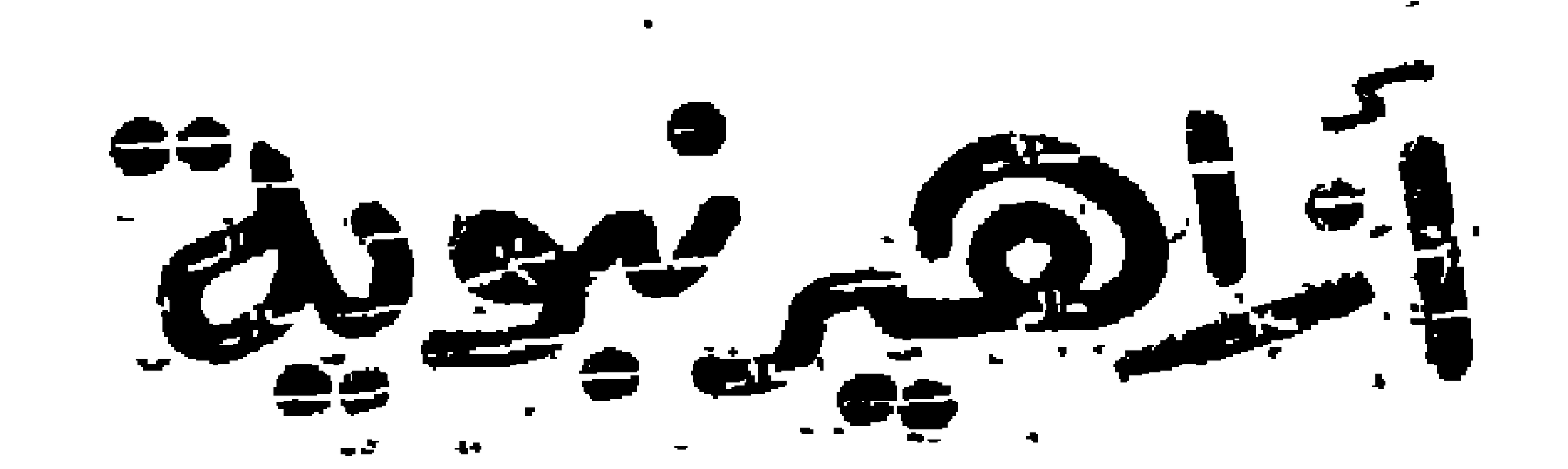
كما أنه وقف فى غزوة حنين ، بعد أن تفرق عنه المجاهدون من المسلمين ، وظل ثابتا لا يتزحزح أمام جيش كثير العدد كامل العدة .. روى البخارى فى صحيحه عن أبى اسحاق قال رجل للبراء بن عازب : « أفررتم عن رسول الله عليه وسلم يوم حنين ؟ قال : **لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر .. ان هوزان : كانوا قوما رماة ، وانا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا ، فأقبل المسلمون على الغنائم ، واستقبلونا بالسهام .. فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم**

يفر .. فلقد رأيته وانه لعلى بغلته البيضاء ، وأن أبا سفيان آخذ بلجامها ، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : أنا النبى لا كذب .. أنا ابن عبد المطلب » .

وبينما كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب : آخذا باللجام ، كان العباس آخذا بالركاب .. وكان جهير الصوت ، فأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن ينادى القوم « يا أصحاب الشجرة ، فكروا وهم يقولون : لبيك لبيك ، وأخذوا فى قتال العدو .. يتقدمهم : قائدهم البطل الشجاع ، وظاهرتهم قوة من الله ، فأنزل جنودا من الملائكة لنجدتهم ، بعد ما تركتهم فى بادىء المعركة لأنفسهم وكثرتهم التى أعجبوا بها .. ونزلت الآيات تعتب على الفارين والهاربين من القتال وتبين لهم نعم الله عليهم » : « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين . ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين » التوبة .

عن عبد الرحمن مولى بن برثن قال : « حدثنى رجل كان من المشركين يوم حنين قال : لمـا التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ، لم يقوموا لنا حلب شاة ، قال : فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم فى آثارهم ، حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء ، فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه ، فقالوا لنـا : شاهت الوجوه ارجعوا قال : فانهزمنا وركبوا أكتافنا ، فكانت ايـاها : يعنى الملائـكة » .

وهكذا ظل رسـول الله صلى الله عليه وسلم : بهـذه الروح العسكرية : مدافعا عن شريعته ودينه : وكرامة اسـلامه وعزة ايمانه ، ومن ورائه الأبطال الشجعان : الذين ساروا على نهجه الكريم ، واهتدوا بهديه ، فتهافتوا الى ميادين القتال ، وراحـوا فدائيين لمجد امتهم ورفعة أوطانهم ، لا يهمهم أوقعوا على الموت ، أم وقع الموت عليهم : ففتحوا الممالك ، ومصروا الأمصار ، وملكوا البلدان ، ومكن الله لهم فى الأرض ، وجعلهم سادة قادة ، وجعلهم أمة وجعلهم الوارثين ، وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين .



الاستاذ محمد عبده قناوى

● ما أعظمها شهادة ●



يقول الله تعالى فى مدح نبيه عليه السلام : (وانك لعلى خلق عظيم) فما أعظمها من شهادة وأى شهادة أصدق من شهادة السماء التى لا تحابى أحدا ؟ .

● ابن الذبيحين ●

يلقب الرسول — صلى الله عليه وسلم — (بابن الذبيحين) أما الذبيح الأول فجده اسماعيل عليه السلام الذى قال له أبوه ابراهيم عليه السلام يا بنى انى ارى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى فقال له والايمان ملء قلبه : يا ابت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ، ويفدى الله اسماعيل بذبح عظيم .

أما الذبيح الثانى فهو عبد الله والد الرسول — عليه السلام — فتروى كتب السنة أن والده عبد المطلب نذر لله ان رزقه بعشرة

أبناء أن يذبح واحدا منهم عند الكعبة وفعلا رزق عبد المطلب عشرة أبناء فأخذ أبناءه الى الكعبة وأجرى عندها قرعة بينهم ليكون أحدهم فداء كما نذر فخرجت القرعة على عبد الله والد الرسول .

فلم يخف عبد الله الذبح ، ولكن الناس حالوا بين الوالد وذبح ابنه ثم اقترحوا عليه أن يجرى القرعة بين عبد الله وعدد من الابل ويكرر اجراء القرعة حتى تخرج على الابل واستجاب عبد المطلب لذلك فلم تخرج القرعة على الابل الا حين بلغت المائة وأعاد القرعة ثلاث مرات حتى يطمئن فكانت تخرج فى كل مرة على الابل المائة وهنا ذبح عبد المطلب الابل ونجا عبد الله لينجب لنا رسول الفداء ومعلمه المثالى .

● أوربيون يمدحون الرسول ●

اذا أعجب بالرجل أتباعه وأنصاره فهذا دليل على أنه عظيم بلا شك ، ولكن اذا أعجب به بالاضافة الى أنصاره أقوام لا يتبعونه ولا يمتون له بأدنى صلة فهو عظيم يتربع على ذروة العظمة وتكون عظمته عظمة العظمات ، هذا هو نوع عظمة الرسول — صلى الله عليه وسلم — فالى جانب اعجاب المؤمنين به فى كل جيل نسمع كتابا أوربيين غير مسلمين يمدحونه ويظهرون اعجابهم به وها هى بعض الأمثلة :

● يقول برناردشو (لو أن محمدا رسول الاسلام جاء وسط هذا العالم المليء بالمشاكل والصراعات لاستطاع أن يحل مشكلات العالم وهو جالس يشرب فنجانا من القهوة) .

● ويقول ول ديورانت صاحب الموسوعة الرائعة (قصة الحضارة) :

(اذا ما حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر فى الناس قلنا ان محمدا كان من أعظم عظماء التاريخ فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحى والأخلاقى لشعب ألقت به دياجير الهمجية

حرارة الجو وجدب الصحراء ، وقد نجح فى تحقيق هذا الغرض نجاحا لم يزاحمه فيه أى مصلح آخر فى التاريخ كله وقل ان نجد انسانا غيره حقق ما كان يحلم به من اصلاح) .

● ويقول الكاتب الانجليزى (توماس كارليل) الذى وقف يرد على هؤلاء الذين رموا رسول الله ــ جهلا وكنودا ــ بقواذع الهجاء وقواذف الذم وقد رد عليهم بمقالة رائعة بعنوان (البطل فى صورة رسول الاسلام) وهى موجودة فى كتابه الرائع (فى البطولة والأبطال وعنصر البطولة فى التاريخ) والتى يقول فيها :

لقد أصبح من اكبر العار على أى فرد متمدين من أبنـــاء هذا العصر أن يصغى الى ما يظن من ان دين الاسلام كذب ؛ وان محمدا خداع مزور ، وآن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هــذه الاقوال السخيفة المخجلة فان الرســالة التى أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير لملايين من الناس طيلة هذه القرون) .

هذه قطرات من بحر الاعجاب برسول الاسلام الذى بهر بعظمته القريب والبعيد ، المسلم ، وغير المسلم على حد سواء .

● كان يمزح ولا يقول الا حقــا ●

كان رسول الله يمزح ولا يقول الا حقا فيروى أن امرأة عجوزا جاءته يوما فقالت : (يا رسول الله ادع لى الله أن يدخلنى الجنة ، فقال لها ان الجنة لايدخلها عجوز ، فجزعت العجوز وانصرفت حزينة فقال الرسول لأصحابه ردوها على ، فلما جاءت قال : ان الجنة لا يدخلها عجوزاما قرأت قوله تعالى ((**انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا**) .

فانطلقت أسارير المرأة .

● الرسول قــدوة الأزواج ●

قالت السيدة عائشة رضى الله عنها :

كان بينى وبين رسول الله كلام فقال : من ترضين أن يكون حكماً بينى وبينك ؟ اترضين بأبى عبيدة بن الجراح ؟ قلت : لا ذلك رجل هين لين يقضى لك قال : اترضين بأبيك ؟ قلت : نعم .

فلما جاء أبو بكر قال رسول الله : أقصصى . قلت : اقصص أنت . فقال الرسول :

هى كذا وكذا . فقلت : أقصد فرفع ابو بكر يده فلطمنى وقال لى : أتقولين يا بنت أم رومان لرسول الله أقصد ؟ من يقصد اذا لم يقصد رسول الله فجعل الدم يسيل من أنفى ورسول الله يحجزا بيننا ويقول لأبى بكر :

(انا لم نرد منك هذا) وجعل يغسل الدم من ثيابى ويقول :

(أرأيت كيف أنقذتك من الرجل) .

● ماأروع حلم الرسول ●

لقد كان الرسول حليما مثاليا فيروى أن يهوديا كان له عنده دين فأراد أن يطلب دينه قبل حلول أجله ، فاعترض رسول الله فى طريق المدينة ، وقال : انكم بنى عبد المطلب قوم مطل (مماطلون) .

ورأى عمر ذلك فاشتد غضبه وقال : ليأذن لى رسول الله فأقطع عنقه .

فقال النبى : (أنا وصاحبى أحوج الى غير هذا يا عمر ، مره بحسن التقاضى ومرنى بحسن الأداء) ثم التفت الى اليهودى وقال : (يا يهودى انما يحل دينك غدا) فما أعظمه من حلم يجب أن نقتدى به فى كل مواقفنا .

● الرسول أمام البلغاء ●

يقول عليه السلام : (انا افصح الناس بيد انى من قريش ونشأت

فى بنى سعد) وسأله أبو بكر رضى الله عنه : (لقد طفت فى العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك فمن أدبك ؟) فقال عليه السلام : (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) .

وكان الرسول — كما يروى الحسين بن على — (لا يتكلم فى غير حاجة ، طويل السكوت يفتح الكلام ويختمه بأشـداقه (اى يستخدم جميع فمه للتكلم ولا يقتصر على تحريك الشفتين وذلك من قوة المنطق ووضوح الصوت وروعة المعنى وحضور الذهن واجتماع الخاطـر) .

● الرسول امام الشجعان ●

لا يستطيع أى شجاع صنديد أن يزاحم رسول الله فى الشجاعة التى تربع على قمتها وسيزال كذلك ، وها هى بعض الأمثلة التى تبرهن على شجاعته :

● يقول الصحابى الجليل عمران بن حصين : (ما لقى النبى كتيبة الا كان أول من يضرب) .

● كان عليه السلام اذا لقى العدو يخترق صفوفه فى ثبات وخفة حتى ان عمه العباس رضى الله عنه كان يأخذ بخطام دابة النبى حتى لا يلتحم بالأعداء داخل صفوفهم .

● ويقول على بن أبى طالب : (كنا اذا حمى البأس ، واحمرت الحدق اتقينا برسول الله — صلى الله عليه وسلم — فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ، ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو أقربنا الى العدو وكان من أشـد الناس يومئذ بأسا .

● الرسول نعم الصديق الوفى ●

لمـا استشهد مولاه زيد بن حارثة فى غزوة (مؤتة) قال عليـه السلام : لقد جاهد زيد فى الله حق جهاده وقد لقى الله اليوم فلا بأس

عليه ، ولكن ابنة زيد وجدته بعد ذلك يبكى على جثة أبيها فقالت : ماذا أرى ؟ فقال عليه السلام والدمع فى عينيه : (صـــديقا يبكى صـــديقه) .

ويعلق (توماس كارليل) الكاتب الانجليزى على هذه القصـــة قائـــلا :

(مثل هذه الأقوال ، وتلك الأفعال ترينا فى محمد أخا الانسانية الرحيم ، أخانا جميعا الرءوف الشفيق وابن أمنا الأولى وأبينـــا الأول) .

● الرسول نعم المربى ●

طلب اعرابى يوما من النبى صلى الله عليه وسلم شيئا فأعطاه ، ثم قال له : أأحسنت اليك ؟ فقال الاعرابى : لا ، ولا أجملت ، فغضب المسلمون وقاموا اليه ، فأشار اليهم النبى بأن كفوا ، ثم دخل منزله وأرسل الى الاعرابى وزاده شيئا ثم قال : أأحسنت اليك ؟ قال : نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال له النبى — صلى الله عليه وسلم — انك قلت ماقلت وفى نفس أصحابى شىء من ذلك فاذا أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال : نعم .

فلما كان الغداة جاء فقال النبى : ان هذا الاعرابى قال ما قال فزدناه فزعم أن رضى أكذلك يا أعرابى ؟ فقال الاعرابى : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال النبى : ان مثلى ومثل هـــذا الاعرابى كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فتبعها الناس فـلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة : خلوا بينى وبين ناقتى فانى أرفق بها وأعلم . فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخـــذ لها من قمام الأرض فردها هونا هونا حتى جاءت واستناخت وشدّ عليها رحلها واستوى عليها .

وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار .

● الأعشى يمدح رسول الله ●

الأعشى شاعر جاهلي كان يمتاز شعره بالموسيقى الرائعة حتى اطلقوا عليه لقب (صناجة العرب) .

وقد أدرك الأعشى الاسلام وأعجب برسول الله فمدحه بقصيدة رائعة ولكن قريشا علمت بما انتواه الأعشى فخافت عاقبة اسلامه وقالت : هذا صناجة العرب ما مدح أحدا الا رفع قدره ، ولئن أتى محمدا واتبعه لكان فى ذلك ضرر كبير علينا . فأغروه على عـدم الاسلام وتأخير هذا الأمر مقابل مائة من الابل فقبلها وانصرف الى أهله حتى اذا كان بقرب (منفوحة) نفر بعيره فرمى به فوقع على الأرض فمـات .

أما القصيدة التى قالها فى مدح الرسول فاننا نختار منها هـذه الأبيـات :

وآليت لا أرثى لهـا من كلالة	ولا من حفى حتى تلاقى محمدا
متى ما تناخى عند باب ابن هاشم	تراحي وتلقى من فواضله ندى
نبى يـرى مالا تـرون وذكره	أناخ لعمرى فى البلاد وانجـدا
له صدقات ما تغب ونائل	وليس عطاء اليوم مانعه غـدا
أجدك لم تسمع وصاة محمـد	نبى الاله حين أوصى وأشهدا
اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى	ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على الا تكون كمثـله	فترصد للامر الذى كان أرصدا

❋ ❋ ❋

وبعد .. سيدى يا رسول الله ما أعظم الحديث عنك ، وماأحلاه على الألسنة وما أعذبه فى الأسماع ، وما أروع وقعه فى القلوب . حياك الله فى يوم ميلادك يوم أن أرسلتك العناية الالهية لتخـرج الناس من الظلمات الى النور فأديت الأمانة أحسن ما يكون الأداء ، وبلغت الرسالة أحسن ما يكون التبليغ .

مولد النور
في أرض الصخور

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

دعا ابراهيم عليه السلام ربه قائلا :

((ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم)) (البقرة — ١٢٩) .



أرأيت كيف أصبحت أرض الصخور مشرقا للنور ؟؟ .

ألم تر كيف أضحى سكان الصحراء والبيداء أساتذة الفضائل وأئمة الأخلاق ؟؟ .

ألم تر أن الاسلام قد صنع من رعاة الغنم قادة الأمم ؟؟ .

ذلك لأن محمدا رسول الله قد بدل ظلام الحياة نورا ، وذل الأميين عزا وهدى الناس الى صراط مستقيم وصدق الله العظيم اذ يقول :

هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » . (سورة الجمعة آية ٢) .

وبفضل الله وبرحمته ، وبهدى محمد ورسالته ، انتشر دين الله فى ربوع الأرض فصحح العقائد ، وأقام القواعد للحياة الاجتماعية ، وأرسى أسس العدالة الانسانية ، وبنى الحضارة الحقة والمدنية فارتفع بها شأن الأمة العربية فانتصرت دعوة الحق والقوة على الطغاة الصادين عن سبيل الله حقدا على رسالة خاتم النبيين المبعوث رحمة للعالمين !! على ابن عمومتهم (ابن مكة) ومطهرها من الصنم والوثن صلى الله عليه وسلم وقد كان ابنهم هذا رسولا من أنفسهم ومفخرة للعرب جميعا فهو أستاذ الأنسانية ، وهادى البشرية ، وهو نور أضاء الدنيا بالوحى المحمدى ، والهدى الألهى، والنور السماوى ، والدستور القرآنى والمنهاج الاسلامى الكريم :

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » (١٥ — ١٦ — المائدة) .

فالنور هو رسول الله : والكتاب المبين هو القرآن الكريم :

وفضل محمد على الناس لا ينكره الا جاحد ، وفضل القرآن لا ينساه الا حاقد فاجر أو ملحد كافر ، أو لم يكف الحاقدين قول الله لنبيه العظيم : ؟

(وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) . وقوله جل شأنه :

« يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » (الأحزاب ٤٥ — ٤٦)

والله قد أوجب على المؤمنين أن يحبوه كما يحبون ربهم ، فوق محبة الآباء والأبناء والأهل والأقرباء والأموال والزوجات والعشيرة،

وأوجب عليهم كذلك الجهاد فى سبيل الله ابتغاء مرضاته وحبا فى جناته « **قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين** » (التوبة — ٢٤) .

ومن عرف شمائل النبى صلى الله عليه وسلم من حلم وعلم وعفو وبر وتواضع فى غير ضعف ، وقوة فى غير عنف ، وشجاعة فريدة فى نوعها ، مثالية فى صدق العزيمة وبغض الهزيمة فى مواجهة الأضاليل والأباطيل ، الى غير ذلك من صفات الفضل والنبل ، مع فصاحة اللسان وقوة البيان وكمال العقل ، وجلال الخلق وعظمة السجايا ، وعلو الأدب ، فهو فى الذروة من مكارم الأخلاق ، وهو الأسوة والقدوة فى الكمال الأنسانى فلم ير قبله ولا بعده مثله فى جميل الأفعال وكريم الخصال :

من عرف ذلك اتخذ رسول الله أسوة له وقدوة ، لأن الله أنزل عليه الكتاب والحكمة « **وماينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى** » .. (النجم ٣ — ٤) وقد أوتى جوامع العلم صلى الله عليه وسلم روى الأمام أحمد عن وابصة بن معبد رضى الله عنه قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أريد الا ادع شيئا من البر والأثم الا سألته عنه فقال لى : أدن يا وابصة فدنوت منه حتى مست ركبتى ركبته . فقال يا وابصة : اخبرك بما جئت تسأل عنه ؟ فقلت يا رسول الله أخبرنى : فقال صلى الله عليه وسلم : جئت تسألنى عن البر والأثم ؟ قلت نعم : فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكث بها فى صدرى : وقال : « يا وابصة استفت نفسك ، البر ، ما أطمأنت اليه النفس ، واطمأن اليه القلب ، والأثم ما حاك فى القلب وتردد فى الصدر وان أفتاك لناس وافتوك » : « سيدى رسول الله » حقا لقد بعثك ربك منقذا للبشرية ومعلما للأنسانية ورسولا للحرية ، ولقد كان قلبك الشريف خير القلوب فهو القلب الواعى اليقظان الفياض بنور الأيمان والقرآن ، فهو خير القلوب وأذكاها ، وأنقاها واقواها ، الله قد شرح لك صدرك ورفع قدرك وانك لعلى خلق عظيم :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .. (التوبة — ١٢٨) .

جاء فى مسند أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : ان الله تعالى نظر فى قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ، ثم نظر فى قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه صلى الله عليه وسلم ، يقاتلون عن دينه ، فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء .

فما أزكى قلبك يا رسول الله وما أبره وما أعظمه وما اكرمه : قال الله تعالى **« نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين »** فقد خصص الله قلبه الشريف بنزول القرآن عليه دون سائر القلوب وذلك لقوة احتماله وعلو شأنه .

لأن القرآن الكريم لو نزل على الصخور تصدعت من خشية الله وتشــققت .

« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشــعا متصدعا من خشــية الله وتلك الأمثــال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » ..

نزل عليه القرآن بأسراره وأنواره وروحه ومعانيــه وبلاغته ومبانيه وحروفه وكلماته ، وألفاظه وآياته ، وسماه ربنا روحا ونورا .

« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم » .. (الشورى ٥٢) .

ولا أدل على نقاء الرسول وطهارة نفسه من قوله (لا يبلغنى أحد عن أحد من أصحابى شــيئا فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر .. (رواه ابن مسعود) .

فقلبه الين القلوب وارقها : **(فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ..)**

فكان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يزور ضعفاء المسلمين ويلاطفهم ، ويواسيهم ويؤانسهم ، ويجلس معهم ، ويعود مرضاهم ، ويحضر جنائزهم ، وكان يدعو ربه اذا توجه الى المسجد كما جاء فى صحيح مسلم ومن دعائه صلى الله عليه وسلم .

« اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى بصرى نورا ، وفى سمعى نورا ، وعن يمينى نورا ، وخلفى نورا ، وفى عينى نورا ، وفى لحمى نورا : وفى دمى نورا ، وفى شعرى نورا ، وفى بشرى نورا » (رواه الشيخان) .

عن السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه قالت :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد يقول بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ، واذا خرج قال بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك » .. (رواه الترمزى) .

وعن العباس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم بلغه بعض ما يقول الناس .

فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فقال من أنا ؟ فقالوا أنت رسول الله : فقال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ان الله خلق الخلق فجعلنى من خيرة خلقه ، وجعلهم فرقتين ، فجعلنى من خير فرقة ، وخلق القبائل فجعلنى من خير قبيلة ، وجعلهم بيوتا ، فجعلنى من خيرهم بيتا فأنا خيركم بيتا ، وخيركم نفسا » (رواه الامام احمد) .

وانما ذكر الرسول هذا تحدثا بنعمة الله تعالى وليس ذلك فخرا ولا استعلاء ، ولكن كان ذلك شكرا لله ، فهو دعوة ابراهيم عليه السلام ، وهو بشارة عيسى عليه السلام فى قوله **ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد** .. الآية

والله قد أفاض عليه بالبركات والخيرات ، ولا عجب فقد اصطفاه مولاه واجتباه ، واصطنعه لنفسه وأسبغ عليه نعمه ظاهرة

وباطنة ، فكان رســـول الله صلوات الله وسـلامه عليه راسخ العقيدة ، قوى الايمان صادق اليقين ، لا يلاين فى دين الله ولايداهن. ولا ينثنى ولا يهادن ، اليس هو القائل للذين عرضوا عليه المغريات والحلول المقترحة (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونـــــه) ..

والداعية الى الله يجب أن يختار كما اختار الله انبياءه من أعرق الأصول واطهر الانســـاب وادبهم فأحسن تأديبهم وقال (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) .. آل عمران ٣٣ — ٣٤

وتربية الداعية من اقوى دعائم الاعـــداد بعد الاختيار الموفق « الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس » « الله اعلم حيث يجعل رسالته » .. « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا » ..

فسبحانك يا رب تخلق ما تشاء وتختار من يبلغ رسالاتك ويؤدى أماناتك وينشر دينك بتأييدك وعنايتك وتوفيقك ورعايتـك لتظهره على الدين كله والله غالب على أمره .

ولقد اخترت نبيك محمدا من اطهر الانســـاب وازكى الأصلاب فكان سيد الأولين والآخرين وقدوة المتقين واسوة العاملين وامام المرسلين وقد نصره الله على الجبابرة امثال أبى جهل فرعون هذه الأمة فقد جن جنونه لما رأى محمدا يبعثه الله رسولا حتى بلغ به الطيش أن تفنن فى اشنع الوان التعذيب لمن آمن به حتى لقد طعن امرأة ضعيفة آمنت بربها — طعنها فى موضع العفة فماتت : ولم يندم على فعلته الخسيسة الدنيئة التى يخجل لها كل انسان مهما قسا قلبه وغلظ طبعه ، فكان الهوان جزاء كبريائه وطغيانه وفجوره وعصيانه وجبروته واستعلائه حيث سمع أبا مسعود يقرأ القرآن فتنتفخ أوداجه كبرا فيقول حتى رعاة الغنم تبلغ بهم الجرأة الى حد المجاهرة بالقرآن على .

ملا من الناس ؟!! ثم يصفعه أبو جهل على وجهه وهو يقول له : حتى انت يا رويعى الغنم ؟؟ ! ويجىء القصـــاص القريب والعدل الالهى فى يوم بدر فيسقط الطاغية قتيلا يتهاوى على الأرض وهو يتخبط فى دمائه ويلفظ أنفاسه الأخيرة حيث يعثر عليه راعى الغنم عبد الله بن مسعود فيضـــع نعله على رقبته فيقول له جســـده المسترخى الذى انهار وانهار معه الكبرياء العنيد ــ فيقول ــ فى يأس : لقد ارتقيت مرتقى صعبا يارويعى الغنم أسرع وأجهز على وأبلغ محمدا انى لا زالت عدوه الألد ، ويحمل عبد الله بن مسعود راس الطاغية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكى له ما حدث فيقول رسول الله « ان فرعونى أشد من فرعون موسى ان فرعون موسى حين أدركه الغرق قال آمنت ، وفرعونى حين يدركه الموت يأبى الا أن يصر على عناده وكفره فطوبى لمن اتبع سبيل المؤمنين وآمن بخاتم النبيين وسلك الصراط المستقيم والمنهاج القويم ((**الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر**)) وهل يترك الله حبيبه محمدا حامل لواء الحق والعدل لعدوان عبدة الصنم والوثن ؟ كلا . فهو الذى وجده يتيما فآوى ووجده ضالا فهدى ووجده عائلا فأغنى ..

وهو الذى قرن اسم باسمه وأمرنا بالصلاة والسلام عليه فقال : ((**ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**))

((وغـــدا))

سينصر الله دينه وسيؤيده برعايته وعنايته وسيحق الحق ويبطل الباطل ((**قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا**)) .. (سورة مريم ٧٥)

الذكرى العطرة

الأستاذ أحمد أحمد أبو طه

بسم الله الرحمن الرحيم : هو الذى بعث فى الأميين رســولا منهم يتــلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبــل لفى ضلال مبين .



اذا كانت الايام تعــلو درجاتهـــا ويرتفع قدرها بما يقترن بها من مفاخر وذكريات كريمة وعبر خالدات . فان ذكرى ميلاد محمد بن عبد الله اجدر الأيام بالحفــاوة والتقــدير واولاها بالاحياء والتكريم . وبالشرف العظيم . اذ كانت رمزا لاعظم الحــوادث فى الكون اثرا وارفعها شــأنا واكبرها خطــرا .

فى هذه الذكرى الجليلة ذكرى ميلاد نبى الهدى تتحرك مشاعر المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها تحية واكبارا لمولد الرسول الكريم . الذى اختاره الله تعالى واصطفاه من خلقــه ليخرج

الناس من الظلمات الى النور ومن الضلال الى الهدى ومن الجهالة الى العلم والعرفان ومن الكفر الى الايمان واليقين .

فى هذه الذكرى المباركة المقدسة . يتنافس الأفراد والجماعات والشعوب والحكومات من جميع الأمم الاسلامية فى الحفاوة والاجلال اظهارا لما تكنه قلوبهم من تقوى وايمان ومحبة لله ورسوله . واعترافا بما لهذا النبى الكريم الهادى من فضل على الانسانية وما أضفته حياته المباركة من هداية ونفع للبشرية مما لا تستطيع الأقلام بيانه ولا تستطيع الأفراد ولا الجماعات الوفاء بحقه من التعبير .

وانما يعبر عنه عليه صلوات ربى وتسليماته ما سطره عليه السلام فى الكون من آيات وما أضفاه على العالم من نور وهدايات : هذا النبى الأمى الذى ملأ طباق الأرض علما وعرفانا وايمانا وتوحيدا . واصلاحا وعدلا . وأخاء ومساواة وحرية وأمنا . هذا اليتيم الذى كلأه ربه بعنايته ونشأه فى رعايته وطهره وعصمه من ضلال الشرك وعبادة الأوثان وأعده لأكبر رسالة الهية واسمى دعوة الى رفع شأن الانسانية وتوطيد أركان المجتمع البشرى على اساس العقل والحكمة .

كان صلوات الله وتسليماته عليه جماع الفضائل الانسانية كلها ولقد اثنى عليه ربه (وانك لعلى خلق عظيم) .

والى هذا السمو النفسى والكمال الخلقى مع تاييد الله سبحانه وتعالى له يرجع سر نجاح الدعوة الاسلامية فلقد أعده الله لها واصطفاه وأيده بروح من عنده فبلغ رسالة ربه أوفى تبليغ وأداها اكمل اداء حتى قال سبحانه : ((**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا**)) .

بهذا السمو النفسانى رفع الله شأنه واعلى مكانته واختاره لرسالته وهدى به الخلائق وفضله على العالمين ... انظر معى أيها الأخ المسلم الى عظمة نبى الهدى : انظر معى الى هذا اليتيم الأمى الذى ينشأ فى فقر وضعف فيتسامى بخلقه وايمانه وبرعاية

الله له : وينصب نفسه بأمر ربه لهداية العالم ودعوتهم الى الله والى الحق المبين . ويقوم بذلك الدعوة الجبارة وحده فى أول الأمر معتمدا على ربه وعلى صدق دعوته وايمانه وانه على الحق والناس جميعا على الباطل وان الله مؤيده وناصره . فلا تزال دعوته تتسع وأنصاره ممن هداهم الله به الى الايمان يتتابعون ويكثرون وهو فى ثنايا ذلك يغالب الباطل واهله من الكفار والمشركين وصناديد قريش . وقبائل العرب ويحتمل من صنوف الأذى والوان العسف والعناد ما لا يصبر عليه الا أولو العزم من الرسل ممن اختارهم الله لهداية العالم .

ولقد قام هذا النبى الأمى والرسول الأمين بتبليغ رسالة ربه وتلا على الناس قرآنه العظيم وآياته التى اضاءت الكون وملأت أرجاءه نورا وهداية . فأنار العقول . وطهر القلوب . واقام أركان العدل والحرية ورفع من شأن الانسانية وقرر المساواة بين الناس كافة فى احترام الدماء والأموال وحق الحياة والأمن على اختلاف السنتهم والوانهم الا بالحق لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى لا تفاوت الا بالعمل ولا استحقاق الا بما قدمت الأيدى واثمرت العقول . بميزان العدل يحكم لا بميل الهوى . ولا بالانساب والأحساب . حتى كان يقول لذويه وآله الأقربين : **(يا بنى هاشم لا يجيئنى الناس بالأعمال وتجيئونى بالانساب اعملوا) .**

هذا هو اليتيم الأمى الذى رباه ربه واختاره من خلقه ليكون صلة بينه وبينهم يبين لهم ويهديهم الى طريق الهدى والرشاد . كانت حياته كلها فى سبيل الله ومن أجل الهداية والاصلاح . لا يبغى لنفسه مغنما ولا ثروة ولا عرضا من أعراض الدنيا ..

ما عاش عليه الصلاة والسلام لنفسه . بل عاش لله وجاهد فى سبيل الله ولم يرغب فى مال ولا دنيا وكان لا يغضب الا للحق ولا ينتقم الا لله . وكان اذا نالت منه الحوادث ولقى الأذى فى الجهاد والحرب يقول (ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى) ...

هذه لمحة يسيرة من سيرة صاحب الذكرى التى يفاخر المسلمون بها ويتقربون الى الله باحيائها فى ربيع الأول من كل عام . نسوقها

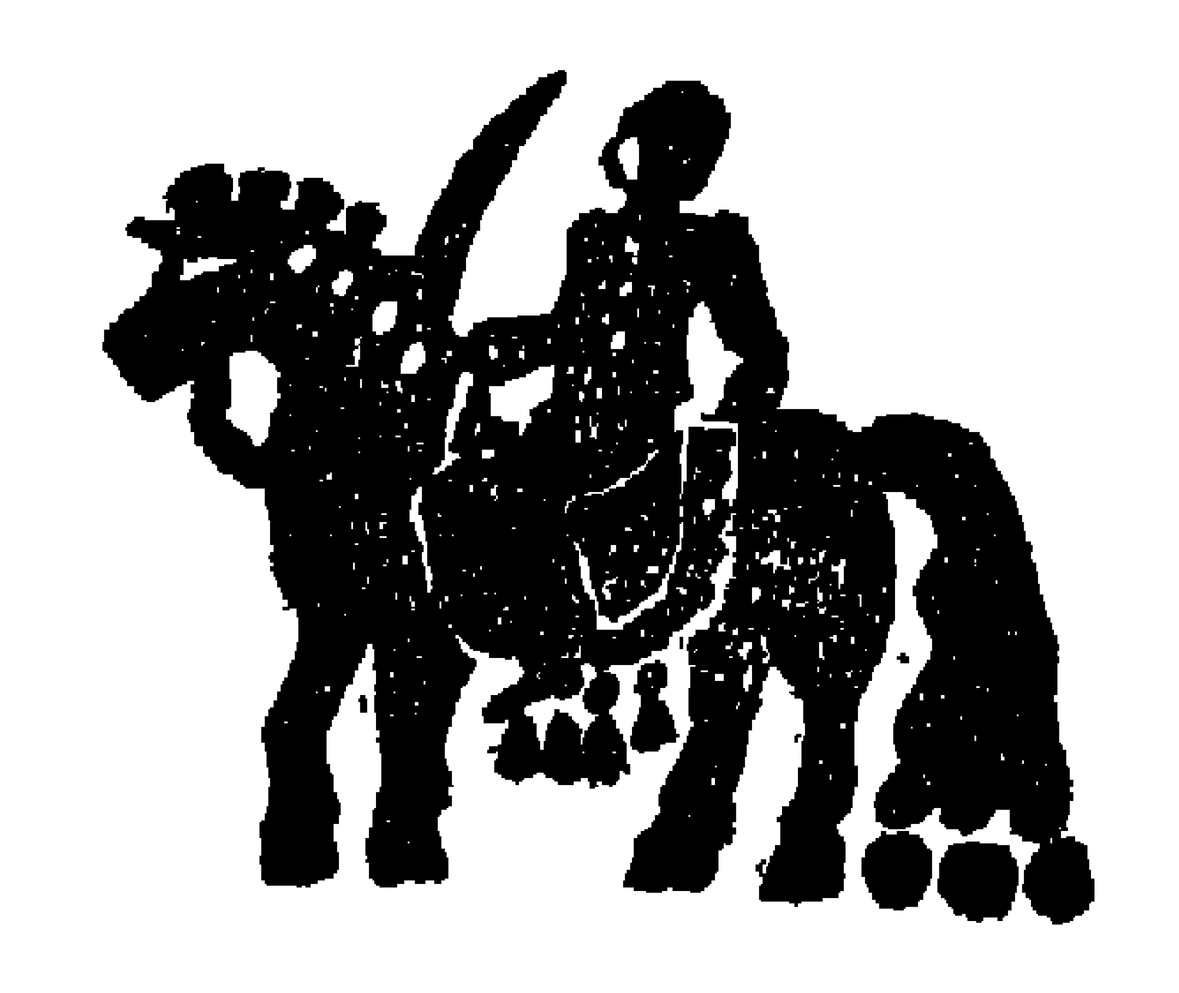
للتحية والقدوة وللعظة والاعتبار وتقديرا لسيد الرسل وخاتم الانبياء نبى الهدى . ذلك اليتيم الأمى الذى اختاره ربه لأداء رسالته فأداها كما أرادها الله كاملة . ووضع للناس شريعة سماوية ومنهاجا قويما يكفل لهم السعادة كلها ويهديهم الى الخير كله ويأمرهم بالعدل والاحسان ... وان أكرم تحية لهذه الذكرى المقدسة أن تكون شريعة نبى الهدى عقيدتنا وسبيلنا ومنهاجنا فى حياتنا . فنأخذ بأسباب العزة والقوة (**ولله العزة ولرسوله والمؤمنين** » . « **ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم** » . **صدق الله العظيم**) .

محمد

صلى الله عليه وسلم

قائد دعوة السلام

الأستاذ محمد الخضرى عبد الحميد



وأنوار الذكرى البهية : الخالدة الضياء السرمدية العطاء ، تهل مشرقة ساطعة فتضيء الكون وتنشر على كافة ارجائه وشعابه أريجا زاكيا عطرا ، دائم البهاء متجدد الرواء . لا تملك الأفئدة ـ على اختـلاف مشـاربها وتباين ألوانهـا ـ الا أن تهفـو الى فيوض العطاء الروحى لذكرى مولدك الأغر ـ سيدى يا رسول الله ، عليك الصلاة والسلام ـ لتنهل من ساحة الاشراق الوهاج والشـذا العبق : مزيدا جديدا من الزاد لكل فؤاد صيرته صروف الزمان محزونا كليما ، ولكل وجدان أحالته أكدار العصر وأهواله ركاما وهشيما .. وان هى الا أن ترنو الأفئدة الحيرى والنفوس العطشى ، التى اثقلتها أو شابت الحياة الدنيـا :

الى شذا السيرة وسنا الذكرى ..
حتى تستذكر ، وتستعيد ، وتنهل —
ماشاء لها ظمأ الروح — فترتوي يقينا
بأن السمو والرفعة هما — بحق —
عدة الانسان السوى الى تحقيق نبيل
المقاصد ، وجليل الأهداف ..

تمضي القرون ، وتتطور وسائل البشرية الى بلوغ غاياتها ، ويمدها العلم بالوافر العديد من الامكانات ، التى تتمثل فى كل مدهش ومثير من مستحدثاته المذهلات .. لكنها لا تزال — وستظل أبدا — بحاجة الى الاستنارة بهدى دينك الأسمى ، والى الاستفادة من كل ما دق وتناهى فى الدقة من تفاصيل مواقفك الجليلة ، وأحاديثك الشريفة ، التى حفلت بها مسيرتك الخالدة من أجل عزة الانسان ، وكرامته وحريته اينما كان ، بنشر لواء دين القيمة ، أكمل الأديان ، دين الاسلام .. فمنذ أن نزل عليك البشير ، حاملا من عليين التكليف الالهى الأول (اقرأ) و (قم فانذر) ، وما أعقب ذلك من قولك البليغ لرفيقة جهادك (انقضى يا خديجة عهد النوم والراحة) وكل لحظة من لحظات حياتك يا سيد الأنام — عليك الصلاة والسلام — درة فريدة تضيء الى الأبد جبين الزمان وتنير طريق البشر أجمعين .. وتهدى الى الحق والصواب خطاهم الى يوم الدين ..

واذا كانت لغة العصر تستخدم كثيرا كلمات مستحدثة من نحو : (ايديولوجية) و (برامج) ، فان ايديولوجية الاسلام وبرامجه كانت وما تزال وستظل دواما : (الصيغة المثلى) لصنع مجتمع الصدارة .. مجتمع رائد ، متماسك ، ناهض .. كمجتمعك الذى ساد بالفكر المتطور ، والوحدة النقية الوثقى ، والقوة الواعية .. **فليس كالاسلام دينا ينشد السلام ، ويعمل جاهدا على تحقيقه وتدعيمه ، معتمدا على المنطق والحجة ، فى اطار الحرية الكاملة لعقل وفكر الانسان .. الانسان الذى كرمه الله جل وعلا ، وفضله على سائر خلقه : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) ، (وجادلهم بالتى هى أحسن) ، (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) — وصدق الله العظيم ...**

لا مكان لحرب العدوان فى دين الاسلام ، فان دين الله الأسمى ينهى وبقوة الحرب العدوانية ، ولا يأذن بقتال الا من أجل دفع عدوان مؤكد مضاد : « **وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين** » .. وغزواتك – يا سيدى يا رسول الجهاد ، ويا علم المجاهدين الأمجاد – لم تكن الا من قبيل العمل الدفاعى ، والاجراء الوقائى ، الذى يحمى حرية العقيدة ، ويحفظ للانسان المسلم الى جانب حريته : كرامته ، وأمنه .. وهكذا لم يكن قتال الا بعد أن استشرى خطر الأعداء ، واستفحل ظلمهم لمن آمنوا بالرسالة .. فكان الاذن الربانى بالقتال : صدا لخطر ماثل .. وكان مع الاذن : الوعد الحق بالنصر .. وفى كتاب الله الكريم قوله سبحانه وتعالى : « **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وأن الله على نصرهم لقدير** » .. فلما جاءت الحرب لم تجىء (حربا اعتيادية) كالتى ألفها القوم قبلك – يا رسول الهدى ويا معلم الأجيال ، عليك أزكى السلام – وانما هى الحرب النبيلة ، حرب العقيدة السمحاء الفريدة ، التى سطعت لتحرر الانسان من أسار الجهل والضلال والعبودية فى أبشع صورها .. حرب مبدأ بزغ فى الأفق مستهدفا ارساء المثل العليا ، فهى الحرب التى لا تمليها عصبية ، ولا تحفز عليها عنصرية ، ولا تشوبها أية شائبة من نوازع دنيوية ، أو رغائب شخصية .. حرب جديدة تماما ، تقول لمن أعمتهم الجهالة أن الحرية والكرامة والعزة أشرقت أنوارها ، فلا جدوى من أية محاولات يائسة لحجب اشعاعاتها ، يفكر فى شنها بعض عشاق الظلام هواة الضياع والهوان ، ممن لا يخلو منهم زمان أو مكان .. « **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين** » .. ولكم كان الذهول عنيفا ، والانبهار شديدا ، حينما تم النصر المبين ، وأسقط فى أيدى الذين حاولوا – ذات يوم – صد التيار فاكتسحهم التيار ، فظنوا أن الانتقام الرهيب – لا محالة – آت ، بعد اذ لم يعد لهم حول ولا قوة ، فوقفوا مرتعدين ينتظرون أن تحل بهم الكارثة ، التى يوقنون من الأعماق أنهم يستحقونها ! .. واذا بك – يا أشرف المرسلين – تقول لهم ببساطتك الآسرة ، وبسماحتك الرفيعة الشامخة : « **اذهبوا فأنتم الطلقاء** » .. حقا . ذاك هو فيض خلقك العظيم : القوة كل القوة فى (ميدان القوة) وساحتها .. أما فى موطن العفو والرحمة

فليس اقدر منك فى بنى الانسان على نشر الرحمة ، وعلى اشاعة المودة .. ولله در القائل :

فـــاذا رحمـــت فانت ام او اب
هـــــذان فى الدنيـــا همـــا الرحمـــاء
واذا غضـــبت فانمـــا هى غضـــــبة
فى الحـــق لا ضـــــغن ولا بغضـــــاء

فى جهادك الشجاع الباسل — يا علم البواسل ، ورائد الشجعان على مر الزمان — لم تكن قط تحيد قيد شعرة عن القواعد الناصعة القويمة ، التى أرسيتها للسلم وللحرب جميعا .. فانك فى الحرب لا تقبل بين صفوف كتائبك المظفرة الا (المؤمن) بالرسالة وبغاياتها السامية ، مهما يكن تعداد جيشك فى حاجة الى أعداد أخـــرى من المحاربين ... ذلك لأنك تعلم — وتريد بسلوكك الحصيف للأجيال التى سوف تتلوا ان تعلم هى أيضا — أنه لا يتفانى فى الذود عن رسالة كبيرة الا من يؤمن بها الايمان كله ، لا الذى (يسايرها) ويواكب مسيرتها كيفما اتفق ، دونما التزام عميق وكامل .. وتخفق القلوب وتشرئب العقول ، اذ تستذكر من ثنايا سيرتك البهية كيف أنك — صلوات الله عليك — رفضت فى (غزوة بدر) أن ينضم الى رجالك بعض الراغبين فى القتال تحت رايتك ، لا عن ايمان بالرسالة وانما طمعا فى الفىء ، وتطلعا الى اكتساب الغنائم ! .. ابيت بحزم أن ينضم أولاء الى زمرة الخلص البررة من المجاهدين ، الا اذا أسلموا .. وفى (أحد) — وفيها كانت الحاجة ماسة أكثر ، الى أعداد من الرجال أوفر — نظرت حولك **فاذا كتيبة مجهزة بالأسلحة تقبل الى الساحة ، تبغى المضى مع الركب نحو الميدان .. وتسأل مستفسرا عن هوية هؤلاء ! .. ويقال لك انهم رهط من يهود المدينة ، حلفاء لابن أبى ، ويظن البعض فى معسكرك أنك (قد) ترضى — هـــذه المرة — بانضمامهم .. لكنك ، بمعهود استمساكك بالمبدأ : تأبى ذلك ايضا ، وترفضه بذات الحزم وعين القوة ، وتزيد الأمر ايضـــاحا فتقول لمن حولك : « لا يستنصر بأهل الشرك على اهل الشرك مالم يسلموا » ..**

واذا كانت الحروب الحديثة تستعين بالسياسة والاعلام ، جنبا

الى جنب أدوات القتال ، فى استكمال الأهبة للزحف على معاقل الشر .. فما أروع ما أعطيت — سيدى يا رسول الله — لأولئك الذين بعد كل تلك القرون الطويلة : جاءوا يحذون حذوك ، ويستلهمون فكرك ، وان اختلف الأسلوب ، وتغيرت الأداة .. فاذا كانت عبارة معاصرة مثل (الحصار الاقتصادى) تتناقلها الأفواه بغزارة ، فانك شرعت ذلك ، ومارسته ، حين لم تجد الوسائل السلمية والسلبية فى كف أذى المشركين من قريش .. **فالذى اتخذته فى سرايا وغزوات : (حمزة ، عبيدة ، الأبواء ، بواط ، العشيرة ، سفوان ، عبد الله بن جحش) لم يكن الا حصارا اقتصاديا ، لتهديد (اقتصاد) قريش تهديدا مباشرا ، يشعرها بقوة معسكر الاسلام ، ومن ثم يدفعها الى وجوب التفكير الجدى فى اجراء (حوار) مع تلك القوة الكبرى ،** لعله أن يؤدى — بالسلم ، ودون حرب — الى الاقتناع بترك الحرية لهذه الطليعة فى نشر رسالتها ، وتأدية البلاغ الذى عهد به اليها .. وكانت السرايا والغزوات الى جانب مهمتها تلك : تؤدى مهمة أخرى ، لا تقل خطرا ، وهى : **عقد الأحلاف والاتفاقيات ، مع القبائل المجاورة .. اعدادا سياسيا حكيما ومدروسا لما سوف يتلو من خطوات على طريق منازلة الشر ، ومجابهة القوة الغاشمة بالقوة الواعية .. وكنت ، يا أكرم الرسل ، تقول لشاعر الدعوة حسان بن ثابت : ((شن الغارة على بنى عبد مناف ، والله لشعرك أشد عليهم من وقع الحسام فى غلس الظلام))** .. أما الأسرى فما أبرك بهم ، وما أنبل عطفك عليهم ، واهتمامك الانسانى الفذ بالأخذ بأيديهم كى ينالوا حريتهم .. من يملك المال يستطيع بالمال أن يفتدى نفسه ، ومن لديه العلم فبالعلم هو قادر على أن يقدم الفدية الهينة الميسورة : ان يعلم عشرة من المسلمين ، وبذلك يصبح حرا .. ومن لا يملك شيئا : ما اسرع أن كنت تمن عليه بحريته .. وانها لخلال كريمة ، وخصال جد حميدة رحيمة : جعلت الكثيرين منهم ما أن يحصلوا على حريتهم بهذه الوسائل المتاحة ، حتى تشدهم اليك تلك الخصال والخلال ، فلا يفارقون معسكرك ، وانما ينضمون طواعية الى مجتمعك ، أحرارا زادتهم الحرية ايمانا بصدق رسالتك ، والتصاقا برحابك ، واذا بهم يصيرون — بكل اليقين وبكامل الاقتناع — من أشد المتحمسين لنصرة دعوتك .

تلك هى لمحة خاطفة عن مدرستك ، سيدى يا ابن عبد الله ، التى تخرج فيها أبطال الزمان وفرســـان كل العصـــور ، والتى كان من رجالها قائد كخالد بن الوليد ، الذى خاض معامع الحروب الطويلة، وحقق الانتصارات الباهرة ، ومضى آخر الأمر حزينا مهموما .. لأنه بعد أن لم يعد فى جسده موضع الا وفيه اثر بين من طعنه رمح، أو ضربة سيف : ((**يموت على فراشه ، كما يموت البعير**)) وكانت أمنيته الغالية أن يحظى بشرف الشهادة ، فى واحدة من عديدجولاته الحربية ، (**فلا نامت أعين الجبناء**) ، ولا سادت الا حـــكمة تقول (**احرص على الموت ، توهب لك الحياة**) .. وقد قيل :

تأخـــرت أســـتبقى الحيـــاة فلم أجـــد
لى حيـــــاة مثـــل أن أتقدمــــا

وقال آخر :

أحـــاذر أن أمـــوت على فـــراشى
وأرجـــو المـــوت تحت ذرى العوالى

كثيرة كثيرة هى العطايا الخوالد الباقيات ، التى ترصع دررهـــا كل لحظات حياتك المضيئة الوضيئة ، صلوات الله وســـلامه عليك فى ذكرى مولدك يا أشرف الخلق .. وسبحان الله فى علاه ، الذى وصفك بقوله جل جلاله وهو أصدق القائلين : (وانك لعلى خلق عظيم) ـــ صدق الله العظيم .

قال القرآن وقال التاريخ

الأستاذ محمد ابراهيم الخطيب

عظيم انت يا رسول الله! الم تحمل الى البشرية أعظم رسالة انسانية ؟ ألم تأخذ بيدها الى المكانة اللائقة بالآدمية تلك التي أكرمها الله عز وجل؟ ألم تحمل الى الدنيا أعظم المبادىء ؟ حسبك يا رسول الله لتكون فى القلب والعين — أنك قدت دعوة ، وأنك بعثت أمة ، وأنك ناهضت دولا وأقمت دولة .. وأنك وضعت أصولا ونظاما للحياة الصحيحة .. وأنك أخذت تقود الدنيا كلها الى حيث العزة والكرامة والى حيث الخير القادر على قهر البغى والعدوان !!



عظيم انت يا رسول الله ولانك عظيم وكريم كرمك ربك فأحسن تكريمك سجل لك فى نفسك وفى رسالتك وفى كتابك وفى أمتك من درجات التكريم مالم يسجله لأحد قبلك فى ناحية من هذه النواحى : ففى مجال نفسك قال القرآن الكريم : ((**الم نشرح لك صدرك**

ووضعنا عنــك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنـــا لك ذكرك » وقال : « ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لأجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم » وفى ضمان الغاية قال: « ولسوف يعطيك ربك فترضى » وفى مجال رسالتك قال : « ومــا ارسلناك الا رحمة للعالمين » ، « وما أرسلناك الا كافة للناس » ، « يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » ، وفى مجال كتابك يقول سبحانه : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » ، « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ، واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم » ، « وأنزلنــا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » .

وفى مجال أمتك التى أمنت بك يا رسول الله والتى استضــاءت بنورك يقول القرآن:« كنتم خير أمةأخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، وكذلك جعلناكم أمة وســطا لتكونوا شهداء على النـــاس ويكون الرسول عليكم شــهيدا » . وقال القرآن أكثر وأكثر .. وعندما تعرف عليك الناس والقوا عليك نظرات واعية .. وخلعوا أردية التعصب الأعمى أقروا بعظمتك واعترفوا بفضلك ، وسجلوا هذا الفضل ليأخذ طريقه الى مسامع الدنيا فى الشرق والغرب :

لقد قال : « برناردشو » الفيلسوف الانجليزى عنك يا رســول الله : « يجب أن يدعى محمد منقذ الانسانية ، وانى لأعتقــد بأنه لو تولى رجل مثله حكم العالم لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة اليهما » .

وهذا هو الفيلسوف الروسى « تولستوى » يقول : « مما لا ريب فيه أن محمدا من عظام الرجــال المصلحين الذين خدموا الهيئــة الاجتماعية خدمة جليلة ، ويكفيه فخرا انه أهدى أمه برمتها الى نور الحق ، وفتح لهـــا طريق الرقى والمدنية ، وهو عمــل عظيم لا يقوم به الا شخص أوتى قوة » .

واذا ماذهبنا الى كارليل الفيلسوف الانجليزى وجدناه يقــول بكل التقدير والاعتزاز فى كتابه الأبطال وديانة الأبطال : « لقد اصبح

من أكبر العار على أى فرد متمدين من ابناء هذا العصر أن يصغى الى ما يظن من أن دين الاسلام كذب ، وان محمدا خداع مزور ، وان لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، فان الرسالة التى أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرنا لنحو مائتى مليون من الناس أمثالنا خلقهم الله الذى خلقنا ، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التى عاشت بها وماتت عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والاحصاء أكذوبة وخدعة ؟ أما انا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأى أبدا ، ولو أن الكذب والغش يروجان عند خلق الله هذا الرواج ، ويصادفان منهم مثل ذلك التصديق والقبول فما الناس الا بله ومجانين وما الحياة الا سخف وعبث وأضلولة كان الأولى بها الا تخلق فما أسوأ مثل هذا الزعم وما أضعف أهله وأحقهم بالرثاء والرحمة وعلى من اراد أن يبلغ منزلة ما فى علوم الكائنات الا يصدق شيئا البتة من أقوال أولئك السفهاء ، فانها نتائج جيل كفر وعنصر جحود والحاد وهى دليل على خبث القلوب ، وفساد الضمائر .. وموت الأرواح فى حياة الأبدان ولعل العالم لم ير قط رأيا أكفر من هذا والام ، وهل رايتم معشر الاخوان أن رجلا كاذبا يستطيع أن يوجد دينا وينشره ؟ ان الرجل الكاذب لا يقدر أن يبنى بيتا من الطوب فهو اذا لم يكن عليما بخصائص الجص والتراب وما شاكل ذلك فما ذلك الذى يبنيه بيت وانما هو تل من الأنقاض ، وكثيب من أخلاط المواد وليس جديرا أن يبقى على دعائمه اثنى عشر قرنا ، يسكنه مائتا مليون من الأنفس ولكنه جدير أن تنهار أركانه فينهدم وكأنه لم يكن . وفى كتاب حضارة العرب يقول الكاتب المعروف « جوستاف لوبون » « اذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد أعظم من عرفه التاريخ » .

اما خيال الشاعر المسيحى « جبران خليل جبران » عن تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم فهو خيال لا غرابة فيه وتستطيع أن تلمح فيه نظرة المتصوف الاسلامى ، قال جبران فى خياله القريب من الحقيقة قال شيخ : « حدثنا عن الخير والشر » فقال المصطفى : **عن الخير فيكم أستطيع الحديث لا عن الشر .. وأنت خير اذا ثبت على مبدأ واحد مع نفسك ، وأنت خير حين تجد فى البذل من ذات نفسك .. وأنت خير حين تتحدث فى كامل يقظتك : وأنت خير حين تمضى الى غايتك ثابتا جرىء الخطا : وسئل عن الحب فقال :**

اذا اوما الحب اليكم فاتبعوه وان سلكتم الصعب وصعدتم فى الوعر . وسئل عن العطاء فقال : انك تعطى القليل حين تعطى مما تملك فاذا أعطيت من ذاتك أعطيت حقا .. بعض الناس يعطى القليل مما عنده من كثير اولئك يعطون تباهيا بالعطاء فتذهب نياتهم المستوردة بطيبات عطاياهم ، وبعضهم لا يملك الا القليل فيجود به كله اولئك هم المؤمنون بالحياة وما فيها من خير فلا تفرغ خزائنهم ابدا .. جميل أن تعطى من يسألك وأجمل منه أن تعطى من لا يسألك وقد أدركت عوزه ، وسئل عن العمل فقال : كل عمل خواء الا اذا امتزج بالحب فاذا امتزج عملك بالحب فقد وصلت نفسك بنفسك وبالناس وبالله .

وبعد : فهل بعد كلام الله يكون كلام وهل بعد كلمات المفكرين المنصفين نحتاج الى كلمات .. انه محمد حبيب الله والناس .. انه نور السماء انه أمير الانبياء ..به تنتشىء الأرواح وبذكره تزدهى النفوس .. انه محمد بشير الاتقياء .. انه محمد الذى جاء بالهدى ودين الحق انه محمد حبيب الله وحبيب الناس ولم لا وقد قال صلى الله عليه وسلم عن نفسه : أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، صلى الله على محمد .. صلى الله عليه وسلم !!

صفات الرسول

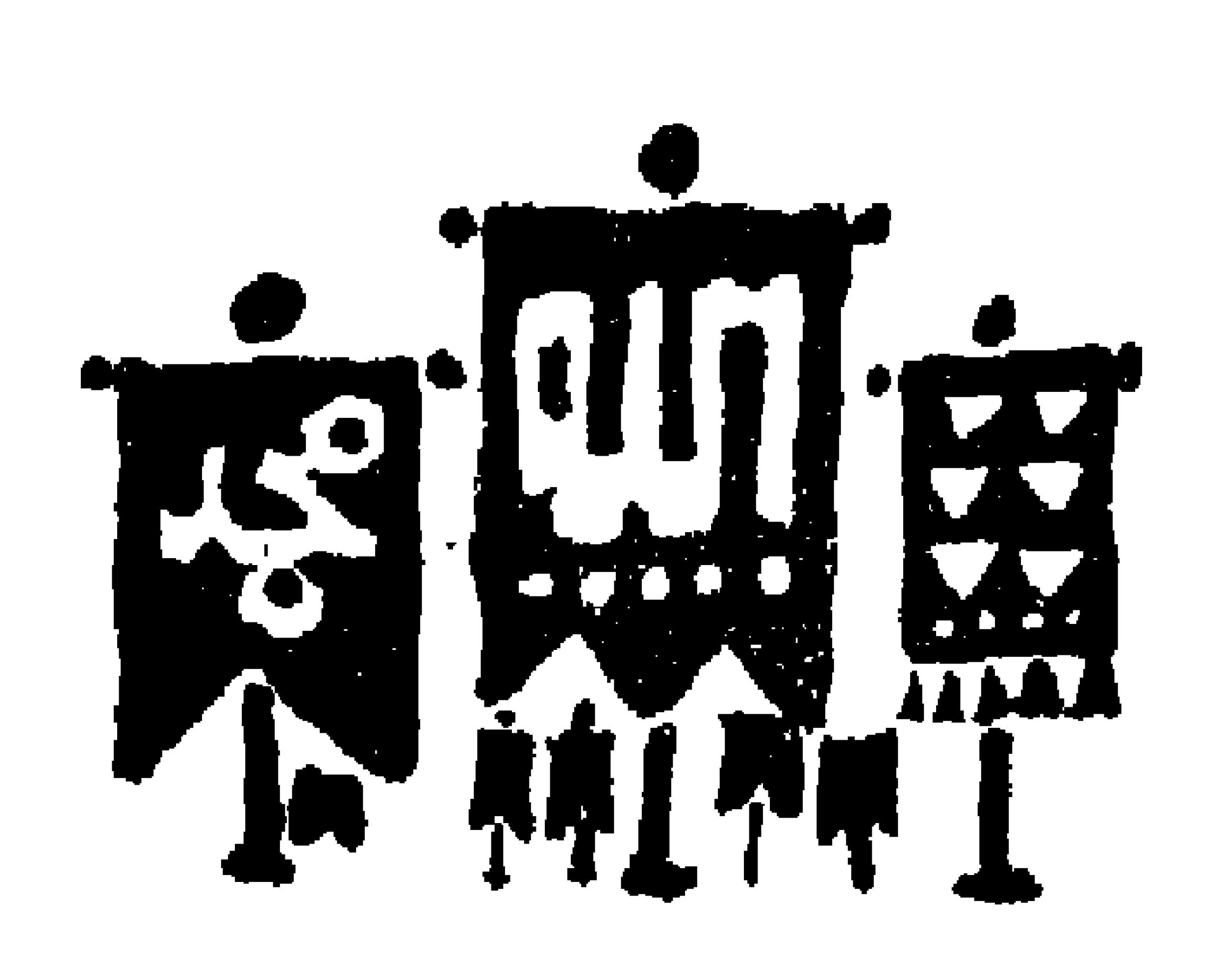
صلى الله عليه وسلم

الأستاذ أحمد محمد شاهين

أيها المؤمن الحق : الباحث عن الحق والحقيقة ، عليك أن تولى وجهك شطر المعجزة البشرية ، خاتم الأنبياء والمرسلين : فلقد عاش ثلاثة وستين عاما فى جلال يبهرنا حقا ، فمن مولده الى مماته وحياته الطاهرة تتشكل فى أحسن تقويم حتى أصبحت قدوة لكل البشرية ونورا يضىء حياتها.

أيها الصادق .. أى صدق أحببت — أيها الأمين .. أى أمانة اعتنقت. فيا صاحب الفكر والرأى ، ما هذا الصبر الذى عشقته ، والاحتمال والتسامح الذى تحليت بهما .

فلم يكن صلوات الله عليه، مجرد انسان يأتى ضمن الوافدين فى زحام الحياة .. ولكنه كان يسيطر تماما على الزمان والمكان بقوته الطبيعية ليعيد تشكيل الناس والحياة .



فان الله سبحانه وتعالى ، اصطفاه للرسالة العظمى ، فكانت أيامه مثالا بالغ الكمال فى الطهر والجلال ، ولم يكن المصطفى قوة طبيعية فقط ، انما كان قوة الهية أتت الحياة ، لتهدى الناس الى النور لا الظلمات ، وها هو يتجلى عظيما باهرا ، يوم نبذ كل مظاهر الاشراك بالله .

وأول ما يدعوني للكتابة عنه صلى الله عليه وسلم :

الأخـــــلاق :

ذات مرة سئلت السيدة عائشة رضوان الله عليها ، عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن . . فعن قول أم المؤمنين فهو واضح وضوحا لا لبس فيه ، فالأخلاق القرآنية تحدد لنا الخلق الكريم فى حده الأدنى ، وترسم بوضوح جلى الفضيلة فى درجاتها الأولى ، ثم لو دققنا النظر والاستيعاب للقرآن المبـــين لوجدناه لا يقتصر على ذلك ، وانما يرسم القمم من مكارم الأخلاق .

ان مقابلة السيئة بالسيئة عدل ، يقول الله تعالى :

((وجزاء سيئة سيئة مثلها)) .

ولكن عندما نعود الى القرآن ، نجده يذكر درجة أعلى من الخلق الكريم الا وهى درجة « كاظم الغيظ » فمن كانت مقدرته على مقابلة السيئة ــ بكظم الغيظ ــ فهذا هو الخلق الكريم ، بدلا من ان يقابل السيئة بالسيئة . . وأيضا لم يكتفى القرآن العظيم عند هذا فقط ــ بل يرسم لنا بوضوح قرآنى درجة ثالثة من الخلق الكريم . . فيتجاوز بكثير مقابلة السيئة بالسيئة ، وكظم الغيظ الى أكرم . . الى العفو .

((العفو عند المقدرة)) .

انه لواضح أن هـــذا أسمى من مقابلة السيئة بالسيئة وأسمى أيضا من كظم الغيظ فتعود عظمة القرآن واعجازه وبيانه بتجاوزه كل ذلك الى الدرجة العليا . . درجة المقربين . . وهى الاحسان . فيقول الله جل شأنه :

« وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله » .

وقوله جل شأنه :

« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ».

فهذه أيضا درجات من الخلق الكريم — بيد انها درجات تتفاوت من كريم الى أكرم .. كما تتفاوت درجات الناس من سامى الى أسمى . ومن شريف الى أشرف ومن متقى الى أتقى .. وحل لنا الآن بعد هذا الايجاز عن أخلاق الحبيب المصطفى أن نعود الى حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها وأرضاها .

ما الدرجة فى الأخلاق التى تريد أن تصف بها رسول الانسانية ؟

هل كانت تريد الخلق القرآنى المبين فى حده الادنى ؟

أم كانت تريده فى حده الأوسط ؟

أم كانت تصف الحبيب محمد صلوات الله عليه ورحمته وبركاته فى حده الأسمى ؟ .

ان القرآن المبين ذاته يوضح لنا الدرجة التى تحلى بها الرسول الكريم .. صلى الله عليه وسلم — من الخلق .. حيث يقول سبحانه وتعالى لرسوله صلواته عليه :

« وانك لعلى خلق عظيم » .

ان الأخلاق الكريمة هى الغاية التى تستهدفها كل تربية سليمة — وهى فى الوقت ذاته مقياس تعرف به أقدار الناس .. فقال الله سبحانه وتعالى :

« ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

(صدق الله العظيم) .

بهذه الآية يتضح لنا ان التقوى صفة جامعة لكل الفضائل التى أمر الله بها ، فقال عليه صلوات الله وسلامه :

« أثقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق » .

اخى المؤمن : مما ذكر يتضح أنه التزام علينا كمؤمنين سواء المؤمن المسلم أو المؤمن المسيحى ، أن يعمل جاهدا جهدا يفوق كل جهد مثابرا على تربية نفسه على مكارم الأخلاق — فمن أراد أن يتحلى بالحلم وجعله خلقا من أخلاقه ، فعليه أن يتعود ضبط النفس وكظم الغيظ — وذلك حتى ترسخ فيه صفة الحلم ومن أراد الكرم خلقا من أخلاقه أيضا .. فعليه فعلا أن يؤمن بقيمة الخير ويعمل دائما على ترويض نفسه على السماحة والبذل ، حتى ترسخ فيه صفة الكرم ، ولقد قيل فى الأخلاق :

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

فلا شك اذن أن القدرة « قدرتك كانسان » على تربية نفسك على الفضائل بتنمية نوازع الخير فيها .. وتنحية دوافع الشر عنها ، هو بعض ما يفهم من قوله تعالى :

« قد أفلح من تزكى » .

وقوله :

« قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » .

فان معنى التزكية يشمل هذين الأمرين .. التطهير من الرزائل والتربية على الفضائل ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام أيضا فى (حسن الخلق) .

أنه قد جاءه رجل فأقبل عليه بين يديه وقال : يا رسول الله ما الدين ؟ قال : حسن الخلق ،ثم أتى اليه من قبل يمينه وقال : يا رسول الله ما الدين ؟ قال : حسن الخلق ، ثم أتى اليه من قبل شماله فقال : يا رسول الله ما الدين ؟ قال : حسن الخلق : ثم أتى اليه من ورائه وقال يا رسول الله ما الدين ؟ قال : أما تفقه ..؟

(هو ألا تغضب) انه لواضح وضوحا جليا من قول رسول الله عليه الصلاة والسلام (هو ألا تغضب) حيث أنه يشير الى طريقة تربية النفس على الخلق الحسن ، وهى المران على ضبطها وكبح جماحها فان السبيل الى التحلى بمكارم الأخلاق هو ضبط النفس عند الغضب.

فلو تأمل المؤمن فى قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : « فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر » .

فبهذا يتضح ان لينه صلى الله عليه وسلم — وسماحة خلقه ، ورقة قلبه ، كانت السبيل الأساسى الى جمع الناس حوله ، والتفافهم به ، وحبهم له ؛ وحرصهم على رضاه ، وهذا كان منه رحمة من الله به وبالناس .

((انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)) .

((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)) .

فرأفته ورحمته بالمؤمنين اجمعين ، والحرص على خير قومه ، كان خلقا من اخلاقه فقد جمع الله فيه ما تفرق من الفضائل فى الأنبياء قبله ، فكان — المثل الأعلى ، والأسوة الحسنة ، والقدوة الطيبة — ولهذا أمر الله باتباعه فى كل ما صدر عنه من قول او فعل او تقرير او خلق وقال فيه :

((لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)) .

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشؤم فقال : سوء الخلق ، وسئل عن اليمن فقال : حسن الخلق ، وقال عليه الصلاة والسلام (الا اخبركم بأحبكم الى واقربكم منى مجالس يوم القيامة ؟ احاسنكم اخلاقا ، وقال أكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا) .

والآن وسطور هذه الكلمات التى لم تبلغ غايتها ، تعالوا لنرسل تحياتنا معا فى خشوع وحب الى خاتم الرسل محمد عليه الصلاة والسلام والى ثلته المباركة من الصحابة .

مع أحاديث النبى
فى ذكراه الخالدة

الاستاذ : صلاح عزام

مع أيام مشرق النور المحمدى .. لا يجب أن يكون هناك حديث .. الا عن النبى العظيم .. سيد الخلق .. سيدنا محمد صلى الله عليـه وسلم ..



وفى مثل هذه الأيام .. من كل عام تتجه القراءات وباستمرار الى تعاليم النبى عليه الصلاة والسلام .. نتعلم .. ونهتدى .. ونعيش فى لحظـات من نور .

وما أكثر . ما أجده أمامي .. ومن هنا فالاختيار صعب .. نعيش مع كلمات من نور .. كلمات النبى صلى الله عليه وسلم ..

● ففى غزوة تبوك .. يقول عقبة بن عامر الجهنى :

خرجنا فى غزوة تبوك فاسترقد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان منها على ليلة فلم يستيقظ حتى كانت الشمس كرمح . فقال : الم اقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر فقال : يا رسول الله ذهب بى الذى ذهب بك فانتقل غير بعيد ثم صلى ثم حمد الله ثم اثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فان أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملة ملة ابراهيم وخير السنن سنة محمد وأشرف الحديث ذكر الله وأحسن القصص هذا القرآن وخير الأمور عوازمها وشر الأمور محدثاتها وأحسن الهدى الأنبياء وأشرف الموت قتل الشهداء وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى وخير العلم ما نفع وشر العمى عمى القلب . واليد العليا خير من اليد السفلى . وما قل وكفى خير مما كثر والهى . وشر المعذرة حين يحضر الموت . وشر الندامة يوم القيامة . ومن الناس من لا يأتى الصلاة الا دبرا ومنهم من لا يذكر الله الا هجرا وأعظم الخطايا اللسان الكذوب وخير الغنى غنى النفس . وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله وخير ما وقر فى القلب اليقين والارتياب من الفكر . والنياحة من عمل الجاهلية . والغلول من جثا جهنم . والكنز كى من النار . والشعر من مزامير ابليس والخمر جماع الاثم . والنساء حبالة الشيطان . والشباب شعبة من الجنـــون وشر المكاسب كسب الربا شر المآكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره . والشقى من شقى فى بطن أمه وانما يصير أحدكم الى موضع أربعة أذرع والأمر بآخره وملاك العمل خواتمه وشر الرواة رواة الكذب وكل ما هو آت قريب وسباب المؤمن فسوق . وقتال المؤمن كفر . وأكل لحمه من معصية الله . وحرمة ماله كحرمة دمه . ومن يتأل على الله يكذبه . ومن يغفر يغفر الله له . ومن يعف يعف الله عنه . ومن يكظم الغيظ يأجره الله ومن يصبر على الرزية يعوضه الله . ومن يتبع السمعة يسمع الله به . ومن يصبر يضاعف الله له . ومن يعص الله يعذبه الله .

اللهم اغفر لى ولأمتى . اللهم اغفر لى ولامتى . اللهم اغفر لى ولامتى . أستغفر الله لى ولكم ..

هذه واحدة من الصفحات المشرقة لأحاديث سيد الخلق .. تعلمنا .. وتهدينا .. وفيها درس لكل القادة .. وكل الرؤساء . فى كيف يعاملون الناس .. وكيف يحبون أمتهم وقومهم .

وبمناسبة الحديث عن غزوة تبوك .. فهناك حديث آخر .. يروى عن الامام الحسن بن الامام على رضى الله عنهما قال :

صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر يوم غزوة تبوك فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس انى ما أمركم الا بما أمركم الله به ولا انهاكم الا عما نهاكم الله عنه فأجملوا فى الطلب فوالذى نفس أبى القاسم بيده أن أحدكم ليطلبه رزقه كما يطلبه أجله فان تعسر عليكم منه شىء .. فاطلبوه بطاعة الله عز وجل .

* * *

وما أحوجنا فى هذه الأيام أن نعود الى السنة المطهرة نتدارسها .. وندرسها .. ونبدأ عملا جديدا .. بأن نعيد تبويبها .. بما يعالج قضايا عصرنا الحديث ويساعد شعبنا على فهم دينه .

في مولد المصطفى

صلى الله عليه وسلم

الشاعر محمد صلاح عفيفي

أنشدت في مدحه أحلى أناشيدي
والطير في دوحه الشجاه تغريدي
وعاشق يتغنى في محاسنه
كأن في فمه مزمار داود
هو النبي الذي طابت زيارته
ويكتب الله رؤياه لموعود
وفي المدينة نفحات معطرة
يقول واصلها يالهفتي زيدي
مع التحيات رددت السلام له
فصرت أعشق تسليمي وترديدي
وأسهر الليل في النجوى أكاشفه
بدمع عيني وآهاتي وتسهيدي
أتلو أحاديثه أخلو لسيرته
فأطمئن بظل منه ممدود
أنا المحب وفي المحبوب لي أمل
قصدته برجاء غير مردود
يدين لي أنني من بين أمته
له أدين بإيماني وتوحيدي

لــه الـــكرامة فى دنيـــا وآخــرة
وهو الشفيع لدى ذى الفضـــل والجود
يا بنت وهب رعـــاك الله آمنـــــة
ولدت يا خـــير ام خـــير مولـــود
فأى حادثـــة كـــبرى واى فـــتى
واى يــوم من الأيـــام مشـــهود
النجم مؤتـــلق والدهــــر مبتســـم
حتى ملائـــكة الرحمـــن فى عيــد
وأشرق النـــور فى الأرجاء فابتسمت
ودونـــه الأرض ضــــاقت بالمواليد
سميه ما شئت .. فى اســمائه صور
تجمعت فى اطــــار غــير محــدود
من آى ربــك تــكفيه على خـــلق
شــــهادة نبيــــه لم تــكتب لموجود
محمــد احمـــد طـــه نلقبــــه
بالمصــطفى وبيـــاسين ومحمــــود
وهو الأمـــين كمـــا نادت عشـــيرته
وابـــن الذبيحين فى انشودة البيــد
وكل اســـم له فى وقعـــــه نغــم
كمـــا تعـــددت الأوتـــار فى العـــود
نهى عن الظـــلم والبغضـــاء حرمهـــا
دعا الى منهـــج للحق منشــــود
والنـــاس تحسب بالتقـــوى منازلهم
لا بالشـــعوب ولا بالبيض والســـود
فليعبــــدوا الله فى سر وفى عـــلن
كمــــا يحـــق على عبــــد لمعبــود
ادى الرســـالة لم يبخـــل بتضـــحية
لم يقبــل الملك لم يعبــــأ بتهـــديد
مرت قــــرون وللاعيـــاد بهجتهـــا
للمؤنـــــين ووافت فى المواعيــــد
ان اتخـــذنا من الذكـــرى لنـــا قبســا
فقـــد حظينـــا من المولى بتـــأييد

ســنبذلَ الجهـــدَ والأرواح غاليـة
لنـكمل النصر فيَ عـــزم وتأكيـــد

من قــوة قــد أمــرنا أن نعــد لهم
الى بنــاء واصـــلاح وتشـــييد

يا مولد المصطفى جـدد لنـا أمـلا
ويا ليـالي الهـدى عودي لنـا عودي

مولد نبي الإنسانية

الشاعر أحمد عبد اللطيف بدر

أشرق النور باهرا فى سناه
بعد ليل وقد تغشى دجاه
ليل ظلم ، ووحشة ، واختلال
بين ذل لمن أضلوا وتاهوا
فى شعاع الهدى نور القلب
فدعا الفكر عارفا ما دعاه
هام يهفو محررا مستجيبا
دعوة الحق عابدا مولاه
أنه الواحد الذى قد تجلى
فى وجود بقدرة جلاه !
مبدع الخلق فى استواء عجيب
ليس فى الكون من جليل سواه

* * *

قد صحا الروح بعد طول رقاد
أبصر الكون ، فاهتدى باصراه

ملهم الفكر آية الذكر حتى
يذكر القلب باعثا نجواه
والنبى الصفى عاش نقيا
فى ضحا الصفو والاله اصطفاه !
فى صباه راى الحقيقة نورا
يجتليه فعاش فيما رآه
وحد الله من تأمل كون
راعه خلقه الذى سواه !
فى نظام ، ودقة ، واقتدار
وابتداع بقدرة ما اتاه !

* * *

أين منه الأصنام — وهى جماد —
صنعة الوهم فى ضلال عماه ؟!
ضل القوم واستباح حجاهم
من خضوع لم يعرفوا مأتاه
انهم قلدوا الجهالة فيهم
شرعة بالخداع قام اله !
عددوه باللات ، والعزى
ومناة وكثير له اشباه ..
خاطبوه فلم يجبهم بقول
ابصروه ولا ترى مقلتاه !
لكن « الواحد » القدير جليل
قد تجلى بنوره فى علاه

* * *

فطرة فى النفوس لم يعرفوها
بعد ان قلدوا وضاع انتباه
والنبى الأمين بر تقى
عارف الحق لا يرى الاه !

لم يقـــلدْ عبـــادة صـــنعوها
بل تولى عنهـــا مريـــدا هـــذاه
واهتـــدى فاقتـــدى بديـــن حنيف
والضـــلال المقـــيم فيهم جفـــاه
حـــرر الروح فى « جراء » واضـــحى
يطلب النـــور مشرقـــا فى ضـحاه !
احـكم اللـــه آيـــه فى اتســـاق
اعجـز القوم : فاستباحوا حمـــاه
قـــلدوه بآيـــة زيفـــوها
عـــن كذوب شـــيطانـــه أمـــلاه
كل ما فى الحيـــاة يبـــدو سرابـــا
غـــير أن التـــقى بـاق تقـــاه !

* * *

يا نبى الهـــدى ــ وانت امـام ــ
جئت بالحـــق كلنـــا يـــرعاه
ســـوف نمضى على الطـــريق بنـــور
وجهـــة الله رمـــزها الاتجـــاه
ســـوف نـــرعى ــ بعونـــه ــ كل عهد
« احمـــدى » ولن يـــكون ســـواه
ان نـــصرا مـــؤزرا فى جهـــاد
عن فـــداء بعـــزة قـــد قضـــاه
سوف نرعى السيادة عن « ســـادات »
ســـدد الله شـــعبه ورعـــاه

عيد ميلاد الرسول

الشاعر عبد المنعم عبد الله حسن القن

سفر الهلال اشعت الأضواء
في الكون يعلوها هدى وصفاء
هل الربيع على الوجود فعطرت
واستبشرت بقدومه الأرجاء
والمسلمون بكل ارض كبروا
وشدوا بمقدمه وعم هناء
طربوا به في نشوة وبشاشة
فلموكب الذكرى سنا وبهاء
ولعيد ميلاد الرسول جلاله
ووقاره وكماله وسناء
وله على مر الدهور نوافح
وقداسة ومكانة شماء

* * *

هو عيد من نشر الهداية مخلصا
خير البرية ماله نظراء

من بـدل الظلمـات نورا سـاطعـا
بيمينـه القـرآن والعصـماء
واطـاح بالاصـنام معبـود الالى
ضـلوا الطـريق وكلهم سـفهاء
سـجدوا لاحجار وما عـرفوا الهـدى
فى الغى قـد تاهت بهم أهـواء
شربـوا الخمـور فاذهبت بعقولهم
وفشى الفسـاد وعمت الفحشـاء
قـوم غـلاظ حجـرت انهـامهم
وقـلوبهم فى طيهـا البغضـاء
وقسوا كأنهم الذئـاب وقـد طغـوا
مـن بغيهـم لم تـرحم الأبنـاء
فبغـير ذنب يقتـلون بنـاتهم
ارايت كيف تقتـل البـرآء ؟

* * *

لم يعـرفوا قيمـا فشـيمة جمعهم
الغـدر والتضـليل والاغـواء
وتخبطـوا بـين الدجى فى حـيرة
جنت عليهم ظلمـة دهمـاء
والـكون يرتقب الهـدى بتشـوق
فاهـل فجـر أبـلج وضـاء
ولـد الحبيب محمـد فتهـللت
« أم القـرى » وربوعهـا الغنـاء
ولدتـه « آمنـة » العفيفـة طاهرا
فى حمـله ما شـابها اسـتعصاء
ليست كـكل الأمهـات فمـا رأت
الـما وما حلت بهـا الأعبـاء
فـاح الأريج ببيتهـا لمـا اتى
هـذا البشـير ونوره الـلألاء
ولد الرسـول فمـا بكى فى مهـده
كالطفـل لـكن بالفـؤاد دعاء

قـــد خر يســـجد للالـــــه موحـــدا
وبـــدا بمنطقـــه البليـــغ ثنـــاء
هبطت ملائـــكة الســـماء وهنـــأت
كل الوجـــود وغـــردوا ما شـــاءوا
ومضى البشـــير لجـــده وتنـــاقلت
بشرى النـــبى وذيعـــت الأنبـــاء
والجـــد يهتف من قـــرار فـــؤاده
وهتـــافه فيـــه النـــداء غنـــاء
وافـــرحتى هـــذا هو الأبن الـــذى
شرفت بـــه وتبـــاهت الغـــبراء
ســـميته بمحمـــد هو نعمـــة
قـــد أســـديت هو منحـــة وعطـــاء

* * *

سعدت « حليمـــة » حين قدم المجتبى
فالخـــير فاض وعمـــت الآلاء
قـــد زال بؤسهم الشـــديد وأينعت
تـــلك البقـــاع القفـــرة الجـــدباء
وتفجـــرت أنهـــارهم بمياههـــا
حتى ارتـــوت واخضرت الصـــحراء
والأرض أنبتت الثمـــار وجادهـــا
من فيض « طـــه » خضرة ونمـــاء
والخـــير قد زان البقـــاع جميعها
فالقفـــر فيهـــا جنـــة فيحـــاء
وتحـــول الضـــيق العسـير لجنـــة
والـــيسر وافى والحيـــاة رخـــاء
فهو المبـــارك قـــد أتى فى ركبـــه
الخـــير والاســـعاد والاعطـــاء

* * *

نشــأ الرسول على العبــادة عاكفــا
يطــع الاله وملتقـــاه « حــــراء »
وأقام فيـــه لياليـــا متبتـــــلا
بسريـــرة مـــلأت هـــدى ونقـــاء
حتى أتى الــوحى الأمـــين وضمه
بحفـــاوة بعثت بهــــا العليـــاء
هــذا هو القــرآن فاقـــرأ أنـــه
دســـتور ربــك شرعـــة وضـياء
باسم الذى رباك فاقـــرأ هـــديه
فــلأنت من مــدد المـــلا قـــراء
اقـــرأ وربــك « أكــرم » يا مصطفى
فعــلى يديــك ســـيهتدى العــلماء

***

يا رحمـــة نعمت بهـــا أمم الورى
قـــد جئت نورا فى الـــوجود يضـــاء
قـــد جئت بالخـــيرات فينـــا هاديا
للعـــالمين ، وقـــد رعتـــك ســماء
واختـــارك المولى لأقـــوم شرعـــة
وقـــــد اصـــطفاك لنـــا فأنت دواء
أنت الطبيب لـــكل أدواء الـــورى
أنت الــرحيم وللنفـــوس شـــفاء
أنت المسمى أحمــــدا ومحمـــــدا
أنت الذى شرفت بـــك الأســـماء
صلى عليــك الله يا خـــير الــورى
والآل والأصـــحاب والـــكرماء

محتويات الكتاب





